
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة–

قسم التاريخ

بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي ، مناطق استقرارها وآثارها من القرن 5 ه إلى القرن7 ه/ من القرن 11م إلى القرن 13م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب :

- رحالي محمد علي.

إشراف الأستاذة:

د – بوخاوش مريم.

السنة الجامعية : 1438ه/1439ه –2017/2018


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

بداية و قبل كل شيء نشكر الله عز و جل على التوفيق والسداد الذي أكرمنا بهما منذ أن وطأت أقدامنا المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة.

وتصديقا للقائل من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة على عملنا هذا " بوخاوش مريم" والتي لن ننسى فضلها علينا ما حيينا ، حين قبلت العمل معنا بصدر رحب.

و لم تبخل علينا بنصائحها و توجيهاتها العلمية الهادفة والقيمة . ووقفت معنا حتى نتم بحثنا هذا ، نسأل الله لها دوام الصحة والعافية والسداد والتوفيق.

كما لا أنسى بالذكر الأساتذة الأفاضل الذين بذلوا قصار جهدهم معنا من أجل إيصال العلم الصحيح .و توجيهنا لإنجاز هذا العمل خاصة الأستاذ " شهبي عبد العزيز" و " خالد الكبير علال" و كافة أساتذة التاريخ الوسيط.

و أتوجه بشكري الخالص إلى كل مَن ساعدني مِن قريب أو مِن بعيد لإتمام عملي.

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى :

– الوالدين الكريمين حفظهما الله نظرا لسهرهم على تربيتنا ووقوفهم معنا لبلوغ هذه المرحلة .

– الإخوة و الأخوات و كل الأقارب و الأهل.

–كل مَن شجعني مِن أجل خوض غمار هذه التجربة العلمية خاصة أصدقاء الدراسة "توفيق" و "سفيان " و " سيد أحمد" حفظهم الله.

–كل زملائي سواء في الدراسة أو العمل .


مقدمة

تتعدد الأحداث والوقائع التاريخية ببلاد المغرب الإسلامي و تتباين من فترة زمنية لأخرى ، ولعل أبرزها الفتح الإسلامي لهذه البلاد حيث تم على مراحل عديدة خلال القرن الأول من الهجرة حين كان الهدف الرئيسي نشر الإسلام . ومع مرور الزمن ظهر حدث لا يقل أهمية عن الفتح الإسلامي فطرأت مجموعة من التحولات على بلاد المغرب بدءا من القرن الخامس من الهجرة حيث أرخت الهجرة الهلالية نحوها لفترة زمنية جديدة فجاءت لتضيف إلى ما سبق الدم العربي وتغير التكوين الجنسي لسكان المغرب بعد عملها على تعريب القبائل البربرية أي أن تأثيرها كان جنسيا ولغويا. وهذا التأثير نتج بفعل استقرار بطون بني هلال على تعدد فروعها في تلك البلاد والانتشار الواسع لها في أقاليم المنطقة خاصة في الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن السابع من الهجرة أي مواكبتها لأهم الدول التي ظهرت في بلاد المغرب ، وهذا الحدث في حد ذاته تتباين حوله وجهات النظر من طرف المؤرخين ، فهناك من يرى بأن الهجرة الهلالية كانت ذات أثر إيجابي على بلاد المغرب الإسلامي ، عكس النظرة الخلدونية و الاستشراقية التي ترى بأنها كانت سببا في تخريب بلاد المغرب .

- **<u>أسباب اختيار الموضوع :</u>**

وكان اهتمامي الشخصي بتاريخ بني هلال بحكم النسب والجذور التاريخية وبحكم وجود النزعة الذاتية في جل الكتابات التاريخية للباحثين و انطلاقا من فكرة الإيمان بوحدة الأمة الإسلامية على الرغم من الاختلاف الجنسي والعرقي ، بمثابة الدافع الرئيسي – رغبة ذاتية و ميل ديني – الذي جعلني أقدم على تناول هذا الموضوع لإبراز أثر هذه القبائل بحكم تواجدها في بلاد المغرب على تجسيد مظهر من مظاهر التآخي والاعتراف بالآخر كشريك في الدين رغم مظاهر الصراع التي طبعت بداياته التاريخية ووجود بعض الملابسات التاريخية .

كما أن الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى السابع من الهجرة الحادي عشر والثالث عشر من الميلاد ، شهدت تطورات تاريخية في بلاد المغرب الإسلامي بظهور القبائل العربية أشهرها قبيلة بني هلال واستقرارها بالمنطقة من خلال التوزيع الجغرافي المتباين وما صاحبها من علاقات مع باقي الدول ، و بالنظر للأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الحدث

حين ترتبت عنه آثار ونتائج متعددة في ذلك الزمن ولا تزال المخلفات والوقائع اليوم تكشف عن ذلك الأثر البالغ لهذا الحدث التاريخي المتمثل في الهجرة الهلالية ومن هنا جاء سبب اختيار الموضوع كدراسة علمية أكاديمية تحت عنوان "بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي ، مناطق استقراها و آثارها من القرن الخامس إلى القرن السابع هجري" .

- الهدف من الدراسة :

وبالتالي فالهدف من دراسة الموضوع ، هو الإحاطة بأهم بطون بني هلال الداخلة لبلاد المغرب الإسلامي منذ القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي ، و ما أحدثته من تغييرات جذرية في المنطقة حتى القرن السابع هجري / الثالث عشر ميلادي ، بحكم الانتشار الواسع لها ، وظهورها كعنصر اجتماعي تغرب عن أوطانه و أثر في مختلف المجالات ، ولأن الكشف عن الآثار بأبعادها المختلفة يقودنا لجدلية تاريخية حاولنا فك لغزها ورموزها.

- <u>أهمية الموضوع:</u>

إن دخول بطون بني هلال لبلاد المغرب الإسلامي شكل حلقة كبرى في بعض الدراسات التاريخية – رغم قلتها – التي حاولت تسليط الضوء على الحدث و استقراء المعادلة التاريخية له ، و لأنه بدراسة مواطن استقرارها و آثارها تكون للموضوع أهمية تاريخية متفرعة إلى جميع الجوانب الأخرى ، للإلمام ببطون بني هلال و محاولة التفريق بينها من حيث الفروع الرئيسية المكونة لها و الأخرى التي ألحقت بها وعُدَّت ضمنها ، والتي تم السكوت عنها في البداية وذكرت في مواضع أخرى – عدي مثلا– (فلم تهتم بها بعض الدراسات حتى جعلها تطلق أحكام قاسية على بطون بني هلال) ، وتحديد كيفية انتقالها من مجال جغرافي سياسي بدأ يعيش مرحلته الأخيرة من ضعفه السياسي والديني و الاقتصادي ، إلى مجال آخر – المغرب الإسلامي – قلما يقال عنه في فترة أوجه بدراسة الأوضاع المحيطة مع وجود بعض الثغرات في المجال الاجتماعي و السياسي – كالثورات والانفصال عن السلطة الحاكمة –فكانت حركتها مرتبطة بتلك الأوضاع . لتضمن استقرارها من القرن 5ه إلى القرن 7ه أي أن مواطن تواجدها شملت كافة بلاد المغرب الإسلامي – التي كانت بحاجة ماسة إلى تحديد جغرافي دقيق– ، وبحكم أن موطن الاستقرار أجبرها

على إقامة علاقات مع جميع دول المغرب الإسلامي ، وبدراستهما تتضح الآثار من جميع جوانبها، وتم التركيز في بعض الدراسات على الجوانب السلبية دون الإيجابية – كالنظرة الاستشراقية المستمدة أفكارها من النظرية الخلدونية الغامضة – ، وهنا وجب الكشف عن الآثار بوجهيها السلبي و الإيجابي من خلال تصنيفها على جميع الجوانب . ومنه فالموضوع يكتسي أهمية تاريخية بالغة .

– <u>**طرح الإشكالية:**</u>

ومن هذا المنطلق يمكن طرح إشكالية هذا البحث وهي : – **هل وجدت بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي الموطن الخصب للاستقرار بحكم الأنظمة السياسية القائمة والبيئة الجغرافية وطبيعة السكان في إطار التعايش مع الآخر ، أم أنها خربت ودمرت لتضمن استقرارها ؟**

– <u>**منهجية الدراسة :**</u>

وللإجابة على هذه الإشكالية وضعت خطة لدراسة الموضوع ، واتبعت المنهجية التالية :

مقدمة ، مهدت فيها للموضوع مع التركيز على أسباب اختيار الموضوع و أهميته ، كما بينت فيها إشكالية البحث أتبعتها بمنهجية الدراسة – الفصول – للإجابة عنها ، و أهم المصادر والمراجع المعتمدة ، إضافة إلى المنهج المتبع و أبرز الصعوبات التي واجهتني في خضم إنجاز الموضوع .

تناولت في الفصل الأول أصل ونسب قبيلة بني هلال وقراءة في أسباب الدخول خلال القرن الخامس من الهجرة ، للتعرف على هذه القبيلة و إبراز كيفية دخولها ، فحاولت التعريف ببني هلال أصلا ونسبا . موضحا فيها الجذور التاريخية لهذه القبيلة. ثم تناولت مناطق الاستقرار قبيل دخول بلاد المغرب الإسلامي حتى أبين أن البيئة الجغرافية التي استقرت بها كانت بمثابة الدافع لاختيارها الهجرة إلى بلاد المغرب .

كما تناولت أهم دوافع الهجرة الهلالية حيث لا يمكن الفصل في السبب الرئيسي لها فتعددت إلى سياسية و مذهبية و اقتصادية .

ثم وقفت عند دخول بني هلال إلى بلاد المغرب الإسلامي ، لأكشف عن بداية التواجد والإرهاصات الأولية للتوطن ورد فعل السكان المحليين حول هذه الهجرة .

وخصصت الفصل الثاني الذي كان بمثابة جوهر الدراسة للحديث عن مناطق استقرار بطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي ، شرحت من خلاله مناطق التوطن والتواجد الفعلي التاريخي لهذه القبيلة بفروعها الكبرى انطلاقا من القرن الخامس إلى غاية القرن السابع للهجرة .

حيث ذكرت أهم الفروع الكبرى لقبيلة بني هلال في بلاد المغرب ، ومنها الأثبج ورياح وزغبة وهي القبائل الرئيسية وحتى الملحقة بها كجشم و المعقل و أهم بطونهما بالإضافة إلى البطون التي سكتت عنها أهم المصادر التاريخية مثل عدي و ربيعة التي ضمنت تواجدها ببلاد المغرب و انتشرت بشكل سريع فيها .

كما تناولت التوزيع الجغرافي للقبائل الهلالية و مواطن الاستقرار ببلاد المغرب ، وبحكم الأقاليم المتعددة المكونة للمنطقة تحدثت عن التوزيع الجغرافي و مواطن الاستقرار في كل من المغرب الأدنى و الأوسط و الأقصى .

كما أشرت في نفس الفصل إلى أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب ، ولعل أهمها كما ذكرت هي إمارة بني جامع بمدينة قابس بالإضافة إلى إمارة بني مزني بالزاب و تأثير هذه الإمارات في جميع الجوانب السياسية –باعتبارها إن صح التعبير أقامت كيانا سياسيا – والاقتصادية لأنها استقرت بمنطقة سمحت لها بممارسة الزراعة و الصناعة و كذا التجارة .

و تناولت في آخر هذا الفصل علاقتها مع دول المغرب الإسلامي من القرن الخامس إلى القرن السابع من الهجرة و هذا بحكم التوطن بالإضافة إلى التزامن التاريخي مع هذه الدول وكذا بحكم الموقع الجغرافي في إطار التأثر والتأثير ، ولعل من أبرز هذه الدول : الدولة الحمادية فدولة المرابطين ثم الموحدين وصولا إلى الدولة الحفصية في الشرق و المرينية في الغرب بعد سقوط دولة الموحدين .

وتطرقت في الفصل الثالث إلى آثار ومخلفات التواجد الهلالي ببلاد المغرب الإسلامي ، فذكرت الآثار السلبية المترتبة عن هذا التواجد في مختلف المجالات السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية وكذا الحضارية انطلاقا من نظرة المدرسة الخلدونية و الاستشراقية أي التخريب بالمنطقة .

كما تناولت الآثار الإيجابية المترتبة عن هذا التواجد وذلك في مختلف المجالات السابقة الذكر السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية وكذا الحضارية أي تعمير بطون بني هلال ببلاد المغرب .

و خاتمة ، ركزت فيها على أهم الاستنتاجات المتوصل إليها من خلال دراسة الموضوع.

– **المنهج المتبع في الدراسة :**

ولإعطاء هاته الدراسة صبغة أكاديمية علمية اعتمدنا على **منهج البحث التاريخي** ، لأجل سرد الأحداث و الحقائق التاريخية ورصدها ، بداية من أصلها و نسبها و توطنها بالجزيرة العربية إلى غاية هجرتها بلاد المغرب الإسلامي واستقرارها بالمنطقة و تعدد نتائجها بحكم ذلك التواجد بالمنطقة لمدة قرنين من الزمن.

وعلى **المنهج التحليلي** الذي يعتمد رصد الأحداث ، وتحليلها تحليلا منهجيا دقيقا .

وعلى **المنهج المقارن** ، للكشف عن تعدد وجهات النظر التاريخية لدى الكثير من المؤرخين و الدارسين سواء في الوقت الحالي ، أو الذي سبق الجميع في هذه الدراسة.

– **قراءة في المصادر و المراجع :**

و اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر و المراجع ذات الصلة بالموضوع:

* **المصادر:**

– كتاب **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) ، الذي تتبعنا من خلاله أصل ونسب قبيلة بني هلال و الكشف على أنها من صلب عدنان ، باعتباره من أهم النسابة و لتميزه بقراءة دقيقة في تحديد الأنساب.

- والكتب الثلاثة لمؤلفها القلقشندي (ت 821هـ) ، **قلائد الجمان في التعريف بقائل الزمان** ، و **صبح الأعشى** ، و أهمها **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب** الذي استفدنا من خلاله في ضبط أصل و نسب قبيلة بني هلال ، وكذا الفروع (البطون) التي تعتبر بمثابة جوهر البحث.

- ولا تقل أهمية عن المصادر السابقة الذكر ، كتب أحمد البتي البلنسي الأندلسي (ت 488هـ) " **تذكرة الألباب بأصول الأنساب**" و تظهر الدقة في تحديد النسب من خلال عنوان الكتاب ، و**عجالة المبتدي وفضالة المنتهي** لصاحبه أبي بكر الحازمي الهمداني ، وكذا كتاب **الأنساب** بأجزائه المختلفة للسمعاني (ت562هـ) ، حين أفادتنا في قراءة ودراسة الأصل و النسب.

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع** لأبي عبيد البكري (ت487هـ) ، أرشدنا للكشف عن أماكن ومواطن تواجد بطون بني هلال ، رغم تشتت مواضع ذكر القبائل والبلدان و المناطق ، ومن خلاله و بالاعتماد على كتب أخرى ذات صلة بالموضوع استطعنا ولو بصورة جزئية أن نحدد مناطق استقرارها قبل الهجرة إلى المغرب الإسلامي خاصة بنجد والحجاز.

- والكتاب الآخر الذي يتميز بنفس الخاصية - تشتت مواضع ذكر القبائل و المناطق- وهو **صفة جزيرة العرب** للهمداني (ت 344هـ) ، أعطانا تعريفات لبعض المواضع المجهولة في الكثيرة من الدراسات التاريخية التي تكتفي بذكر المواطن دون تعريف.

- أما المرشد و الدليل في هذا البحث فهو عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) بكتبه المختلفة أهمها **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ... (تاريخ ابن خلدون)** بأجزائه المختلفة خاصة **السادس** منها ، الذي ساعدنا في مجمل فصول الدراسة واعتبر بالنسبة إلينا المصدر الوحيد المهتم بالموضوع من جميع جوانبه سواء من حيث تحديد نسبهم و انتقالهم ، وكذا أهم بطونهم - والتي ذكرت متفرقة سواء من حيث الفروع الرئيسية أو الملحقة بها - و مناطق استقرارهم - التي كانت بحاجة إلى تدقيق من حيث التوزيع الجغرافي على بلاد

المغرب الإسلامي – ، وفي تحديد علاقتهم بالدول و آثارهم و مخلفاتهم المختلفة ببلاد المغرب الإسلامي – رغم تفرقها–

و **المقدمة** وهو جزء من تاريخه (العبر) رغم صعوبة استنباط الأفكار منه و توظيفها ، الذي وضع فيه نظريته حول قيام الدول و العمران البشري وكشف العلاقة بين البدو والحضر ، فبين لنا من خلاله أثر تواجد بطون بني هلال بالمغرب الإسلامي خاصة السلبية منها .

– المقريزي (ت845هـ) بكتبه الأربعة ، أهمها **البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب** – التي من ضمنها بطون بني هلال – المفيد في تحديد النسب وكذا مواطن الاستقرار بالصعيد المصري ، و الذي بينه بدقة من خلال كتابه **المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار (الخطط المقريزية)** ، و أما الكتاب الثالث و الرابع على التوالي **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين** و **إغاثة الأمة بكشف الغمة** التي ساعدت في الكشف على الدوافع السياسية و الاقتصادية الكامنة وراء الهجرة الهلالية – خاصة إغاثة الأمة ...– اعتبر المصدر الوحيد في كشف الأوضاع الاقتصادية بمصر الفاطمية (الدوافع الاقتصادية للهجرة).

– **نهاية الأرب في فنون الأدب** للنويري (ت 733هـ) ، ففي **الجزء الثاني** منه تحدث لنا على نسب بطون بني هلال رغم وجود بعض الأخطاء الواردة فيه ، و **الجزء الرابع والعشرون** منه ساعدنا في تتبع الدوافع الكامنة وراء الهجرة و دخول بطون بني هلال ، وكذا علاقتها مع الدول و آثارها فأفادنا في كافة فصول الدراسة .

– ابن عذاري المراكشي بكتابه **البيان المغرب في ذكر أخبار بلاد المغرب و الأندلس** ، خاصة الجزء الأول يكشف من خلاله عن الدوافع السياسية و الدينية الكامنة وراء دخول بطون بني هلال لبلاد المغرب الإسلامي و فق ترتيب زمني – التواريخ– ، و علاقتها مع الدولتين الزيرية والحمادية و آثارها أثناء الدخول بالاعتماد على روايات معاصرة للحدث كابن شرف .

– السلاوي من خلال كتابه **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** و في جزئه الثاني ، لتحديد مواطن الاستقرار – خاصة المعقل بالمغرب الأقصى – رغم اعتماده الكبير على

كتاب العبر لابن خلدون ، و في تحديد علاقة تلك البطون بدولة الموحدين بالمغرب الأقصى سواء الرئيسية أو الملحقة . و بنفس الأهمية تأتي كتب ابن صاحب الصلاة **المن بالإمامة** وابن أبي زرع بكتابه **الأنيس المطرب** و **نظم الجمان** لمؤلفه ابن القطان (ت826هـ) ، و**أخبار المهدي ابن تومرت** للبيذق – للكشف عن علاقتها مع الموحدين–

– أما ابن الشماع بكتابه **الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** (ألفه سنة 861هـ) ، وابن القنفد(ت810هـ) بمصدره **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** للكشف عن علاقتها مع الدولة الحفصية.

– وهناك مجموعة من الكتب الجغرافية التي اعتبرت مفيدة لنا خاصة في تحديد الأوضاع الاقتصادية السائدة ببلاد المغرب الإسلامي ، أهمها **الاستبصار** لمؤلفه المجهول و **الروض المعطار في أخبار الأقطار** للحميري (ت 900هـ) و في تحديد الآثار التي مست بعض المعالم الحضارية – رغم تشابه المعلومات بينهما – ، و كتب الرحلات أهمها **رحلة التجاني** المنسوب لصاحبه التجاني (ت717هـ) في تحديد كيفية الهجرة و دوافعها ومن ثمة آثارها. وفي الجانب السلبي لتلك الآثار يأتي كتاب **الرحلة المغربية** للعبدري .

* **المراجع :**

– **الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها** للمؤلف رشيد بورويبة ، وكتاب **تاريخ المغرب العربي بجزئه الثالث** لسعد زغلول عبد الحميد ، و**علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب** لحسن خضيري أحمد في تتبع الأوضاع السائدة ببلاد المغرب الإسلامي – الأدنى و الأوسط – قبل الدخول الهلالي و تحديد الدوافع الكامنة وراء الهجرة ودخول بلاد المغرب الإسلامي في الكتابين الأخيرين ، أما أوضاع المغرب الأوسط كتاب **دولة بني حماد** للمؤرخ عبد الحليم عويس والتي لا يقل عنها أهمية كتاب **الدولة الصنهاجية** للمستشرق الهادي روجي إدريس خاصة **الجزء الأول.**

– **القبائل العربية ببلاد المغرب** لصاحبه مصطفى أبو ضيف ، المفيد في تحديد بطون بني هلال ومناطق استقرارها ببلاد المغرب الإسلامي وفي تحديد الأبعاد السياسية لتلك البطون ، خاصة في علاقتها مع أبرز دول المغرب الإسلامي في الفترة المرتبطة بكتابه.

– عبد الوهاب بن منصور بمرجعه التاريخي المهم **قبائل المغرب ج1** ، الذي ساعدنا أيضا في الكشف عن بطون بني هلال ومناطق استقرارها .

– ونفس الأمر بالنسبة لأحمد توفيق المدني من خلال كتابه **الجزائر** ، ويظهر ذلك جليا انطلاقا من عنوانه أي المغرب الأوسط .

– **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج2** للمؤرخ الجزائري مبارك الميلي ، يعطينا من خلاله صورة دقيقة عن بطون بني هلال خاصة التي استقرت بالجزائر . وفي محاولته للكشف عن آثارها ينتقد ابن خلدون و غيره من المؤرخين لذكر بعض إيجابياتها بالمنطقة . بالرغم من أن كتابه مرتبط بالمغرب الأوسط (ولم يحدد ذلك) .

– **المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي** لمحمد حسن ، فإن الكتابين السابقين اهتما بالمغرب الأوسط ، فهذا المرجع كان مهما بالنسبة إلينا لتحديد البطون التي ضمنت استقرارها ببلاد المغرب الأدنى ، و استفدنا منه أيضا في دراسة جوانب أخرى من الموضوع – كعلاقتها مع الدولة الحفصية مثلا و آثارها بالمنطقة– .

– بوسماحة عبد الحميد فاستعنا بكتابه **رحلة بني هلال إلى الغرب و خصائصها التاريخية و الاجتماعية** للتعرف على أسباب الهجرة الهلالية ، خاصة السياسية والاقتصادية منها. وكتاب عبد الحميد يونس الموسوم **بالهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي** للتعرف على مواطن الاستقرار قبل الهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي.

– **مجمل تاريخ المغرب ج2** للمؤرخ عبد الله العروي ، الذي ساعدنا كثيرا في التعرف على الآثار السلبية و الإيجابية لتواجد بطون بني هلال في بلاد المغرب و تحديد وجهات نظر المؤرخين و المستشرقين.

– **تغريبة بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية** ، وهي مذكرة دكتوراه ، ورغم ارتباطها بالأدب إلا أنها أرشدتنا من الناحية التاريخية لتوضيح دوافع الهجرة الهلالية خاصة السياسية و الدينية منها ، وكذا في تحديد آثار التواجد.

- **صعوبات الدراسة :**

لا يمكن أن يخلو أي بحث من صعوبات تعترضه ، فقد تتعلق بالموضوع في حد ذاته، أو تكون مرتبطة بشخص الباحث و الظروف المحيطة به ، وبالتالي كان أن اعترضتنا مجموعة من العقبات في خضم إنجاز هذا البحث :

- أهمها قلة المصادر المرتبطة بالموضوع و بعض جوانبه الأخرى المكملة له ، مما جعلنا نعتمد على المصدر الواحد في كشف بعض الحقائق التاريخية .

- صعوبة اقتناء المعلومات من مصدر لآخر كانت دائما تدفعنا لاستخلاصها من خلال بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع .

- ارتباط الموضوع بحدث تاريخي أثار الكثير من وجهات النظر والجدل التاريخي ، جعلنا نتخوف من تأويل بعض الأحداث التاريخية ، محاولين من خلال هذا الابتعاد عن الذاتية في طرح الموضوع.

- يضاف إلى كل هذه العقبات قصر مدة البحث لأنه عادة ما تحتاج مثل هكذا دراسات إلى مدة طويلة معتبرة لتستوفي الفائدة المرجوة منها.

نرجو من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا في دراستنا للموضوع و الإحاطة بجوانبه المختلفة ، الذي حاولنا من خلاله الكشف عن أشهر بطون بني هلال و آثارها المختلفة ببلاد المغرب الإسلامي ، و أن نفيد من خلاله بعض الدراسات التاريخية الاجتماعية المهتمة بدراسة القبائل العربية و مواطن استقرارها ، و إزالة بعض الغموض حول الجدلية التاريخية المتضاربة حول سلبيات و إيجابيات تلك البطون .

ونشكر أساتذتنا الأفاضل المختصين بالتاريخ الوسيط في المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ، على فتحهم المجال أمامنا لخوض غمار تجارب البحث العلمي ، و أخص بالذكر الأساتذة المشرفة الدكتورة بوخاوش مريم على صبرها ووقوفها معنا من أجل إتمام هذه الدراسة. والأستاذ الدكتور عبد العزيز شهبي على توجيهاته و نصائحه العلمية القيمة.

الفصل الأول :

أصل ونسب بني هلال وقراءة في أسباب الدخول خلال القرن 5هـ/11م .

أولا : التعريف ببني هلال

1- أصل بني هلال .

2- نسب قبيلة بني هلال

ثانيا : أماكن الاستقرار قبل دخول بلاد المغرب .

ثالثا: الأوضاع السائدة بالمغرب قبيل الدخول الهلالي.

1- الوضع السياسي.

2- الوضع الاقتصادي .

3- الوضع الاجتماعي والثقافي.

رابعا: دوافع الهجرة الهلالية .

1- الدوافع السياسية .

2- الدوافع المذهبية .

3-الدوافع الاقتصادية .

خامسا : دخول بني هلال بلاد المغرب الإسلامي .

أصل ونسب قبيلة بني هلال و أسباب الدخول خلال القرن 5هـ/11م .

يكتسي علم النسب أهمية بالغة للإحاطة بأصل ونسب القبائل العربية ، والتي من بينها قبائل بني هلال أصحاب التغريبة الاصطلاح التاريخي الذي أطلق على القبائل الهلالية التي دخلت بلاد المغرب خلال القرن 5هـ /11م ، والتي هي في الأصل قبائل عدنانية من صلب سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

حيث أن أماكن تواجد هذه القبيلة كانت بالحجاز ، وعرفت بذلك الطابع البدوي الذي كان يجبرها في غالب الأحيان على تغيير موطنها ، تبعا لما تمليه الظروف الطبيعية والظروف المساعدة على الاستقرار ، فانتقلت إلى صعيد مصر أين مثل ذلك الموقع نقطة انطلاقها نحو الغرب .

وقد قمنا بتقديم الظروف التي سادت بلاد المغرب على دوافع و أسباب الهجرة الهلالية لضمان التتبع الكرونولوجي التاريخي للأحداث رغم التداخل الكبير بينهما .

فالأوضاع السياسية التي عاشتها بلاد المغرب في تلك الفترة التي سبقت التواجد الهلالي تقودنا للحديث عن الدولتين الزيرية والحمادية ، وعلاقتها بوجه الخصوص مع الخلافة الفاطمية بمصر ، فالدولة الزيرية كانت المتضرر الأول من قطع الدعوة لهم ، حتى و إن كانت الدولة الحمادية السباقة في الدعوة لبني العباس منذ سنة 405هـ . وتعتبر الفترة الممتدة من 405هـ/443هـ فترة مميزة في التاريخ السياسي للمغرب ، حيث تم التركيز على عهد المعز بن باديس أمير الدولة الزيرية ، وعهدي حماد بن بلكين و ابنه القائد في الدولة الحمادية ، وتم تخصيص الجزء الأكبر للمعز نظرا للتطورات السياسية وتعدد أقطاب الصراع أثناء حكمه.

وبالحديث عن الأوضاع الاقتصادية تجدر الإشارة للمكانة الكبيرة التي ظهرت عليها الدولة الزيرية بحكم قربها من مركز الخلافة بمصر وسهولة التبادل التجاري ، وما شهدته الدولة في

عهد المعز من ازدهار اقتصادي ، أما في المغرب الأوسط حين ظهرت الدولة الحمادية كحاضرة اقتصادية اهتمت بأوجه النشاط الاقتصادي المختلفة الزراعة ، الصناعة ، والتجارة .

رغم ما شهدته المنطقة خاصة المغرب الأدنى " إفريقية" ، من بعض المعيقات و تمثلت بدرجة كبيرة في بعض الكوارث الطبيعية التي مستها قبيل ذلك الزحف بسنوات قليلة.

وفي ظل المعطيات التاريخية المقترنة بالحالة السياسية والاقتصادية ، ظهر المغرب الإسلامي بشقيه الأدنى والأوسط كحاضرة أثرت و تأثرت بالمناطق المجاورة وتفاعلت مع المتغيرات ، مما قادنا للتأريخ لفترة عاشتها البلاد مزدهرة اجتماعيا و ثقافيا حيث ساد الأمن والاستقرار والرخاء مع ظهور مبدأ التسامح ، غير أنه وجدت بعض التناقضات بسيطرة العنصر واللسان البربري ووجود بعض الفوارق والطبقية الاجتماعية .

ومن هنا كانت الظروف مهيأة لاستقبال عناصر جديدة ، في حادثة تاريخية لم يهملها المؤرخون وتضاربت حولها الآراء ممثلة في إشكالية الهجرة الهلالية أو الغزو الهلالي.

وبالتالي تعددت الأسباب و الدوافع الكامنة وراء تلك الهجرة ، فمنها السياسية والمذهبية والاقتصادية ، وللتداخل الكبير بينها لا يمكن الجزم بالسبب والدافع الرئيسي لذلك.

وقد تم التركيز على الإطار المكاني المغرب الأدنى و الأوسط ، لارتباطه ارتباطا وثيقا بالإطار الزماني المتمثل في منتصف القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي ، الذي مثل بداية ذلك الزحف نحو المغرب الأدنى (إفريقية) كمحطة أولى ، فالمغرب الأوسط كقبلة ووجهة ثانية ، إلى أن ساد انتشار تلك القبائل و التي تقودها جموع بني هلال على دفعات متباينة المغرب الأقصى و بعض المناطق الصحراوية ، ومنه المغرب الإسلامي ككل.

أولا : التعريف ببني هلال

1- أصل بني هلال :

انطلاقا من قوله عز وجل : " إِنَّا خَلَقْنَاكَمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنثَى وَ جَعَلنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ." [1] ، ينبغي التعرف على ما وضعه النسابة قبل الحديث عن أصل ونسب بني هلال نظرا لأهمية هذا العلم " علم النسب " .

وتجدر الإشارة إلى أن العرب أرحاء وجماجم وشعوب وقبائل ، أما الأرحاء من العرب فست ، والجماجم تسع ، وسائر العرب قبائل وعمائر ، فالجماجم – على سبيل المثال لا الحصر – اثنتان في ربيعة ، وأربع في مضر منها : غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وهوازن بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان (التي تعتبر الفرع الرئيسي لمعرفة نسب قبيلة بني هلال كما سيأتي لاحقا)

ثم العرب شعوب وقبائل ، فأول العرب شعوب :هو بفتح العين وهو النسب الأبعد ، إذ هو أبو القبائل الذين ينسبون إليه ويجمع على شعوب ، وإنما سمي شعبا لأن القبائل تتشعب منه . ثم قبائل : القبيلة لتقابل الأنساب فيها بعدما انقسم الشعب إليها ، ثم عمائر : بكسر العين المهملة وهي ما انقسم فيها أنساب القبيلة ، وتجمع على عمارات وعمائر ، ثم بطون : هي ما انقسم فيه أقسام العمارة ، ثم أفخاذ : ما انقسم فيه أقسام البطن ، ، ثم فصائل : ما انقسم فيه أقسام الفخذ [2]، ثم عشائر ، ويقال : " إنما سميت العرب شعوب لأنهم حين تفرعوا من إسماعيل و قحطان صاروا شعوبا ، ثم حين تقابلوا و نظر بعضهم إلى بعض في حلة واحدة ، وكانوا كقبائل الرأس[3]

وبهذا تتأكد الأهمية البالغة لعلم النسب في دراسة الأصل نظرا لتداخله وتشابكه لاختلاف الروايات التاريخية مع المرويات الشعبية.

1- سورة الحجرات / الآية 13.

2- أحمد بن عبد الولي البتي البلنسي الأندلسي، تذكرة الألباب بأصول الأنساب ،تحقيق محمد مهدي الموسوي ، ط 1 ، دار المواهب ، بيروت ، 2001 ص ص 62-36

3- أبو بكر الحازمي الهمذاني ، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي ، تحقيق عبد الله كنون، ط2 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1973 ، أنظر بتفصيل أدق : أبي العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922 ، ج 1 ، ص ص 108-112.

فجميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال : وهم عدنان ، وقحطان ، وقضاعة . فعدنان من إسماعيل بلا شك في ذلك . إلا أن تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جهلت وتكلم في ذلك قوم بما لا يصح [1].

والعرب كلها ترجع إلى أصلين : عدنان وقحطان ، وكان الملك في الجاهلية لقحطان حتى نقله الإسلام إلى عدنان ، فلا خلاف بين أهل العلم بالنسب ، أن العرب يجمعها جذمان . و الجذم : الأصل ، فأحدهما عدنان والآخر قحطان ، فإلى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض . ولا يخلو أحد من العرب من أن ينتمي إلى أحدهما . ولا بد أن يقال عدناني أو قحطاني .[2]

وتمت الإشارة إلى نقطة حساسة وهي عدم الإلمام بالآباء من عدنان إلى إسماعيل عليه السلام ، فقد نقل الطبري[3] عن هشام بن محمد أن فيما بين عدنان وقيدار نحوا من أربعين أبا ، ومن النسابين من بعد مابين إسماعيل وعدنان عشرين أبا ، ومنهم من يعد خمسة وعشرين أبا ونحو ذلك ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تجاوزوا معد بن عدنان ، كذب النسابون ، ثم تلا : " وقرونا بين ذلك كثيرا ."[4]

وبهذا فهي من العرب المستعربة المنحدرة من صلب إسماعيل وتسمى بالعرب العدنانية .[5]

والمستعربة هم الداخلون في العربية بعد العجم ، قال الجوهري ، وربما يقال لهم : المستعربة : لأنهم ليسوا بخلص[6] .

1- ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 ، ص 33.

2- أحمد بن عبدالولي البتي البلنسي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص62

3- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، ج2 ، ص ص 271-276.

4- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة – بيروت ، 1982 ، ص ص 107-108.

5- صفي الرحمن المباركافوري ، الرحيق المختوم ، ط1 ، دار المستقبل ، مكة المكرمة ، 2005 ، ص 10.

6- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980 ص ص 11-12.

كما أنها تعرف بالعرب المتعربة ، وتسمى العرب العرباء ، و إنما قيل لبني إسماعيل بن إبراهيم المتعربة ، لأنهم سكنوا بين أظهر الأمم المتقدمة و تكلموا بلسانهم. [1]

وهناك من يذكرهم على أنهم عرب مستعجمة [2] ، تأكيدا لما سبق أنهم ليسوا بخلص .

وكما مر بنا أن ابن حزم يورد أن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة رجال هم عدنان و قحطان وقضاعة ، و أن عدنان من ولد إسماعيل ، وقد ولد عدنان معد ، ومن أولاد معد نزار ، ومن أولاد نزار مضر ، ومن أولاد مضر قيس عيلان ، وقد انحدر العديد من العرب من قيس عيلان حتى أطلق على عرب الشمال الذين هم عدنان إلى اسم القيسية .[3]

أي أنها تنتمي إلى الفرع العدناني الشمالي " مايسمى بعرب الشمال " و قد ذكرها ابن خلدون وأبو الفداء ضمن القبائل المسماة " العرب التابعة " وهي الطبقة الثالثة من العرب المستعربة .[4]

فهلال حسب تصانيف الأنساب العربية تعتبر من قبائل مضر المنحدرة من عدنان " المضرية" فهي تنتمي إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، من العرب المستعربة من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وكانت من القبائل ذات السيادة والريادة في عرب الجاهلية .[5]

حيث أن جل المصادر التاريخية تشير إلى أن أصل بني هلال ترجع إلى عدنان ، ولهذا يعرفون بالعدنانية ، وتم التعرف على أنها العرب المستعربة أو المتعربة أو المستعجمة ، بالإضافة إلى أنها تعرف بالقيسية أو المضرية .

إلا أنه لتحديد أصل هذه القبيلة والمعروفة في التاريخ بأصحاب التغريبة ، ينبغي تمييزها عن القبائل التي تشترك معها في الاسم ومنها :

---

[1]– عمر بن يوسف بن رسول ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تحقيق ك – و سترسين ، دار صادر ، بيروت ، 1992، ص 55.

[2]– ولد السالم حماه الله ، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2012 ، ج2 ، ص444.

[3]– فايزة محمد صالح و أمين سجيني ، غزو بني هلال وبني سليم ، مكتبة النهضة المصرية ، 2007 ، ص27. أنظر : ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 33.

[4]– الراضي دغفوس ، مراحل تاريخ الهلالية في المشرق : مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، العدد 11 ، ص 209 . أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 2000م ، ج6 ، ص 03.

[5]– فرج عبد العزيز نجم ، القبيلة و الإسلام والدولة في ليبيا، دار الدعوة ، القاهرة ، 2004 ، ج 2 ، ص70.

– بنو هلال بن عفر من قيس عيلان (عدنانيون) .

– بنو هلال بن عمر بن جشم بن عوف بن النخع (قحطانيون) .

– بنو هلال بن عامر بن ثعلبة بن زيد بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط (عدنانيون).[1]

كما تجدر الإحاطة بموطنهم الأصلي وهكذا يتم التعرف أكثر على أصل قبائل بني هلال التي دخلت بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 5ه /11م .

و أصل موطن قبائل عرب هلال هي بلاد الحجاز و بعض تخوم نجد ، فهي قبائل بدوية رعوية ، تنسب إلى عرب الشمال العدنانية ، تضطرها بعض الأحيان إلى احتراف الغارة على الجيران أو قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج ، وعلى مكة أثناء الموسم ، وكان بنو هلال في جبل غزوان قريبا من الطائف ،وربما كانوا يطوفون في رحلة الشتاء والصيف بأطراف العراق والشام و إغارتهم على الضواحي و إفساد السابلة و القطع على الرفاق و التجار [2]

أي أن الجزيرة العربية كما يبين أحدهم هي موطن القبائل العربية ، وكانت العلاقة بين هذه القبائل تتحد حسب ما تمليه الظروف والمصالح ، و من هذه القبائل بنو هلال بن عامر بن صعصعة التي كانت تقطن و تسكن في وسط غربي الجزيرة العربية ، والموطن الأصلي لمجموعة القبائل يبدأ من غرب واحة تربة الذي يمتد نحو الشرق مارا برينه إلى الأراضي المرتفعة جنوب الرياض بمكة المكرمة و ينتهي عند خط 44° و لا نستطيع تحديد الحد الشمالي و الغربي الشمالي لعدم استقرارهم بهذه المناطق ، و سكنت قبيلة بنو هلال واستقرت أيضا في أماكن متفرقة من نجد [3] . كما تم الإشارة إلى ذلك آنفا .

1– أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري و عبد الحليم عويس ، بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ و الأدب ، دار العلوم ، الرياض،1981 ، ص 17. وللاستزادة أكثر أنظر : أبو جعفر محمد ابن حبيب ، مختلف القبائل و مؤتلفها ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة – بيروت ، ص ص 47–48.

2– عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 18.

3– عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 101 –102 .

2- نسب قبيلة بني هلال :

يطلق اسم الهلاليين "بني هلال" على العرب الذين هاجروا أو غزوا إفريقية كمحطة أولى خلال القرن الخامس هجري – الحادي عشر ميلادي ، وهم مجموعة القبائل العربية المتحالفة أو التي أجبرت على التحالف لسبب ما ، وعرفوا باسم بني هلال لأن الرياسة كانت عند دخولهم للأثبج وهلال فأدخلوا فيهم وصاروا مندمجين في جملتهم من باب إطلاق الخاص على العام ، وقد يضاف إليهم غيرهم من قبائل العرب.[1]

وتذكر روزلين ليلى قريش عن فروعهم أو جزء من فروعهم وهي تقدم سيرة بني هلال(ما هم إلا أجداد لأغلب أبناء وطننا وهو ما يؤكده آخرون ، فعرب اليوم المستقرون في إفريقية هم أحفاد العرب المهاجرين أيام الدولة الصنهاجية .[2] وهنا يظهر نوع من المبالغة لأنه قد وجد عرب الفتح قبل هذا بعدة قرون.

وبالرغم من أن الشائع وما جرت عليه العادة عند العرب التعصب لأنسابهم ، وتوقف البعض في نسب هؤلاء لعدم توفر أي أدلة تثبت نسبهم أو قرائن تنسبهم لقبيلة أخرى غير بني هلال ، لبني عامر و أن أمر الأنساب شائك لا يكفي اعتماد المرويات الشعبية القبلية للفصل فيه و إلا اختلط الحابل بالنابل . مع عدم نفي المروية الشعبية نفيا قاطعا.[3]

إلا أن الواضح من خلال ما أشار إليه جل النسابة المؤرخين ، ما يثبت قطعية نسب قبيلة بنو هلال ، وهذا ما سنورده من خلال الاعتماد على أهم المصادر التاريخية المهتمة بدراسة الأنساب . وبالتالي نسب بني هلال الذين اتجهوا إلى الغرب يرجع لجدهم الذي ينسبون إليه هو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .فمن بطون عامر : بنو هلال [4] بن عامر بن صعصعة.[5]

---

[1]- عزي بوخالفة ، تغريبة بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية ، أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر ، 2002-2003 ، ص 73 .

[2]- أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص 129.

[3]- عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص103.

[4]- أبو العباس بن أحمد بن علي المقريزي ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، دار النشر ، القاهرة ، 1961 ، ص 28.

[5]- ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983، ص 354.

و يتحدث ابن حزم الأندلسي عن هذا النسب عندما يقول : "وهؤلاء بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر".[1] والتي سنذكرها بأدق التفاصيل فيما سيأتي لاحقا .

ويتحدث عز الدين ابن الأثير عن قبيلة بني هلال فينوه بكثرتها وبكثرة ما أنجبته من العلماء فيقول : الهلالي بكسر الهاء هذه النسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن قبيلة كبيرة ينسب إليها الكثير من العلماء .[2]

والهلالي كما مر منسوب إلى هلال فبطن منهم قبيصة بن مخارق الهلالي [3] وجماعة من الصحابة فمن بعدهم وهم بالبصرة .[4] و هي قبيلة نزلت الكوفة .[5] والمنتسب إليها ولاء الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران [6].

وهم بنو هلال بن عامر .... من العدنانية ، كانوا يسكنون الحجاز ونجد حول مكة . وفي بسائط الطائف مابينه وبين جبل غزوان ، وأقاموا بالشام إلى أن ظعنوا إلى مصر والمغرب العربي الأوسط .[7]

حيث يتضح أن أهم الفروع لقبيلة بني هلال تعود إلى كل من : مضر و قيس عيلان فهوازن وصولا إلى الأب عامر بن صعصعة .

---

[1]– ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 273. أنظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين و المستشرقين ، ط5 ، جار العلم للملايين ، بيروت ، ص 287.

[2]– عز الدين بن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ج3 ، ص 396.

[3]– أو هو قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد بن معاوية بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ، له رواية ، وابنه قطن بن قبيصة ، وأبو جامع بن المخارق ابن عبد الله بن شداد . أنظر: ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 273.

[4]– أبو بكر الحازمي الهمذاني ، المصدر السابق ، ص 125.

[5]– عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، الأنساب ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط 1 ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، 1981 ج 12 ، ص 356 و ما بعدها .

[6]- واسمه ميمون أبو محمد الهلالي مولى إمرأة من بني هلال ، وهو كوفي ونسبه إلى هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط .أنظر عنه : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، لب الألباب في تحرير الأنساب ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز ،ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991 ، ج 12 ، ص 331 . و أنظر أيضا شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ،د.ت ، ج 8 ، ص ص 400 –418.

[7]– سلطان طريخم المذهن السرحاني ،جامع أنساب قبائل العرب ، ص 161 . أنظر المبحث الموالي : أماكن الاستقرار قبيل دخول بلاد المغرب .

و عند الحديث عن مضر فهو مضر ابن نزار [1] ، فالمضري بضم الميم ، وفتح الضاد المعجمة ، وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى مضر ، وهي القبيلة المعروفة التي ينسب إليها قريش ، وهو مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، أخو ربيعة بن نزار ، وهما القبيلتان العظيمتان اللتان يقال فيهما (أكثر من ربيعة ومضر) و جماعة من العلماء والمحدثين من المتقدمين و المتأخرين [2]

و بهذا يتحدد بأن قبيلة بني هلال ذات نسب عريق خاصة عند الحديث عن قريش التي ينسب إليها خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .

وعند حديثنا عن أصل قبيلة بني هلال فهي مشهورة بالقيسية نسبة إلى القيسي [3] أي قيس بن عيلان فأولاده خصفة و سعد وعمرو ، وجميع قبائله هوازن و غطفان و بنو سليم وفهم وعدوان و غني و باهلة و محارب .[4]

وعند ذكر الفرع الرئيسي لهذه القبيلة ، والذي تحدث عنه جل المؤرخين والنسابة هوازن[5] بن منصور . وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [6] . أي أنها من العدنانية و هؤلاء الذين أغار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم و غزاهم [7] أو ما يعرف بالهوزاني .[8]

---

[1]– عمر بن يوسف بن رسول ، المصدر السابق ، ص57 . أنظر أيضا: ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 10 و مابعدها .

[2]– السمعاني ، الأنساب ، ج 11 ، ص 357. أنظر عنه : جلال الدين السيوطي ، المصدر السابق ، ص261.

[3]– فالقيسي منسوب إلى قيس بن عيلان بالعين المهملة ، وهو أخو إلياس بن مضر و قيل : إنما سمي قيس عيلان بفرس كان له . وقيل : بغلام كان له اسمه عيلان أو برجل كان يحضنه ، وقيل : بكلب كان له وغير ذلك و هم خلق كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، أنظر: أبو بكر الحازمي الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ص 105 – 106. أنظر بالتفصيل عنها : السمعاني ،الأنساب ، ج 10 ، ص ص 291–295.

[4]– عمر بن يوسف بن رسول ، المصدر السابق ، ص 61.

[5]- جمع هوزن ، وهو ضرب من الطير ، وقد سمت العرب هوزنا . أنظر : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 ، ص 291.

[6]- السرحاني ، المصدر السابق ، ص 164.

[7]- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 442.

[8]– قبيل ينسب إليهم جماعة من الصحابة ومن بعدهم . أنظر ، أبو بكر الحازمي ، المصدر السابق ، ص 125.

وكان لهوازن ثلاثة بطون كبيرة كلها ترجع إلى بكر بن هوازن وهي : بنو معاوية بن بكر (التي ترجع إليها قبيلة بنو هلال) ، وبنو منبه بن بكر ، وبنو سعد بن بكر[1] وهؤلاء الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعا فيهم [2] فجاءته بنت حليمة ، أخته من الرضاعة يوم حنين فطرح لها طنفة ردائه ، وأعتق لها سبي قومها أجمعين.[3] وكان كل هذا في السادس من شوال ثمان للهجرة بعد فتح مكة ، وكان مع الرسول اثنا عشر ألفا من المسلمين ورئيس هوازن مالك بن عوف النصري ، فلما نظر إلى جيش المسلمين قال: هلكت هوازن ، فلا هوازن بعد اليوم ، فهزمت هوازن وطاردهم المسلمون إلى أوطاس ، وبعد عودة النبي من الطائف وصل إلى الجعرانة وفيها سبي هوازن ، كما أنها ارتدت عن الإسلام سنة 11هـ .[4]
وهكذا يمكن أن نؤكد النسب العريق لقبيلة بني هلال بالنظر إلى أن أبناء عمهم استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . و ما يثبت ذلك أيضا أن ميمونة بنت الحارث بن خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم والتي ماتت في حياته ، وتدعى أم المساكين من بني هلال .[5]

كما تعود قبائل بنو هلال في أصلها الأول إلى كونفدرالية عريقة ومشهورة ، وتاريخيا شكلت قبائل بني عامر الكتلة الأكبر لهوازن بدورها من القبيلة الأم والقوة الضاربة لهذه القبيلة ، وغالبا ما كان اسم بني عامر يغلب حتى على اسم أصلهم هوازن بن منصور .

حيث يؤكد ابن حزم على أهميتها ودورها حين ميزها على بقية القبائل ففيها البيت والعدد [6] فعامر بن صعصعة بطن من هوازن من قيس عيلان من العدنانية ، ويقال لهم : الأحامس ، وقد وصفهم دغفل النسابة فقال : أعناق ظباء و أعجاز نساء .[7]

---

[1]- السرحاني ، المصدر السابق ، ص 164.

[2]- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 340.

[3]- ابن دريد ، المصدر السابق ، ص 291.

[4]- السرحاني ، المصدر السابق ، ص ص 164 -165.

[5]- أبو الحسن اليمني القرطبي ، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب ، ص ص 20-21.

[6]- ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 271.

[7]- عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط 8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1997 ، ج 2 ، ص 708. أنظر أيضا : القلقشندي ، المصدر السابق ، ص330.

ويؤكد على تاريخهم حين وقعت حروب كثيرة بين هذه القبيلة وغيرها من القبائل ، منها يوم النسار و الفلج الأول والنشاش و يوم شعب جبلة ، وهي وقعة مشهورة ضد عدة قبائل كان النصر فيها حليفا لبني عامر [1]

ورغم الاختلاف بين بعض المؤرخين في محاولة تحديد نسب هؤلاء لأنها تتشابه مع قبيلة بنو عامر بن عوف بن مالك بن سعد لأن هؤلاء كما ذكر في العبر لم يتم وصل نسبهم بعامر بن صعصعة ومساكنهم بجهات البصرة .[2]

ويميزهم آخر عن القبائل المتشابهة معها فالأولى تنسب لعامر بن لؤي والثانية هي محل الدراسة وبنوه بكثرة ما أنجبته من علماء(رواة الحديث والفقهاء) [3]. و يذكر القلقشندي على أنه ينسب إليهم مجنون بني عامر الشاعر الذي كان يشبب ليلى .[4]

وأولاد عامر هم : كلاب ، ربيعة ، هلال ، نمير ، و سواءة .[5] وكل واحد منهم لحق بالعمائر العظام [6] و كل من كان من أولاد هؤلاء البطون ينسبون إلى الجد الأعلى ، فيقال لهم : عامري [7] ، ومنهم جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم .[8]

و كما سيأتي أن العدنانية مرت بأربعة عشر جيل (من عدنان وصولا إلى هلال)

فيعتبر عامر بمثابة الابن مئة وسبعة وثمانون(187) ، ويقع ضمن الجيل الثالث عشر إضافة إلى قبيلة بني هلال التي تقع ضمن الجيل الرابع عشر في دراسة لأحد الباحثين حين تحدث عن قبائل قيس عيلان ، ويعتبر هلال الابن مائتين و اثنان وستون (262) في شجرة النسب .

---

[1]- عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 709. أنظر بتفصيل أكثر : السرحاني ، المصدر السابق ، ص ص 94-95.

[2]- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 330.

[3]- أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي ، الأنساب المتفقة في الخط والمتماثلة في النقط ، ص 102.

[4]- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص 340.

[5]- ابن دريد ، المصدر السابق ، ص 293.

[6]- أحمد البتي البلنسي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 96.

[7]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 102.

[8]- الحازمي ، المصدر السابق ، ص 87.

ثانيا : أماكن الاستقرار قبل دخول بلاد المغرب .

إن تحديد موطن أو أماكن استقرار قبيلة بني هلال يبقى من الأمور التي تتراوح بين النسبي والمطلق ، لأنه يصعب تحديد ذلك ، و لأنه يكاد يكون من المتعذر أن نحدد ديار كل مجموعة من القبائل على وجه التحقيق الدقيق ، ذلك أن قانون الحياة البدوية في الجزيرة العربية كثيرا ما يضطر إلى الارتحال من مواطنها وانتجاع مواطن أخرى ، ولم تكن هجرة هؤلاء البدو دائما أبدا كهجرة الطير في مواسم طبيعية معينة بعينها من موضع بعينه إلى موضع بعينه والعودة إلى الموضع الأول وهكذا . فكثيرا ما تجاوز طلب الغيث و انتجاع الكلأ و تقطعت بهم عامدين أو غير عامدين ، أسباب العودة إلى ديارهم ، ومن ثمة اتسعت الدائرة على الباحث في نجوع هذه القبائل و منازلها و اختلطت عليه الروايات، وليس من سبيل يصل فيه إلى شيء راجح إلا بتتبع مختلف الروايات تتبعه للأنساب سواء بسواء [1].إلا أنه توجد بعض المصادر التاريخية والجغرافية التي تعد مهمة لإزالة ولو جزء من تلك النسبية.

وحتى يتحقق ذلك فإن أماكن تواجدها ارتبطت بالزمن (العصر الجاهلي–قبل الإسلام ومع مجيء الإسلام وبعد الإسلام) ففي هذه الفترة الأخيرة مثلا عملوا على كراء مهجهم وسيوفهم لمن يدفع أكثر فكانوا يتراوحون –في انتمائهم – مرة مع الدولة العباسية ومرة مع الفاطميين ومرة إلى جانب القرامطة في البحرين ...[2] (وهنا يصعب التحديد) وبهذا يمكن التتبع الكرونولوجي للأحداث التاريخية . وهذا أيضا يتصل ويرتبط بعلم النسب ، فبحديثنا عن تلك القبيلة أشرنا إلى أنها من العدنانية (عدنان) و فروعها الكبرى : مضر و قيس عيلان و هوازن .

فها هو ابن خلدون[3] يعطينا صورة عن أماكن تواجدها :فقد اختص بنجد من العرب بنو عدنان لم تزاحمهم فيه قحطان إلا طيء من كهلان ... وافترق من عدنان في تهامة والحجاز

---

[1]– عبد الحميد يونس ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي ، ص 17.

[2]–بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ والهجرة والاستقرار) ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001 ، ص 28.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج2 ، ص 358.

ثم في العراق و الجزيرة ، ثم افترقوا بعد الإسلام على الأوطان.) وهنا يلعب العامل الزمني دورا كبيرا في تحديد المكان.

ويضيف نفس المصدر بالحديث عن أشهر فروعها : (و أما مضر بن نزار و كانوا أهل الكثرة والقلب بالحجاز من سائر بني عدنان ، وكانت لهم رياسة مكة ويجمعها فخذان عظيمان خندف وقيس .)[1]

وعند ذكر مواطن قيس فإن المسالك تتشعب على الباحث في ديارهم ، والقصص تزعم أن موطن قيس الأصلي هو تهامة ثم انتشروا في العصر الجاهلي ، وإن لم يكن ذلك قبل الإسلام بأمد طويل في رقعة متسعة من الأرض أواسط الجزيرة العربية وشماليها ، و أقامت جماعات منهم في الشمال الشرقي و الجنوب الشرقي من مكة ، وتفرقت أخرى في مشارف نجد ومواضع من الحجاز و اليمامة ، وبلغوا البحرين و شاركوا في مملكة الحيرة اللخمية ووصلوا إلى العراق.[2]

أما هوازن (البطن الرئيسي) بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس نزلت ما بين غور تهامة إلى ما وراء بيشة (أحد أودية بني هلال) وبركة ناحية السراة والطائف و ذا المجاز و حنين و أوطاس و ما صاقبها من البلاد.[3]

أي أنها تفرقت في نجد على حدود اليمن و شرقي الحجاز بالقرب من مكة.[4] ومن مياههم ، ذو الحليفة و تيان أو ثيان ، ومن جبالهم : المضيح. و المواضع التي تنسب إليهم أملح وعدس المطاحل و الدردا والضبعان و فيف الفحلتين وفيف الريح.[5] وذو المروة والعيص.[6]

ويضيف الهمداني أثيدة وذو وقط من ديارهم [7]

والبلاد من تبالة إلى نخلة ديار هوازن وفيها من كل بطونها[8] (والتي من ضمنها بنو هلال)

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 364.

[2]- عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ،ص 17.

[3]- أبو عبيد البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ،1945، ج1 ، ص 87.

[4]- عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ، ص18. أنظر أيضا : عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج3 ، ص1231.

[5]- المرجع نفسه ، ص 18. أنظر أيضا : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط1 ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء، ص 286.

[6]- الهمداني ، المصدر السابق ،ص 287.

[7]- الهمداني ، المصدر نفسه ، 298.

[8]- المصدر نفسه ، ص385. أنظر الخريطة في الصفحة الموالية الشكل -2-

و من أوديتهم : أوطاس* و ليبة [1] وحنين**[2] وعاذ[3] ومنعم[4]

وبالنظر لأماكن استقرار بنو عامر بن صعصعة [5] نرى أن بني هلال يقطنون الحجاز ونجد حول مكة .[6] ونواحي مكة فإن الغالب على نواحيها مما يلي المشرق بنو هلال[7] وفي بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان.[8]

وكما يشير البكري فالحجاز اثنا عشر دارا : المدينة و خيبر و فدك ، وذو المروة و دار بلي ودار أشجع و دار مزينة ، ودار جهينة و دار بعض بني بكر بن معاوية و دار بعض هوازن و جل سليم و جل هلال.[9]

وبصفة عامة فبنو هلال كانوا كأحلافهم يعيشون في نجد على حدود اليمن أيضا (الشكل-2)

ومنازلهم و ديارهم : العبلاء وحرة بني هلال بالبريك[10] في طريق اليمن التهامي ودوس والفتق[11] والقريحة و غروش ومران[12] و صريحة أو ضريحة[13]

---

* – بفتح أوله ، وبالطاء والسين المهملتين واد في ديار هوازن ، وهناك عسكروا هم و ثقيف إذ أجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و التقوا بحنين و رئيسهم ملك بن عوف النصري ، البكري ، المصدر السابق ، ص212.

[1]– عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ، ص 18.

** – واد قريب من الطائف ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وهو الموضع الذي هزم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هوازن ... ، البكري ، المصدر السابق ، ص 472.أنظر أيضا : عاتق بن غيث البلادي ، معجم معالم الحجاز ، ط2 ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة ، 1982 ، ص ص 510–512. و الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ص389.

[2]– عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص ص 1231–1232.

[3]– بالذال المعجمة غير منقوص ، وهو واد في دار هوازن قبل نجران . البكري ، المصدر السابق ، ص 910.

[4]– بضم أوله على لفظ مفعل من أنعم واد في ديار هوازن . البكري ، المصدر السابق، 1271.

[5]– عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ، ص 18.

[6]– عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 1221.

[7]– أبي القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، مسالك الممالك ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص 22.

[8]- عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص1221. أنظر الخريطة الشكل -2-

[9]– البكري ،المصدر السابق ، 10.

[10] – البريك مصغرا لبني هلال بن عامر نسبة للبرك (برك الغماد) في أقصى اليمن. البكري ، المصدر نفسه ، ص244.

[11]– شرق الطائف ، قرية كانت لبنب هلال ثم خربت أسفل وادي العرج شمال شرقي الطائف. أنظر: عاتق بن غيث البلادي ، المرجع السابق ،ص 1295.

[12]– أربع مراحل من مكة إلى البصرة بينه وبين مكة 18 ميلا ، أي يقع بين البصرة ومكة لبني هلال بن عامر وقيل بين مكة والمدينة ، فقد قال عرام عند ذكر الحجاز : قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار و النخيل و المزارع و هي على طريق البصرة لبني هلال وجزء لبني ماعز و بها حصن و منبر وناس كثير. أنظر : عاتق بن غيث البلادي ، المرجع السابق ، ص 1546.

[13]– فتح أوله و بالحاء المهملة ، على وزن فعيله أرض لبني هلال مذكورة في رسم غروش .رواه القالي ،و السكري يرويه بضاء معجمة. أنظر البكري ، المصدر السابق ، ص 831.

وعكاظ[1] ودومة[2].

ومن أوديتهم و مياههم : وادي جلذان[3] في الطائف وبيشة و تربة[4] و مياه البقعاء ورنبة[5]

ومن جبالهم : بين و القفا و بيش*.[6]

وبالتالي فالجزيرة العربية هي موطن القبائل العربية ، وكانت العلاقة بين هذه القبائل تتحد حسبما تمليه الظروف و المصالح ، ومن هذه القبائل بنو هلال بن عامر بن صعصعة التي كانت تسكن و تقطن في وسط غربي الجزيرة العربية (أنظر الشكل -2-) ، والموطن الأصلي لمجموعة القبائل – المذكورة مسبقا – يبدأ من غرب واحة تربة الذي يمتد نحو الشرق مارا برينه إلى الأراضي المرتفعة جنوب الرياض بمكة و ينتهي عند خط طول 44° و لا نستطيع تحديد الحد الشمالي والغربي الشمالي لعدم استقرارهم بهذه المناطق ، وسكنت قبيلة بني هلال و استقرت في أماكن متفرقة من نجد [7]. ومن خلال كل هذا ربما يعطينا صورة دقيقة عن موطن استقرار القبائل و تأكيدا لما تعرفنا عليه آنفا.

---

[1]– صحراء مستوية لا علم فيها و لاجبل ، إلا ما كان فيها من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد وقريب من عرفات ... ، وهي من عمل الطائف وقيل على ثلاث من تبالة ... وتنزل بها هوازن. أنظر : محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، 1984 ، ص ص 411-412.بموضع هوازن وسوق العرب القديمة ، وهي لبني هلال اليوم (في تلك الفترة) . أنظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 686.

[2]– موضع في ديار بني هلال . أنظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص 566.

[3]– منقلب إلى نجد في شرقي الطائف يسكنه بنو هلال . أنظر: الهمداني ، المصدر السابق ، ص 233. و عاتق بن غيث البلادي ، المرجع السابق ، ص ص 364-365.

[4]– بيشة وتربة و رنبة و العقيق أودية تصب من جبال تهامة ، مشرفة في نجد و بعض شيبة لبني هلال و بعضها لبني سلول. أنظر : البكري ، المصدر السابق ، ص 294.

تربة : واد من أودية الحجاز أسفله لبني هلال و الضباب و سلول و أعلاه لخثعم. أنظر : المصدر نفسه ، ص 1156.

[5] – واد فحل من أودية الحجاز الشرقية ، تبعد عن الطائف نحو 300 كيلومترا ، وعن بيشة 160 كيلومترا . أنظر : عاتق بن غيث البلادي ، المرجع السابق ، ص 715.

* – و بإزاء عن جبلان : أحدهما يقال له القفا و الآخر يقال له بيش ، وهو لبني هلال ... وقال الشاعر :

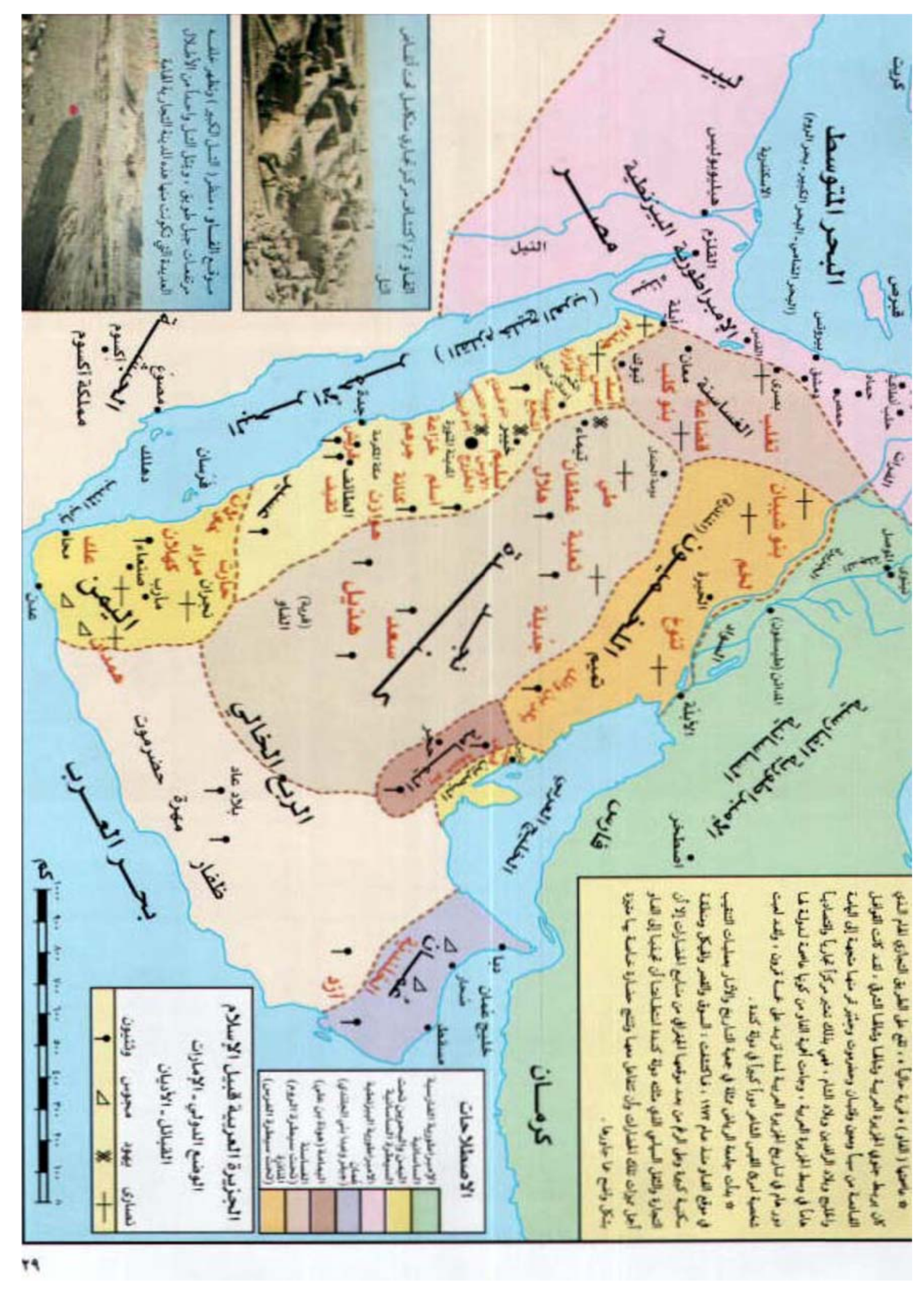
وقالوا هلاليون جئنا من أرضنا إلى حاجة جبنا لها الليل مدرعا

وقالوا خرجنا في القفا و جنوبه وعن فهم القلب أن يتصدعا. أنظر : البكري ، المصدر السابق ، 722.

والقفا : مقصور على قفا الإنسان ، جبل لبني هلال مذكور في رسم الستار . البكري ، المصدر نفسه ، ص 1086.

[6]– عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ، ص 18. و أنظر أيضا : عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 1221.

[7]– عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص ص 101-102.



(خريطة توضح مواطن استقرار بني هلال و أهم فروعها قبل ظهور الإسلام) الشكل -2-[1]

[1]– شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، ط5 ، دار الفكر ، دمشق ، 2005، ص29.

ويعطينا أيضا صورة دقيقة أيضا على أن قبيلة بني هلال سكنت في منطقة البرك على ساحل البحر الأحمر، و انتشروا في حرة يبلغ طولها نحو 110 كلم وعرضها 50كلم أو يزيد، وقاعدتها هي مدينة البرك الواقعة على نحو 150 كلم جنوب القنفدة ، وتمتد ديارهم من واد ذهبان جنوبا على نحو 15 كلم جنوب البرك ، وعلى نحو 77 كلم جنوب مكة المكرمة ، وتمتد المساحة التي يشغلها بني هلال حتى وادي راكة على نحو 42 كلم شمال البرك ، ويمتدون شرقا إلى أسفل وادي راكة حتى مصب وادي ذهبان و كلا الواديين يسيلان في البحر الأحمر ، وإمارة البرك محصورة الآن بقبيلة بني هلال و هذه الإمارة تتبع إمارة مكة المكرمة.[1] وبهذا كان بنو هلال مقيمين قبل ظهور الإسلام في نجد ، وهي منطقة كثيرة الأودية وعرفت باعتدال مناخها و ندرة أمطارها .[2] ومما ذكر يتضح بأن القبائل الهلالية في أغلبها قبائل بدوية ظاعنة و تتنقل ما بين البصرة ومكة من ناحية وما بين مكة ويثرب من ناحية أخرى ، ومن المعلوم أنها كانت تدين بالوثنية فكانوا يعبدون صنم ذو الخلصة مع خثعم وبجيلة.[3] وحتى مع مجيء الإسلام يتبين أن قبيلة بني هلال تقطن الحجاز ، فها هو نص البكري يوضح ذلك : (وجاء الله عز وجل بالإسلام وقد نزل الحجاز من العرب أسد وعبس وغطفان و فزارة و مزينة ، وفهم ، وعدوان ، وهذيل ، وخثعم ، وسلول وهلال ... وهي أودية مستقبلة بتثليث و تربة وبيشة و هي الأودية التي تقع في أرض بني عامر بن صعصعة ، ومن بقي من أعجاز جشم و نصر بن معاوية ومن ولد خصفة بن قيس فهم بالحرة ، حرة بني سليم و حرة بني هلال ..... هؤلاء كلهم من ساكني الحجاز .)[4] فالموطن لا يزال بالجزيرة العربية .

وفي عهد الخلافة الأموية فالخليفة الأموي هشام بن عبد الملك يستجيب سنة 109هـ / 727 م إلى رغبة عبيد الله بن الحبحاب – المعروف بعصبيته للقيسية والعدنانية – و ذلك

---

[1]– عبد الحميد الخالدي ، المرجع السابق ،ص102.

[2]– راضي دغفوس ، مراحل تاريخ الهلالية في المشرق مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب ، ص212.

[3]– أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري و عبد الحليم عويس ، بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب ، ص79. الخريطة الشكل –2–

[4]– البكري ، المصدر السابق ، ص 90.

بإرسال بعض البطون من هوازن – العدنانيين – إلى مصر لكي يحقق بهم التوازن المختل بين عرب الشمال و عرب الجنوب . وهوازن كما هو معروف ينحدر منهم بنو هلال.[1]

فالمقريزي يبين موطن استقرارها بدقة في خضم هذا النص التاريخي :" ... وفي ولاية الوليد بن رفاعة الفهمي على مصر نقلت قيس إلى مصر في سنة 109هـ . ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك إلا ما كان من فهم وعدوان ، فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل إلى مصر منهم أبياتا ، فأذن له هشام في لحاق ثلاثة آلاف منهم ... إلى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط ، فعرض لهم ابن الحبحاب و قدم فأنزلهم الجوف الشرقي و فرقهم فيه."[2] حيث كانت نقلتها على دفعات متوالية ... فلما راسل ابن الحبحاب هشام بن عبد الملك ، كتب إليه : أنت وذاك . فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نضر و مثله من بني سليم فأنزلهم بلبيس ... ووصل ذلك عامة قومهم تحملوا إليهم فوصل 500 أهل بيت ، ومرت سنة على إقامتهم فلحق بهم نفس العدد ، فصار بلبيس 1500 أهل بيت من قيس (ضمنهم بنو هلال) ... حتى إذا كان زمن مروان بن محمد ... مالت إليه قيس ، فمات مروان و بها ثلاثة آلاف أهل بيت ، ثم توالدوا وبدأت تتوافد جموعهم من البادية.[3] ويقول البعض بأن لهلال مواطن في العراق ، ومن ذلك أن مجموعة منهم اتخذوا محلة بوادي الكوفة حوالي 120 هـ و كان هذا المكان يعرف بمسجد بني هلال . كما استوطن بنو هلال بنواحي حلب والموصل و نزلوا المنازل وكانت من قبلهم لربيعة وكهلان.[4] ومناطق استقرارها هذه و كأنها ظلت على نفس الحال ، فكما ذكر ابن خلدون ، فكانت بطون بني هلال و سليم من مضر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية ، وكانوا أحياء ناجعة محلاتهم من قفر الحجاز بنجد ، فبنو سليم مما يلي المدينة ، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ، وربما كانوا يطوفون في رحلة الشتاء والصيف أطراف العراق والشام ، فيغيرون على الضواحي و يفسدون السابلة ، ويقطعون على الرفاق .[5] أي أنهم تعودوا على

---

[1]– بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص26.

[2]–تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار (الخطط المقريزية) ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج1 ،ص 80.

[3]–المصدر نفسه ، ص 80.

[4]– أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري و عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص45.

[5]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 18 . أيضا : العبر ، ج2 ، ص371.

الهجرة والترحال و طبيعة العيش البدوية ، و كأنها فلسفة حياة فرضت عليهم منذ أمد بعيد يعود إلى العصر الجاهلي قبل ظهور الإسلام . ونتيجة للظروف الصعبة التي أضحت عليها تلك القبائل ، فقد غدت مصدر قلق للدول المتحكمة في تلك المناطق كالدولة العباسية والفاطمية . بحكم عقلية البداوة المتوحشة التي يتصفون بها ، فإضافة إلى أعمالهم السابقة الذكر ،فالحجاج لم يسلموا منهم ، إذ استحلوا الإغارة عليهم و أباحوا سرقتهم ، ونهب أموالهم بالقوة والإكراه . وقد يقتلون من يقاومهم ، دون وازع ديني أو إنساني ، وكان النهب والإغارة ديدانهم و عقيدتهم ، فإن لم يجدوا ضحية غريبة عنهم يتحولون إلى الإغارة على بعضهم بعضا ، ونهب ممتلكات أقرب الناس إليهم.[1] وما زالت البعوث تجهز و الكتائب تكتب من باب الخلافة ببغداد للإيقاع بهم و صون الحاج من مضرات هجومهم ، ثم تحيز بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم ، وصاروا جندا بالبحرين وعمان ، ولما تغلب الشيعة على مصر والشام ، بعد أن تغلب عليها القرامطة ، فانتزعها العزيز بالله منهم وغلبهم عليها وردهم على أعقابهم بالبحرين ، ونقل أشياعهم من العرب من بني هلال وسليم فأنزلهم بالصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك.[2] وكان ذلك سنة 368هـ/987م .[3] فكان بالصعيد عدة قبائل من العرب ففي بلاد أسوان و ما تحتها بنو هلال ، فكانوا أهل بلاد الصعيد إلى عيذاب و باخيم منهم بنو قرة و بساقية قلتة منهم بنو عمر ، وانتشرت بها عدة بطون لبني هلال .[4] تلك المنطقة التي مثلت بداية هجرتهم نحو المغرب ، إلا أن فروعا من بني هلال –في ديار المغرب– لا يقتصر على فترة الزحف الهلالي الكبير فحسب ، بل تواجدت بعض الأحياء من هلال قبل ذلك بسنين في برقة وشرق طرابلس في الثلث الأخير من القرن 4هـ ، وفي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت411هـ/1021م) بالتحديد.[5]

---

[1]– بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص ص 27–28.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص18.

[3]–بوزياني الدراجي ، المرجع السابق، ص28

[4]– المقريزي ، البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، ص ص 17–18.

[5]–بوزياني الدراجي ، المرجع السابق، ص27. وهؤلاء بنو قرة فذكرهم الحمداني في عرب الديار المصرية وقال : بلادهم إخميم من صعيد مصر ، وذكرهم ابن سعيد في عرب برقة . وقال : منازلهم فيما بين مصر و إفريقية .أنظر: القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص397.

ثالثا: الأوضاع السائدة بالمغرب قبيل الدخول الهلالي.

1- الوضع السياسي :

للحديث عن الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي قبيل الزحف الهلالي ، ينبغي الإشارة إلى أهم الكيانات السياسية القائمة آنذاك ، و التي تمثلت في الدولتين الزيرية و الحمادية وارتباطهما بالتطورات التي شهدها المشرق ، بظهور الدولة الفاطمية على مسرح الأحداث بعد انتقالها إلى مصر والدور الكبير الذي لعبته في هذه المعادلة السياسية . والعلاقة بينهم حيث تأرجحت بين الخضوع التام في إطار الولاء و الصراع الذي غذته الإيديولوجية المذهبية .

فالدولة الزيرية ظهرت بالمغرب الأدنى[1] " (والتي تنسب إلى زيري بن مناد*) [2]، بعد أن سعت الدولة الفاطمية لاكتساب أكبر مناطق نفوذ بضم بلاد المغرب ، فالخليفة الفاطمي المعز لدين الله لما قرر الرحيل إلى مصر فكر فيمن يخلفه في المغرب ومن يتوافر فيه صدق التشيع ، ورسوخ القدم في الدراية بأمور هذا الإقليم ، مع الإدراك التام أن نفوذ الفاطميين لن يدوم طويلا لما كان يعرفه من شدة مراس البربر وطبيعته الثورية [3].

---

[1]- ويطلق عليه اسم إفريقية فحدها الشرقي مدينة أنطابلس التي تسمى برقة وحدها مما يلي الغرب مدينة قسنطينة والمسافة بينهما قريبة من خمسة وخمسون مرحلة وعن سبب التسمية و مناطقها أنظر :عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1963، ص ص 433-435. ومملكة إفريقية هي المغرب الأدنى ، قاعدتها في صدر الإسلام مدينة القيروان ، وسميت بالمغرب الأدنى لأنه أقرب إلى بلاد العرب ، ودار الخلافة بالحجاز . أنظر:أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي ، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج1 ، ص71.

*- لما وضعت زوجة مناد حملها ، سماه أبوه زيري ، وكان فائق الجمال ، فكان يضرب بجمالهم المثل في المغرب فيقال : " لو أنك من بني مناد" فلما كان ابن 10سنوات ، يظن أنه ابن 20 سنة لبهائه ، وكان الصبيان يدورون حوله ويسمونه السلطان. أنظر : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 24 ، ص 87.

[2]- ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد هشام ، ط3 ، نشر مكتبة العتيقة ، تونس ، 1968، ص ص 72-73. أيضا : النويري ، المصدر السابق ، ص ص 88-91. أنظر بتفصيل أكثر : رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977، ص ص 08-11.

[3]- حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996 ، ص 29.

فقام باستدعاء بلكين ابن زيري أحد رجالات صنهاجة[1] من أشير[2] إلى المهدية[3] وعينه واليا على المغرب . وكان هذا سنة 361هـ/ 792م[4] .

وقد توالى على الحكم ملوك بني زيري الثلاثة الأوائل . بلكين(361-373 هـ/972-984م) والمنصور (373-386هـ/984-996م) وباديس[5] (386-406هـ/996-1016م) وعملوا على تثبيت دعائم الدولة الفتية ، محاولين إيجاد حلول جوهرية للمشاكل التي تعترض سبيلهم ، فكانت هذه الفترة من أجل نصرة الخلافة الفاطمية ولم تشهد الكثير من الصراعات.[6]

[1] – من أوفر قبائل البربر ، وقد زعم أنهم الثلث من البربر ، وهم من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريب من الجيم ، فقامت العرب بتعريبه فأضيفت الهاء بين النون والألف فصار صنهاج ، وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر ، ويذكر أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا. أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص201-202. ، وابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص ص 70-71.و محمد الطمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010،ص ص 15-18. ومن أهم فروعها التلكاتة الذي ينتمي إليه بنو زيري بأفريقية والأندلس وبنو حماد بالمغرب الأوسط والآخر هو لمتونة صنهاجة الجنوب المرابطين . أنظر عن هذا : الهادي روجي إدريس ،الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ج 1 ، ص36.

[2] – بلدة أو حصن بينها وبين المسيلة مرحلة ، من بلاد الزاب بناها زيري بن مناد الصنهاجي ، وتعرف بأشير زيري وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة بنى زيري سورها وحصنها وليس في تلك الأقطار أحصن منها، وهي بين جبال شامخة محيطة بها . أنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 60. وبنيت المدينة سنة 324هـ في عهد القائم بأمر الله بن المهدي وكان المشرفون على بنائها من حمزة والمسيلة وطبنة . أنظر : النويري ، المصدر السابق، ص88.

[3] – مدينة محدثة بساحل إفريقية ، وكان يقال لتلك الناحية : جمة . بناها عبيد الله الشيعي الخارج عن بني الأغلب ، وهو سماها المهدية نسبها إلى نفسه (المهدي) و بداية بنائها سنة 300هـ ، وبينها وبين القيروان 60 ميلا ، والبحر يحيط بها من الجهات الثلاث ، وهي مدينتين : المهدية يسكنها السلطان وجنوده ، و زويلة يسكنها الناس. أنظر :الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 561-562. وشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977، ج5 ، ص ص 229-231.

[4]– ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص ص 74-75. أنظر أيضا : النويري ، المصدر السابق ، ص ص 92-94.

[5]– ولد باديس ليلة الأحد 13 ربيع الأول 374هـ وتولى الحكم بعد وفاة والده المنصور 3ربيع الأول 386هـ ، وكان يتولى مملكة إفريقية نيابة عن الحاكم العبيدي المدعي الخلافة بمصر ، ولقبه الحاكم نصير الدولة وكان ملكا كبيرا حازم الرأي شديد البأس ، ويذكر أن سبب وفاته بعد أن قصد طرابلس ودعا عليه أحد سكانها يسمى المؤدب محرز . أنظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، 1987 ، ج8 ، ص 87. و ابن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1968 ،ج1 ، ص ص265-266.

[6]– الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص ص 73-74.

إلا أن فترة حكم المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) [1] شكلت الحلقة الكبرى في تغير طبيعة هذه العلاقة ، حيث تزامن هذا مع ظهور دولة بني حماد في المغرب الأوسط وبداية تأزم العلاقة مع الخلافة الفاطمية بمحاولة الانفصال .

ودولة بني حماد ظهرت بالمغرب الأوسط على يد حماد بن بلكين سنة 405هـ/1014م. كان ذلك بعد تعيينه من طرف ابن أخيه باديس ابن منصور على المغرب الأوسط (ولاية آشير وضواحيها) سنة 387هـ[2] ، فأظهر مقدرة كبيرة في التسيير السياسي والحرب ، بعد إخضاعه لقبائل زناتة[3] سنة 395 [4]. ، وبعدها سعى لإقامة دولة مستقلة .

وشرع خلال سنة 398هـ في بناء مدينة جديدة عرفت بالقلعة لاتخاذها عاصمة لدولته ، واستقر بها ، و أعلن الانفصال [5].

وقد نجح في هذه الفترة في أن يكون أقوى شخصية في الزاب* والمغرب الأوسط كله الأمر الذي جعل باديس يتخوف على مستقبل الدولة الزيرية .[6]

وكانت هناك ثلاث مشاكل تتجاذب بال باديس ، سعي عمه في الاستقلال عنه ، الوجود الزناتي الخطير في جنوب إفريقية ، والصراع العقائدي الحاد بين السنة والشيعة .[7]

وهكذا تبدأ مرحلة الخلافات بين باديس وعمه حماد ، فهو صراع بين آل بلكين ومن حيث ما انتهى إليه من تقسيم الدولة إلى مملكتين [8]. فلجأ باديس إلى وساطة إبراهيم أخ

---

[1]- كانت ولادته بالمنصورية "صبرة" من أعمال إفريقية ، يوم 5جمادى الأولى 398هـ ، بويع بالمحمدية 03 ذي الحجة 406هـ ، وتوفي في 04 شعبان 454هـ بالقيروان ، بمرض ضعف الكبد . أنظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص 234.

[2]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص18.

[3] – من ولد أجانا أو زانا بن يحي بن ضريس ، أضيفت إليه الألف و التاء للتعميم عند الجمع على طريقة البربر فصارت جانات أو زانات فلما عربه العرب عاملوه معاملة المفرد و أضافوا إليه هاء الجمع فصار زناتة ، وهو من أكبر بطون البربر من البتر في بلاد المغرب . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 166-167. و النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص92.

[4]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 75.

[5]- المرجع نفسه ، ص 75.

*- تقع على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية ، وهو مدن كثيرة و أنظار واسعة وعمائر متصلة ، منها المسيلة و نقاوس و طبنة و بسكرة وتهودة وغيرها ، ، وأقرب ما لقلعة حماد من بلاد الزاب المسيلة ،وبين الزاب والقيروان عشر مراحل . أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 281 ، و لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 ، ج3 ، ص66.

[6]- عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط 2 ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1991 ، ص 63.

[7]- محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 80.

[8]- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين ، ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990 ، ج 3 ، ص 368.

حماد سنة 405هـ كي يتراجع ، لكن إبراهيم ما إن وصل إلى أخيه حتى انضم إليه . وكان هذا بداية حروب طويلة بين القوتين .[1]

ومن نفس السنة قطع حماد الدعوة الإسماعيلية ، وقتل الرافضة ، وأظهر السنة ، ورضي عن الشيخين ، ونبذ طاعة العبيديين جملة ، وراجع دعوة آل العباس .[2]

فكان بهذا حماد أول من أعلن انفصاله السياسي والروحي عن الخلافة الفاطمية في مصر ، هكذا شهدت منطقة بلاد المغرب أول خروج عن الخلافة الفاطمية بعد رحيل الفاطميين إلى مصر [3]، وأول خروج صنهاجي عنها منذ سار زيري بن مناد الصنهاجي في ركابها ، وبهذا تحقق للدولة الحمادية الاستقلال المعنوي .[4]

والملاحظ أن المغرب الأوسط انفصل عن الدولة الفاطمية ، وبداية تغير المعادلة السياسية وشق عصا الطاعة داخل بلاد المغرب الإسلامي ككل ، إلا أن أمراء بني زيري ظلوا على ذلك الولاء حتى وإن كان لفترة غير طويلة .

و عندما اتضح لباديس موقف عمه العدائي اتجاه ملكه والدعوة الشيعية جهز له جيشا أمر عليه كبير قادته هاشم بن جعفر[5]. فلقيه حماد على رأس جيش عدته ثلاثين ألف مقاتل ، مما أسفر عن هزيمة هاشم بقلعة شقبنارية [6] ، سرعان ما أعاد باديس تنظيم قواته ، وتمكن من هزيمة حماد في واد الشلف ، ثم حصاره في القلعة ، بيد أن باديس توفي فجأة أثناء هذا الحصار سنة 406هـ/ 1016م.[7] وهذا بعد حكم قصير غير مستقر انقضى في حروب متصلة مع الزناتيين من ناحية ، ومع بني عمه بني حماد أصحاب القلعة من ناحية أخرى.[8]

---

[1]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص64.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 228. محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 75.

[3]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص ص 76-77.

[4]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق، ص 64.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ط1 ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، 1956 ، ج 1 ،ص 333.

[6]- بعد القاف باء موحدة ، وبعد الألف نون ، وبعد الألف الأخرى راء : أماكن بإفريقية . أنظر : النويري ، المصدر السابق ، ص 107.

[7]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق، ص 77. أنظر بتفصيل أدق : النويري ، المصدر نفسه ، ص ص 109-110.

[8]- حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة ، 2004 ، ص 161.

وقد كان ولاء الزيريين للمذهب الإسماعيلي يتوقف إلى حد كبير على علاقتهم بالخلافة الفاطمية .[1]

فكلما سادت المودة أمعن الزيريون في إخلاصهم وولائهم و إذا ساءت العلاقة فتر ذلك الولاء بعدم التشدد على أهل السنة ، أو الاهتمام بنشر المذهب الإسماعيلي كما كانوا من قبل مما يرتب على ذلك أخطر النتائج في إمارة المعز بن باديس.

فقد خلف المعز بن باديس أباه بعد وفاته في أواخر ذي القعدة سنة 406هـ/ 1016م [2] ، وكان عمره حوالي ثمان سنوات [3] ومارست عمته السيدة أم ملال مهامها كوصية على الأمير الصغير [4] حتى بلغ سن الرشد ، وبدأ يحكم منفردا حوالي سنة 416هـ/1025م.[5]

ويعتبر عهده علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية ، بل في تاريخ المغرب الإسلامي ، من حيث أنه كان العهد الذي أنهى مرحلة التشيع الفاطمي في بلاد القيروان و إفريقية التي استمرت زهاء قرن ونصف قرن ، فعن طريق قطع هذه العلاقة و إعلان الخطبة على المنابر باسم الخلافة العباسية ، عادت السنة إلى إفريقية ، وانتهت أزمة التشيع و معاناة مشايخ المالكية على أيدي السلطات الشيعية .[6]

وتعتبر فترته حاسمة في تطور العلاقات مع مركز الخلافة بعد شق عصا الطاعة ،وهي من أهم الأوضاع التي عاشتها بلاد المغرب في تلك المرحلة ، والتي سبقت التواجد الهلالي بمدة غير طويلة ، ولذلك سيتم التركيز على عهد المعز بن باديس . فجل الكتابات التاريخية

---

[1]- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط3 ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، 1964، ص 334.

[2]- ابن الأثير ، االمصدر السابق ، ج8 ، ص87.

[3]- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س . كولان و إ . ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 1 ،ص 267. أنظر أيضا : النويري ، المصدر السابق ، ص 111.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص 334. أنظر كذلك : سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 380.

[5]- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 161.

[6]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ،ص 379.

سواء القديمة أو حتى الحديثة منها ركزت على فترة حكمه ، نظرا لارتباطها الوثيق بتغير مجريات الأحداث .

و هو الذي أبدى مهارة كبيرة في إدارة شؤون الدولة وخاض حروبا طويلة مع خصومها . وكان رجلا واسع الذكاء متجدد النشاط ذا فكر سياسي ناضج مستقل ، ولكن الظروف التي أحاطت بالمغرب الإسلامي كله أثناء حكمه الطويل ، حالت بينه وبين التوفيق الكامل الذي يرتجيه فتدهورت الدولة وتفككت وحدتها رغم ما بذل من جهود كبيرة في سبيل الحفاظ عليها.[1]

و أهم حدث في عهد المعز هو خروجه عن الفاطميين ، حتى و إن كان حماد قد فعلها قبله ، ويبدو أن الخروج على الفاطميين كان الشعار الذي يرفعه كل ثائر في المغربين الأوسط والأدنى يريد لنفسه استقطاب الجماهير والحصول على ولائها ، وذلك لأن الخروج يرضي المغاربة ويتماشى مع ميولهم .[2]

فلم تحل سنة 407هـ/1016م إلا كان المعز بن باديس يحذو حذو حماد– على الرغم من خلافهما السياسي القائم – ويسمح بقتل الشيعة ، كما أن المعز خطا خطوة أخرى إذ فرض المذهب المالكي ، وأخرج ما عداه من المذاهب الأخرى.[3] فقد كان منحرفا عن مذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة ، فأعلن بمذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة .[4]

فافتتح المعز عهده بمذبحة الشيعة[5] وقتل الروافض يوم السبت 16 محرم 407هـ/[6]25 جوان 1016م [7] ركب المعز إلى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له فمر بجماعة

[1]– حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 161.

[2]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 168.

[3]–المرجع نفسه، ص 168.

[4]– ابن خلدون ،المصدر السابق ، ص 211.

[5]– حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص55..

[6]– النويري ، المصدر السابق ، ص 111.

[7]–الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص 180.

فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء رفضة و قبلهم سنة . فقال : و أي شيء الرفضة والسنة ؟ قالوا : السنة يرتضون عن أبي بكر وعمر و الرفضة يسبونهما ، فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامة من فورها إلى درب المعلى حي الشيعة في القيروان ، حيث وقع القتل فيهم فصادقت شهوة العسكر و أتباعهم ، طمعا في النهب وانبسطت أيدي العامة فيهم ، وهذا بتحريض من عامل القيروان .[1]

وفي يوم الثلاثاء 12 جمادى الأولى ، خرج من بقي من المشارقة [2] إلى قصر المنصور بظهر المنصورية و هم حوالي 1500 فقتلوا جميعا.[3] والراجح أن كل هذا حدث بإيعاز من عمته و من لديه دراية فالمعز لم يبلغ بعد سن الرشد ، و هذا الحدث عد بمثابة بداية القطيعة عن الخلافة الفاطمية في المشرق نهائيا . فقد استمرت تلك العلاقة القائمة على تبادل الهدايا بين الطرفين ، وهذا ما حدث أعقاب هذه الأحداث سنة 411هـ . عندما أرسل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إلى المعز سجل ومعه 15 علما منسوجة بخيوط مذهبة .

وحتى مع مقتل الحاكم بأمر الله فقد استخلفه ابنه الظاهر في ذي الحجة من نفس السنة ، وكان أن أرسل مجموعة من الهدايا وتشريف جليل لشرف الدولة أبي تميم المعز بن باديس سنة 418هـ ، وبدوره المعز أرسل سنة 420هـ /1029م هدية جليلة للخليفة الظاهر.

وعلى الرغم من الصلات الودية بين القاهرة والقيروان إلا أن الصعوبات والقلاقل التي واجهت الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الظاهر من عدم استقرار الأمور في بلاد الشام والفتن والحروب المحلية ، كما أن المعز كان يبطن العطف على أهل السنة بل وصل به الأمر إلى أن يأخذ رأيهم في بعض الأمور وقد أرسل فقيها سنيا في القيروان يسأله الفتوى في الطراز التي فيها اسماء الخلفاء الفاطميين وغيرها مما يلبس أو يصلي بها فأجابه الفقيه (يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك) . وهذا ما حدث في آخر المطاف وكما أشرنا إليه في البداية وهو قطعه الصلة بالخلافة الفاطمية .[4]

---

[1]- النويري ، المصدرالسابق ، ص 111.

[2]- المشارقة : اسم يطلق على الشيعة بالمغرب نسبة إلى عبيد الله الشيعي ، وكان من المشرق . أنظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص114. حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص55. محمد الطمار ، المرجع السابق ،ص 85.

[3]- النويري ، المصدر السابق ، ص 112. أنظر بتفصيل أدق سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 382-383. و الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق، ص ص 181-183.

[4]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص ص 56-57.

ولعل من أبرز ما واجهه هو استمرار صراعه مع حماد ، و المسير على درب والده الذي وافته المنية قبل إخضاعه ، إلا أن هذا الأخير نجح في إخضاعه لسلطته ، و أمضى معه اتفاقية صلح ، تقضي بتسليم المغرب الأوسط بأسره للمتمرد ، فأصبحت مملكة بني حماد هي التي تتولى حراسة التخوم الغربية للدولة الصنهاجية و حمايتها من أي عدوان زناتي [1]. وهناك من يرى أن قيام دولة بني حماد أصحاب القلعة ، يعتبر نقطة بداية تاريخ المغرب الأوسط ككيان سياسي مستقل داخل الدولة الإسلامية العامة .[2]

حيث افترق ملك بني زيري إلى دولتين الدولة الزيرية في القيروان ، ودولة بني حماد في القلعة ثم بجاية [3] واقتطعت الدولة الحمادية جزءا غير قليل من ممتلكات الدولة الزيرية ، ومنه فقد المعز السيطرة على أكبر جزء من دولته ، في الوقت الذي صار فيه حماد حاملا للواء السنة في المغرب الأوسط .[4]

وسيحترم هذه الاتفاقية إلى آخر رمق من حياته سنة 419هـ / 1028م تاريخ وفاته ، فقام بخلافته ابنه القائد [5] (419هـ / 446هـ)[6] وظلت العلاقة بينهما قائمة حتى و إن لم يكن المعز قد أعلن انفصاله عن الدولة الفاطمية بل كان يرائيها . ويتلقى منها الألقاب والهدايا . وقد أقدم القائد على إعلان خروجه عن الدولة الفاطمية وخلع طاعتهم و إظهار استقلاله عن المعز ، فاضطر أمام هذا الاستفزاز أن يتوجه إليه من القيروان سنة 432هـ فحاصر القلعة ، واستمر حصاره لعامين.[7] فتوصلا إلى الصلح و انصرف إلى أشير وحاصرها ، ثم أقلع عنها و انكفأ راجعا ، فراجع القائد طاعة العبيديين لما نقم عليه المعز

---

[1]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص 163. أنظر أيضا : عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص 334 -335.

[2]- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 162.

[3]- لسان الدين ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 76.

[4]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 78.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 229.

[6]- لسان الدين ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص 76.

[7]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 248. ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 275.

ولقبوه بشرف الدولة .[1] كما أنه توفي سنة 446هـ[2] ، ولم يشهد المغرب ذلك الاجتياح الهلالي والاستيلاء على القيروان إلا بعد وفاته بثلاث سنوات (449هـ/1057م)[3]

وفي هذه الفترة أيضا واجه المعز مجموعة من الاضطرابات والفتن الداخلية ، فتعددت أقطاب الصراع مع العديد من القبائل على رأسها زناتة . إضافة إلى غيرها من الفتن الداخلية التي حدثت في بعض الأقطار والأقاليم المجاورة ، محاولا بكل ما أوتي من قوة وعزيمة أن يقضي عليها حتى يستتب الأمن والاستقرار .

وقد كانت هذه المشكلة الزناتية نابعة من أسلوب حياتهم ، لأنها قبائل رعوية لا تؤمن بالوطن كمعنى جغرافي سياسي ، هدفها الحرية وعدم الخضوع لأي سلطة.[4]

وكل الحروب والوقائع التي حدثت بين المعز وتلك القبائل كانت الغلبة فيها جميعا للمعز[5]، فكما يورد ابن الأثير ففي سنة 411هـ/ 1020م أغارت زناتة بإفريقية على دواب المعز بن باديس ليأخذوها فخرج إليهم عامل مدينة قابس[6] فقاتلهم وهزمهم[7] . حيث أن هذا الهيجان حدث على يد حماد بن ورو [8] من جهة الشرق بإقليم نفزاوة الذي منح لهم في عهد باديس بدل طرابلس.[9]

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 299.

[2]- لسان الدين ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 87.

[3]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص114. أنظر المبحث الأخير- دخول بني هلال بلاد المغرب الإسلامي- من هذا الفصل .

[4]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 394.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 210.

[6] - مدينة بتونس على بعد 190كلم جنوبي صفاقس و400 كلم من مدينة تونس ، وقد أتاح لها موقعها الجغرافي أن تتمتع بمميزات المدينة البحرية والصحراوية في آن واحد ، وازدهرت أيام الفاطميين والزيريين وأشاد بذكرها الرحالة المسلمون ابن حوقل والبكري . أنظر : لسان الدين ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 19. و أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص17.

[7]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 133.

[8]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص197.

[9]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 395.

ووقع الصلح بين الطرفين سنة 417هـ/1027م إضافة إلى كتامة[1] ، شريطة أن يحفظوا الطريق ويدخلوا تحت حكمه وأعطوا على ذلك العهود والمواثيق.[2]

وما إن جاءت سنة 420هـ/ 1030م حتى خرجت زناتة تريد القيروان ، طمعا منها في الملك ، وحينما بلغ ذلك المعز خرج إليهم بجنوده ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت زناتة وقتل منهم الكثير. وفروا إلى الغرب[3] ، وتم أسر بعضهم ، فعاد المعز ظافرا غانما[4].

وفي السنة الموالية وقعت فتنة بين جنود القيروان والعامة فقتل منهم نحو مائتين. وساد الأمن والاستقرار بالمنطقة سنة 422هـ / 1031م[5] .

كما أن هذه الفترة الهادئة استمرت زهاء خمس سنوات لأن زناتة زحفت بجيوش عظيمة سنة 427هـ/ 1035م تريد المنصورية ، فالتقت مع جنود المعز فهزمتهم ، ووصلت ما بين المنصورية والقيروان فعاودوا القتال وحرض بعضهم البعض فصبرت صنهاجة وانهزمت زناتة بوقعة الجفنة ، إلى أن قضى عليهم المعز وقتل منهم الكثير سنة 428 هـ/ 1036م [6]. واستمرت أعمال القمع التي قام بها المعز ضد الثوار في السنة التالية 429هـ/1037م ، حيث سير عساكره إلى بلاد الزاب ففتح موضع بورس وقتل من ثوار البربر هناك خلقا كثيرا ، كما فتح مواضع من بلاد زناتة ، واستولى على قلعة كروم من حصونهم القوية .[7]
وفي سنة 430هـ/ 1038م زحف إليهم بجهات طرابلس وهزموه هزيمة منكرة ، لكنه ما لبث أن سير نحوهم حملة سنة 433هـ / 1041م بقيادة ولي العهد الأمير نزار وحقق النصر

---

[1]– من قبائل البربر بالمغرب و أشدهم قوة و بأسا ، و أطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر من ولد كِتام بن بُرنس ويقال : كتم ، ونسابة العرب يقولون أنهم من حِمْيَر ، تسكن الفحوص والسهول و الجبال فيما بين قسنطينة و بجاية يوجد منها بعض البطون بجبال أوراس ، كما لعبت دورا كبيرا في حياة الدولة الفاطمية . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 195 . أيضا : حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 33.

[2]– ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 157.

[3]– ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج 1 ، ص 274.

[4]– ابن الأثير ، المصدر نفسه ،ص 174.

[5]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص275.

[6]– المصدر نفسه ، ص275. أنظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص ص 221– 225.

[7]– ابن الأثير، المصدر السابق ،ص 228.

عليهم، وفي نفس الوقت كانت قوات المعز توقع بالثوار من قبائل لواتة (قبائل بترية بدوية مثل زناتة) هزيمة موجعة وتقتل عددا منهم وتغنم من أموالهم .[1]

هذا إضافة إلى اضطرابات حدثت من طرف قبائل تلكاتة الصنهاجية ، واضطرابات داخلية إقليمية كالتي حدثت في القيروان- أشرنا إليها سابقا- وتونس ومناطق أخرى[2].والتي قضى عليها واستقر له الوضع في إحكام قبضته على إفريقية ، ولعب دورا بارزا في بعث الدولة الزيرية والتصدي للمخاطر التي واجهتها.

غير أن المعز بن باديس في عهده حدث أمر أودى باضطراب الأوضاع ببلاد المغرب الأدنى (إفريقية) وهو قطع العلاقة مع الخلافة الفاطمية ، وما صاحبه من تطورات حيث لم يتمكن من مجابهة الزحف الهلالي الذي حدث بعد تلك القطيعة. وبهذا قد نجح في إخضاع القبائل لسلطته من جهة كرجل سياسي متمكن . وكرجل دين ميزه التاريخ عن بقية من خلفهم في إمارته .

والمعروف أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أوصى نائبه الصنهاجي القائد بلكين بن زيري بن مناد بما ينبغي عليه أن يتبعه في حكم ولايته الإفريقية ومن بين وصاياه الثلاثة هي ألا يرفع السيف عن البربر ولا يرفع الجباية عن أهل البادية وأن يفعل بأهل الحاضرة خيرا وهي الوصايا التي تعتبر بمثابة مبادئ للحكم أو برنامجا للعمل السياسي[3].

وعلى اعتبار أن كل خلافة دينية لا بد أن تكون لها مرجعية مذهبية ومما يسجله التاريخ أنه قد برزت حركة مناهضة للتشيع والقضاء عليه والعودة إلى السنة الحميدة التي أخذت في التموقع من جديد في عهد المعز.

---

[1]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 497-498.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 398-394.

[3]- المرجع نفسه ، ص 325. أنظر أيضا: حسن خضيري أحمد ، ص 35.

وبدا ذلك واضحا منذ ولاية عهده بما أورده ابن خلدون على أنه كان منحرفا عن مذاهب الرافضة منتحلا للسنة أعلن بمذهبه ولعن الرافضة والشيعة .[1]

كالأحداث التي وقعت سنة 407هـ بقتل المشارقة إضافة إلى حدث وقع سنة 423هـ مذبحة ضد الشيعة [2]، يؤكد أن الأوضاع ببلاد المغرب في عهد المعز زادت احتقانا ، وبات أمر قطع العلاقات مع الخلافة الفاطمية أمرا متوقعا وواردا في أي لحظة.

غير أنه وقع اختلاف بين المؤرخين في تحديد التاريخ الرسمي لهذا الحدث البارز المتمثل في حسم العلاقة بين الخلافة في القاهرة والنيابة في القيروان والمهدية ، وتعرضها تحت عناوين متدرجة في التوقيت على مدى 8 أو 9 سنوات من 435هـ/1043م إلى 443هـ/ 1053 م [3]

فيذكر ابن الأثير أنه كان بداية من سنة 435هـ عندما أظهر المعز الدعوة للدولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله ، الذي أرسل بدوره كتابا يؤكد فيه ذلك و أرسل إليه سيفا وفرسا و أعلاما عن طريق القسطنطينية ، وتم تأكيده في خطبة الجمعة اليوم الذي وصل فيه الكتاب منهيا كلامه بأنه قطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت و أحرقت أعلامهم.[4]

كما ذكر أنه كان يسب بني عبيد سرا ، وأنه كاتب الجرجرائي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (418-436هـ) يحاول الوقيعة بينهما ، من خلال بيت من الشعر نصه :

وَفِيكَ صَاحَبْتُ قَوْمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ   لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهُمْ خُلِقُوا .

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 229.

[2]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص 214.

[3]- والعناوين التالية توضح ذلك :

1- الدعوة للقائم العباسي سنة 435هـ/1043م.

2- قطع أسماء الفاطميين من الطراز والرايات سنة 437هـ 1045م مع مبايعة القائم والدعوة له.

3- قطع الدعوة الفاطمية سنة 440هـ / 1048م ، وتبديل السكة في السنة التي تليها 441هـ / 1049م.

4- لبس السواد (شعار الخلافة ببغداد) سنة 443هـ / 1051م . أنظر : سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ،ص 388.

[4]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص ص 265-266.

فهو يبجل الوزير ، ويحتقر الخليفة ويغريه به ، إلا أن هذا الأخير كان فطنا[1] .

كما أن رواية ابن الأثير تدعمها رواية أخرى لابن خلدون تنص على أن المعز عندما حنق على اليازوري وانحرف عنه " حلف أنه لينقضن طاعتهم و ليحولن الدعوة إلى بني العباس ، وأنه قطع أسماءهم من الطراز والرايات " وبايع القائم ودعا له سنة 437هـ/1045م وأنه وصله بعد ذلك أبو الفضل البغدادي مبعوث الخليفة العباسي ، وحظى بالتقليد والخلع و قرئ كتابه بجامع القيروان.[2]

لتأتي رواية ابن عذارى وتحدد سنة 440هـ ، حينما قطعت الخطبة لصاحب مصر وأحرقت بنوده. مستقيا حديثه عن ابن شرف : وأمر المعز أن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة العبيديين ، فدعا الخطيب لخلفاء الأربعة وللعباس ، ولبقية العشرة رضي الله عنهم . كما فعل ذلك عندما لعن الفاطميين.[3]

وفي شعبان سنة 441هـ أمر المعز بتبديل السكة ، فنقش في الوجه الأول : ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، وفي الوجه الآخر : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكان قد ضرب منها دنانير كثيرة.[4]

وكمرحلة أخيرة كان لبس السواد بالقيروان والدعاء لبني العباس في سنة 443هـ من جمادى الثانية [5] أكتوبر 1051م ، وبذلك انفرجت الأزمة الفاطمية على مستواها الديني المذهبي ، وتتبلور الشخصية الخاصة ببلاد المغرب تحت المظلة السنية المالكية ، وعلى أكتاف العصبية الصنهاجية ، في كل من إفريقية التونسية وبلاد المغرب المراكشية الفاسية.[6]

ويعتبر هذا الحدث الأخير من أهم دوافع الهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب الإسلامي.

---

[1]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص ص60-61.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 289.. أنظر : حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص61.

[3]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 277.

[4]- المصدر نفسه ، ص 278.

[5]- نفسه ، ص280.

[6]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 393-394.

2- الوضع الاقتصاي:

للتعرف على الأوضاع الاقتصادية السائدة بالمغرب في تلك الفترة والتي سبقت التواجد الهلالي ، ينبغي التركيز في الدراسة على الدولتين الزيرية والحمادية ، حتى و إن كانت الأخيرة قد برزت كدولة لها تأثيرات حضارية ، إلا أن هذا لا ينفي أن تكون الدولة الزيرية بالمغرب الأدنى قد أهملت هذا الجانب ، حيث أن مدنها في تلك الفترة كانت من أهم الأقطاب الاقتصادية خاصة الساحلية منها : طرابلس ، قابس ، صفاقس ، المهدية ،وتونس وغيرها ، كما أن هذه الدراسة ستقودنا للتعرف على ما أصاب الدولة من كوارث قبل الدخول الهلالي ونخص بالذكر عهد المعز بن باديس الذي كان ذلك الدخول في عهده .

فالدولة الزيرية بالمغرب الأدنى خلال القرن الخامس هجري، كانت مدنها اقتصادية سواء منها الساحلية التي برزت كمدن تجارية نظرا لاهتمامها بالزراعة والصيد البحري وتربية الحيوانات وبحكم موقعها الجغرافي المتميز ، أو حتى الداخلية التي اهتمت بالنشاط الزراعي والتجاري وتربية الحيوانات. ويتضح هذا اعتمادا على الكتب الجغرافية ذات الصبغة التاريخية مثل البكري المتوفي سنة 487هـ – أي أنه عاصر الأحداث – ، والحميري الذي يذكر المحقق أنه اعتمد على البكري كثيرا ، وكذا الإدريسي(بعد قرن من الزمن) ومؤلف كتاب الاستبصار المجهول ، فهي تاريخية لأنها عند حديثها عن تلك المدن تتفق تقريبا على رأي واحد أنها خربت من طرف العرب (بنو هلال). فهي من أهم المناطق الزراعية نظرا لخصوبة الأرض وتنوع مناخها ، لاحتوائها على جبال وسهول واسعة داخلية وساحلية كما تحتوي على شواطئ كثيرة وصحاري شاسعة . وقيل أن المسلمين عندما فتحوا هذه البلاد وجدوا ظلال الأشجار لا تنقطع فيها من طرابلس إلى الشرق الجزائري[1] فمدينة طرابلس[2] توجد بشرقها بساتين كثيرة فيها فواكه وخيرات جمة .[3]

[1]– عبد العزيز نقبيل ، شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان قبل خرابها ، مذكرة ماجستير تخصص أدب مغربي قديم ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2008–2009، ص 60

[2] – من مدن إفريقية ، وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر (أول مدينة على الساحل) والبحر يضرب في سورها ، وسورها من حجر جليل من صنعة الأولين ، وقيل تفسير أطرابلس ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . أنظر : أبي عبيد البكري ، المصدر السابق ، ص ص 06–07.

[3]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 389.

كما اشتهرت مدينة قابس[1] بالموز و التوت وبها الحرير ، وبغاباتها أشجار وجنات وكروم وزيتون كثير[2] لأن بها واد يسقي بساتينها و أرباضها ومزارعها.[3]

ومدينة رقادة التي تبعد عن القيروان بأربعة أميال ، فكانت أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه ، وليس بالمنطقة أعدل هواء منها و لا أرق نسيما ولا أطيب تربة[4] (المناخ المتميز والخصوبة)، كما أن مدينة صفاقس جل غلاتها الزيتون.[5]

ويذكر الحميري أن مدينة زويلة (إحدى المهديتين) قبل دخول العرب إفريقية وإفسادهم لها كان بها جنات وبساتين بسائر الثمار العجيبة والفواكه الطيبة و إصابات في القمح والشعير.[6]

وتونس التي يوجد بها نهر كبير يسمى بجردة ما جعلها من أشرف مدن إفريقية و أطيبها ثمرة و أنفسها فاكهة فمنها اللوز الفريك والرمان و الأترج والسفرجل والتين وغيرها.[7]

ومدينة برقة التي اشتهرت بكثرة الخصب وتصلح السائمة في مراعيها.[8]

وعرفت قفصة بالعيون الكثيرة وغاباتها كثيرة النخل والزيتون و جميع الفواكه التي ليس في بلد مثلها ، ففيها تفاح عجيب جليل زكي الرائحة يسمونه السدسي الذي لا يوجد في بلد مثله وكذلك الرمان والأترج والموز وفيها نوع من التمر يعرف بالكسبا ، وهي أكثر البلاد فستقا حتى قيل إنه لا يوجد بإفريقية إلا بها ، وفي بساتينها رياحين كثيرة مثل: الآس والياسمين والنارنج والنرجس و السوسان و البنفسج.[9]

---

[1]– مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل ، وتعد من البلاد الجريدية ، وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام ، وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل من بناء الأول ، ولها حصن حصين وأرباض واسعة ، وفيها فنادق وحمامات،فهي مدينة بحرية صحراوية وحاضرة هذا الإقليم وقطبه وروحه وقلبه أنظر : مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الكويت ، ص 112

[2]– الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 451–452.

[3]– مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 112.

[4]- المصدر السابق ، ص 116.

[5]– الحميري ، المصدر السابق ، 365.

[6]– المصدر نفسه ، ص 296.

[7]– الاستبصار ، ص 121.

[8]– المصدر نفسه ، ص 143.

[9]– نفسه ، ص ص 152–154.

وعرفت الدولة الزيرية بتربية الحيوانات نظرا للارتباط الوثيق بالزراعة والفلاحة . حيث اهتم الفلاحون بتربية المواشي والأغنام والأبقار كما كان في مدينة زويلة[1] ، و ما يثبت ذلك ذكر اللحوم التي تؤكد على اهتمام سكان المنطقة بتربية الحيوانات حتى جعل لحم سوسة من أطيب اللحوم لطيب مراعيها[2]. ووجود لحم الغزال الطري بقابس .[3]

واهتم الفلاحون بتربية النحل كما في مدينة جلولاء فبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وحرش نحلها له .[4]

أما الصيد البحري فساد كنشاط اقتصادي بالمنطقة بحكم موقع مجموعة من المدن الساحلية كصفاقس و قابس التي يوجد بها الحوت الطري [5]والمهدية وتونس فيها من أجناس الحوت البحري ما لا يحصى كثرة [6] وبنزرت يصطاد فيها من كل شهر نوع من الحوت لا يوجد ذلك النوع حتى ذلك الشهر بعينه في العام المقبل ، ولها غلظة عظيمة ومنها يحمل الحوت إلى جميع البلاد الإفريقية .[7]

وتعددت الأنشطة الصناعية المختلفة كالصناعات الحريرية الصغيرة منها والكبيرة وصناعة المنسوجات القطنية والصوفية بأنواعها ومختلف الزرابي ، التي بلغت درجة عالية من الإتقان والتفنن ونفس الشيء يقال عن الصناعة الجلدية التي كانت تطرز بأسلاك الفضة ، إلى جانب ذلك نجد تطورا هائلا في صناعة المجوهرات والزجاج والورق الذي كانت تستورده أوروبا من تونس وكانت صناعته من أنشط الصناعات و أكثرها انتشارا بين سكان القيروان خاصة[8]. ولعل من أهم المدن الصناعية قفصة التي كان يصنع بها أردية وطياليس وعمائم من صوف في نهاية الدقة تضاهي ثياب الشرف ، وتصنع بها أوان للنساء ليس يعلم لها نظير في جميع البلاد ، وزجاج حسن و أوان عجيبة و أوان مذهبة غريبة.[9]

---

[1]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 296.

[2]- الاستبصار ، ص 120.

[3]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 450.

[4]- الاستبصار ، ص 119.

[5]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 450.

[6]- الاستبصار ، ص 121.

[7]- المصدر نفسه ، ص 125.

[8]- أبو القاسم محمد كرو و عبد الله شريط ، عصر القيروان ،ط 1 ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1973، ص26.

[9]- الاستبصار ، ص154.

فالتجارة ظهرت بالمنطقة بحكم الموقع الجغرافي للبلاد فهو همزة وصل بين مختلف الأقطار ، فنشطت العلاقات التجارية بين المغرب ومصر نتيجة لخضوعها لسلطة سياسية واحدة[1] وباقي المناطق ، وبرزت المدن المغربية في هذا المجال ، فكان أهل طرابلس تجار يسافرون برا وبحرا [2] دليل على اهتمامهم بالتجارة الداخلية والخارجية .

ومدينة قابس نظرا للاهتمام الواسع بالزراعة ووفرة الثروات الزراعية بها كالموز والتوت والزيتون الكثير جعلها تجارية حيث يتجهز بزيته إلى كل النواحي[3] (يتم الاستفادة منه عبر الأقطار المختلفة). واشتهرت بتجارة الحرير فحريرها أطيب الحرير و أرقه ، وليس يعمل حرير بإفريقية إلا بها[4].

فمدينة صفاقس أين تكثر الأسواق ، وتستورد الفواكه من قابس ، وهي وسط غابة زيتون ومن زيتها يمتار أهل مصر والمغرب وصقلية والروم فهي محطة للسفن ، حيث قصدها التجار من الآفاق بالأموال لابتياع المتاع و الزيت (بيع بأربعين ربعا بمثقال واحد) ، كما عمل أهلها في القصارة والكمد كعمل أهل الإسكندرية وأحسن[5].

كما اشتهرت المنطقة بالمنسوجات ، وذلك في مدينة سوسة المشهورة بالثياب الرقيقة السوسية ، وعنها يقول البكري :"فكان يغزل بها غزل يباع زنة لمثقال منه بمثقالين من ذهب .. كما كانت تقصر في هذه المدينة ثياب القيروان الرفيعة."[6] وحتى ظهر بالقاهرة سوق عرف بسوق السوسيات .[7]

وبذكر القيروان التي كان لمركزها الجغرافي و السياسي دور كبير في ربط الصلة بين المشرق والمغرب والأندلس وجنوب أوروبا . مما طور الحياة التجارية الخارجية وجعل أسواق

---

[1]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 105.

[2]- الاستبصار ، ص110 . أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص389.

[3]- الحميري ، المصدر نفسه ، ص 451.

[4]- المصدر نفسه ، ص 450.

[5]- المصدر نفسه ، ص ص 365-366.

[6]- البكري ، المصدر السابق ،ص 326.

[7]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 106.

القيروان تشهد إزدهارا لا محدودا ، فقصدها الجميع من جميع الجهات لطلب الرزق والتجارة ، فالتقى فيها الحجازي واليمني والمصري والأندلسي بالمغربي والصقلي .[1]

وكانت المهدية مقصدا للسفن الواردة من المشرق والمغرب والأندلس و إليها تجلب البضائع الكثيرة بقناطير الأموال.[2]

وسادت تجارة الرقيق بمدينة زويلة (يجلب إليها) إضافة إلى أن زيتها يعم سائر البلاد الإفريقية وكان يتجهز به إلى المشرق.[3] خاصة مصر .

وبنزرت تميزت بتصدير السمك فكان حوتها يحمل إلى جميع البلاد الإفريقية[4] . أي أنه نشطت التجارة الداخلية بين مدنه .

إلا أن المنطقة عرفت جملة من الكوارث الطبيعية أثرت على الحياة الاقتصادية مع وجود فترات ازدهار . فحسب ما يذكره ابن عذارى أنه في عهد المعز بن باديس مرت البلاد بأوضاع مختلفة فمرة ينتشر ويعم الرخاء وأخرى تمر بسنوات عجاف ، فلما كانت سنة 422هـ تميزت بأنها كانت سنة خصب ورخاء و أمان وكذلك الأمر في سنة 430هـ. إلا أنه مع سنة 425هـ كانت هناك مجاعة شديدة .[5]

وأما سنة 437 هـ فاشتدت بالمنطقة الرياح العاصفة فدمرت كل ما مرت به من أشجار لشدتها وقوتها.[6] وهذا ما يوحي بأن المنطقة قبل ذلك الزحف ألمت بها ظروف طبيعية قاسية تكون قد أثرت على الحياة الاقتصادية.

---

[1]- عبد العزيز نقيبل ، المرجع السابق ، ص60.

[2]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 562.

[3]- المصدر نفسه ، ص 296.

[4]- الاستبصار ، ص 125.

[5]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص275.

[6]- المصدر نفسه ، ص 276.

والدولة الحمادية بالمغرب الأوسط أجمع المؤرخون والجغرافيون على أنها كانت مزدهرة سواء كان في ميدان الفلاحة أو تربية الحيوانات والصيد أو الغابات أو الصناعة أو التجارة.[1]

فالحياة الاقتصادية للدولة الحمادية قد تقلبت بين مراحل مختلفة بتأثير العوامل السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية المحيطة بها . حيث كانت في رقي اقتصادي انتقل به الناس من البداوة إلى الحضارة ، ومن خشونة العيش إلى ظروف وأسباب الترف . ويمكن اعتبار هذه الدولة من أعظم الدول التي أكسبت المغرب حضارة مادية نادرة المثال.[2]

وعند الحديث عن النشاط الاقتصادي الرائج بالدولة ألا وهو الزراعة (الفلاحة) فتعددت ألوان النشاط الزراعي ، وتنوعت المحاصيل التي ينتجها ، وقد تحقق في كثير منها الاكتفاء الذاتي ، كما تمكن من تصدير بعض المحصولات ، ومثلت الأرض المحيطة بالمدن والقرى مجالا للنشاط الزراعي.[3] فنجد في المملكة الحمادية الحبوب والبقول والكروم والزيتون والفواكه والنباتات النسيجية والطبية ، فكانوا يهتمون خصوصا بزراعة القمح والشعير الذين كانا موجودين في المغرب الأوسط كله في نواحي قسنطينة وقلعة بني حماد وباغية وطبنة وبونة وجيجل وسطيف وبجاية والجزائر ومتيجة وشرشال وبرشك وبنطيوس .[4]

ففي القلعة الحمادية ، التي مثلت دور العاصمة الأولى لفترة كبيرة فواكه ونعم يلحقها الإنسان بالثمن اليسير ، وبلادها وجميع ما يضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب ، لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت و إذا قلت كفت ، فأهلها أبد الدهر شباع ، وأن الحنطة بها تبقى العام أو العامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير .[5]

---

[1]- رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص 129.

[2]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 219.

[3]- المرجع نفسه ، ص 221.

[4]- رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص 129.

[5]- الشريف الإدريسي ، المغرب و أرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1863 ، ص 91.

إضافة إلى قسنطينة التي اشتهرت بزراعة الحبوب فالحنطة تقيم في مطاميرها مائة سنة لا تفسد ،و ذلك لبرودتها واعتدال هوائها.[1] هذا ما يثبت وجود مناخ متميز ومعتدل بالمدينة.

وكان لأهل شرشال زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة ، وكذا تنس لديها الكثير من الحبوب إلى أن تخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب ، وسكان مدينة بادس كانوا يزرعون الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم .[2]

وهناك مدينة اشتهرت بزراعة الكثير من المحاصيل إضافة إلى الحبوب ، وهي مدينة بجاية التي احتلت المكانة الأولى لأكثر من نصف عمر الدولة . فكانت الحنطة والشعير كثيرين بها ، وكذلك التين كان بها منه ما يكفي لكثير من البلاد .[3] وهذا ما يؤكده صاحب كتاب الاستبصار فيقول ، بأنها كثيرة الفواكه والثمار وجميع الخيرات[4] . التي ذكرها القلقشندي وهي : الحبوب والقمح والشعير والفول والعدس والحمص... ومن الفواكه العنب والتين والرمان والسفرجل والتفاح والكمثري والزعرور والخوخ والمشمش والتوت... ومن الزهور الرياحين والياسمين والنرجس.[5]

وكما ذكر في البداية أن الدولة الحمادية ركزت على النشاط الزراعي الذي أعتبر بمثابة عصب الدولة ، فتعددت المحاصيل حسب المدن فمنها من اشتهر بنوع معين ، و أخرى كانت مجالا خصبا لجميع المحاصيل. فزراعة الكروم توجد بالغدير ونقاوس وطبنة وطولقة والقل و جيجل والخضراء وغيرها من المناطق[6] الأمر الذي جعل مدينة جيجل تصدر العنب إلى بجاية[7]. والقطن كان في الحضنة والمسيلة [8] هذه الأخيرة التي تتواجد بها مزارع ممتدة ، ولأهلها سوائم خيل و أغنام و أبقار وجنان وعيون وفواكه وبقول ولحوم وعسل نحل وبساتين

---

[1]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 96.

[2]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص 130.

[3]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص91.

[4]- الاستبصار ، ص130.

[5]- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 5 ، ص ص 112-113.

[6]- رشيد بوريبة ، المرجع السابق ، ص ص 130-131.

[7]- الاستبصار ، ص128.

[8]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص223.

، وفي تنس الفواكه والحنطة وسائر الحبوب والسفرجل ، وفي تاهرت البساتين والفواكه والسفرجل ، وتدلس الفواكه والأغنام والأبقار ، وفي ورقلة الكروم والبصل والحناء والكمون.[1]

وهذا ما يؤكد الارتباط الوثيق بين تربية الحيوانات والفلاحة (الزراعة) بالمنطقة

دون أن نغفل اهتمام المنطقة بزراعة الزيتون . والتمور الموجودة ببسكرة وطولقة وطبنة ونقاوس والمسيلة حتى عرفت بسكرة ببسكرة النخيل ، إضافة إلى الجوز خاصة بنقاوس واللوز والنباتات النسيجية المختلفة .[2]

وتوفرت لدى الدولة أسباب قيام صناعات متعددة ، بحكم الثروة الزراعية والحيوانية ، ومعادن متعددة في مدنها ، كما أن الشاطئ الساحلي الذي تتمتع به ، كان بدوره عاملا من عوامل قيام بعض الصناعات.[3]

وأن النظام الاجتماعي السائد (المذكور في المبحث الموالي) سيفرض نفسه أيضا كعامل مؤثر على النشاط الصناعي ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالطبقة الحاكمة والغنية.

فكان المغرب الأوسط غنيا بالمعادن في عهد بني حماد ، فنجد الحديد بمجانة وبونة وبجاية والفضة والرصاص والأثمد بمجانة والنحاس بجيجل والجص بمتوسة على حوالي 12 ميلا من بجاية[4] . ووجد القطن وقصب السكر والكتان وغيرها من المحصولات الزراعية القابلة للتصنيع.[5]

وأهم ما عرفته المنطقة صناعة السفن فاعتبرت بجاية بمثابة دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي.[6] وتخصصت المدينة أيضا في الصناعة النسيجية كصناعة العمائم [7] خاصة الملوك فكانت عمائمهم مذهبة فتساوي الواحد 500أو 600

---

[1]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ص 83–86.

[2]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص ص 131–133.

[3]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 224.

[4]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 136.

[5]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 224.

[6]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 91 . أنظر : الاستبصار ، ص130.

[7]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 137.

دينار[1] حتى قيل أنها تشبه عمائم الفاطميين.[2] وهذا ما تميزت به القلعة العاصمة الأولى للدولة فلتلك الطبقة كانت تصنع الأكسية القلعية النسيج ، المطرزة بالذهب واللبابيد الجيدة والسروج المكللة بالأحجار الكريمة ، ولنسائهم الحلي المختلفة والثياب الحريرية من ديباج وغيرها ، نظرا لتواجد معامل الصوف بالمدينة.[3]

كما وجدت صناعة الفخار والخزف وذلك لوجود فخاريين يصنعون أواني مختلفة ، فيذكر أحدهم أن صناعة الفخار بالقلعة يومئذ بلغت مبلغا عظيما ، ويظهر عليها تأثير الفرس ومصر فنا وعملا ، ووجدت آثار كثيرة لها. وازدهرت بها صناعة الزجاج فقد وجد الأثريون بعض أوعية البلسم و زجاجات العطور .[4]

وانتشرت بالمنطقة صناعة المطاحن[5] فأورد صاحب كتاب الاستبصار أن مدينة مجانة كانت تعرف بمجانة المطاحن لأن المطاحن التي كانت تصنع بها ليس على الأرض مثلها.[6]

وبواسطة الفضة والبرونز قامت صناعات كثيرة ، كالمصابيح وحاملات الشموع والأباريق ودلال القهوة وزينات الأبواب والأثاث و مقابض الأبواب ومطارقها. ونتيجة لوجود الخشب كانت توجد صناعة النجارة .

وبصفة عامة كانت هناك صناعات أخرى متناثرة في العاصمتين الحماديتين خاصة ما تعلق فيها بالصناعات اليدوية الخفيفة التي تسد الحاجات الأساسية للناس ، ولازال بها صدى في المدن المغربية [7] . كما وجدت بالمنطقة معامل الورق.[8]

كما عرفت المنطقة بصيد السمك و المرجان ، فكانت صيادة السمك موجودة على الساحل الحمادي كله ، وذكر الإدريسي أن حوت جيجل كثير العدد متناهي العدد والقدر ، وحتى بمدينة المسيلة التي اشتهرت بنوع من الحوت الأحمر ، والمرجان الذي يوجد كثيرا

---

[1]– محمد الطمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ص 218.

[2]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 137.

[3]– محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 219.

[4]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ،ص 225.

[5]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ،ص 139.

[6]– الاستبصار ، ص 161.

[7]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 226.

[8]– محمد الطمار ، المرجع السابق ،ص 219.

بمرسى الخرز و هو أجمل جميع المرجان بسائر الأقطار مثل ما يوجد منه بمدينة سبتة وصقلية ، و هذا كله جعل المنطقة نشطة في المجال التجاري.[1]

مثلت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط أهم حلقة للنشاط التجاري بحكم موقع مدنها التي ظهرت كأقطاب ومراكز تجارية لها تأثير كبير ، ونظرا لارتباطها بالأنشطة الاقتصادية السابقة الذكر و بالأخص النشاط الزراعي والصناعي .

وقد ساعدت جملة من العوامل في أن تزدهر التجارة ، فالظروف السياسية المحيطة بالدول المجاورة لهم كالزيريين والمرابطين ، وسياستهم في المسالمة سواء مع العرب أو المسيحيين والموقع الذي يتمتعون والشاطئ الطويل على البحر الأبيض ، والمرافئ و الأسواق والاتصالات التجارية التي نشطوا فيها ... كلها عوامل مكنتهم من مزاولة تجارة ناجحة سواء داخل المغرب أو خارجه.[2]

فاعتبر صاحب كتاب الاستبصار بجاية بمثابة مرسى عظيمة تحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرق بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها [3]، حتى عدها الإدريسي بمثابة (عين بني حماد) بفعل السلع والبضائع الواردة إليها والعلاقات التجارية المتنوعة مع المناطق الأخرى ، خاصة المغرب الأقصى وتجار الصحراء والمشرق.[4]

والقلعة مثلت بدورها بعد خراب القيروان ،مقصد التجار و بها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر و الشام وسائر بلاد المغرب.[5]وفي مدينة الجزائر وقسنطينة والمسيلة قامت أسواق داخلية عامرة ، وبينها كانت تتوفر طرق مواصلات متنوعة ، ساعدت في إحداث تكامل اقتصادي داخلي للدولة ، فالجزائر مثلا يتجهز بسمنها وعسلها إلى سائر البلاد ، وسمك المسيلة بعد اصطياده يحمل إلى قلعة بني حماد.[6]

وهذا كله يؤكد أن التجارة برزت على شكلين داخلية وخارجية ساهمت في إثراء الدولة.

---

[1]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص ص 135–136.

[2]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 226.

[3]– الاستبصار ، ص 130.

[4]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ص92.

[5]– البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 49.

[6]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص ص 227–228.

3- الوضع الاجتماعي والثقافي:

كثيرا ما تتأثر الأوضاع الاجتماعية والثقافية بالحياة السياسية والاقتصادية . فكلما كانت الأمور مستقرة وهادئة سمحت بالتعمير والتشييد والتطور ، لهذا فإن بلاد المغرب في تلك الفترة التي سبقت التواجد الهلالي ، عرفت وضعا اجتماعيا وثقافيا ارتبط ارتباطا وثيقا بالأوضاع المذكورة سابقا(السياسية والاقتصادية) . حيث ميزها كإقليم سيطر عليه العنصر البربري وفق تنظيم اجتماعي طبقي متميز ، وتميز بتعدد المظاهر الثقافية الحضارية التي جعلت من بلاد المغرب بقطريه الأدنى والأوسط أهم منطقة في المعمورة لها تأثيرها الثقافي في تلك المرحلة.

وبالحديث عن أهم الأجناس المتواجدة فقد انتشر بالمنطقة عناصر شتى من أبرزهم البربر"كعنصر أول وعلى رأس السلم الاجتماعي" والعرب وغيرهم. وعرف تقسيم اجتماعي وفق طبقات اجتماعية متعددة ، أهمها الطبقة الأرستقراطية الحاكمة ، وطبقة الخواص والتجار والمثقفين وطبقة الشعب المحرومة.[1] أما الحياة العامة وعادات وتقاليد المجتمع فارتبطت بالثراء والبذخ الذي عرفته ، مثلما كان في الدولة الفاطمية [2]– وهنا يبدو تأثير الحياة السياسية– ومن ذلك ما أورده المؤرخون حول التباهي بالألبسة وكثرة الهدايا والهبات والمغالاة في مهور الزواج ، وكل هذا يخبرنا به ابن عذارى خاصة في عهد المعز عند استقباله لرسول ورد إليه من الحاكم كان في أبهى زي و أكمل هيئة.[3] وعندما توفيت زوجته كفنت فيما لم يذكر أن ملكا من الملوك كفن في مثله ، حتى قدره التجار الحاضرون ب100 ألف دينار ، وفي السنة الموالية 412ھ تعرس المعز فكان له عرس ما تهيأ قط لأحد من الملوك.[4] ويحدثنا نفس المصدر عن زواج الأميرة أم العلو شقيقة المعز سنة 415ھ فكان مهر العروس محملا على عشرة بغال وما يعادل 100 ألف دينار ، وما شوهد في القصر من أصناف الجوهر و أواني الذهب والفضة ما لم يسمع أحد من الملوك قبله.[5]

---

[1]– أحمد يزن ، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ، د. ت ،ص21.

[2]– حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص ص 270– 271.

[3]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 269.

[4]– المصدر نفسه ،ج 1 ، ص 270.

[5]– المصدر نفسه، ص ص 272–273.

وهذا كله كان منتشرا في القيروان وبقية المراكز الثابتة مثل : قابس وصفاقس وقفصة وباجة و المهدية وتونس ، كما اهتم الصنهاجيون بتأسيس مدن أخرى كانت هي أيضا مراكز تمثل هذا التطور منها مدينة الجزائر ومليانة والمدية وغيرها ، التي زخرت بنشاط الطبقات العامة سواء في الكد أو العمل أو الراحة واللهو ، وكان أكثر ولوعهم في أوقات الراحة بسباق الخيل أو الحراب أو الجلوس حول موائد الشطرنج وكذلك حول القصاصين في مجالسهم الشعبية ، كما كان الشباب يتردد بكثرة على أماكن الغناء والرقص وخاصة ضاحية القرية.[1]

أما المغرب الأوسط وبالضبط الدولة الحمادية ، كانت صنهاجة تقف في قمة الهرم الاجتماعي في الدولة ، وهي تشكل عنصرا كبيرا وليس جماعة حاكمة فقط ، نتيجة الانتماء الأكثر ولاء للدولة التي تحمل اسمهم .وكل هذا يدعمه النفوذ السياسي والاجتماعي الذي تتمتع به ، وكانت هناك طبقات مختلفة من القبائل البربرية تعيش في حمايتها ، وفي ظل هذا النظام أخذت تلك الطبقات تمتزج على تنوع أجناسها من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب فاختلطت صنهاجة بكتامة وكتامة بزناتة ، ووجود العديد من القبائل البربرية التي تعيش في مدنها كعجيسة وهوارة وبني ترزال في المسيلة ، وقبائل بربرية أخرى في جيجل[2] . أي أن اللسان البربري طغى على المجتمع حتى النصف الثاني من القرن 5ه ويؤكد ذلك رشيد بوريبة بذكره أن أغلب سكان المنطقة ينقسمون إلى تلكاتة وكتامة وزناتة محددا مناطق تواجدهم ، كما وجد غيرهم بعدد قليل من عرب الفتح والجند العربي منهم قريش بتهوذة ويمنيون وقيسيون وطولقة وبنو جرف من الفرس ببنطيوس و الأندلسيون والإفرنج واليهود بالقلعة وبجاية وعبيد في صفوف الجيش[3] ، ووجود جالية من المسيحيين عاشت في ظلال الحماديين وتأثرت بمجتمعهم وكذلك أثرت فيه بقدر ما تأخذ الأقلية من المجتمع ، وبقدر ما تستطيع أن تعطي[4] ، وهذه هي التركيبة السكانية للمجتمع الحمادي مع سيطرة واضحة للعنصر البربري.

---

[1]- أبو القاسم محمد كرو و عبد الله شريط ، المرجع السابق ، ص26.

[2] – عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص ص 235-236.

[3]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص ص 158-161.

[4]- عبد الحليم عويس ، المرجع نفسه ، ص 239.

وفيما يتعلق بالعادات الاجتماعية لم تختلف عن نظيرتها بالدولة الزيرية ، فعاشت تلك الطوائف حياة مستقرة حافلة بالعطاء العمراني والحضاري ، بعد أن نجح الحماديون في إرساء دعائم سياسة التسامح والحرية كأساس يقوم عليه البناء الاجتماعي كله ، ولولاها لما كان يمكن أن تسير حياة مجتمع يضم بين جوانبه كل هذه العناصر.[1]

وبذكر المناسبات و الأعياد كانت ذات صبغة دينية . والإيمان بالأولياء كان ظاهرة منتشرة وبوجه الخصوص بجاية و قد أطلق عليها طويلا " مكة الصغيرة " لكثرة الأولياء بها.[2]

وفيما يتعلق بالعادات الأخرى كالملابس فسكان المغرب الأوسط الحمادي كانوا يميلون مثل جيرانهم الزيريين [3] فالعادات البربرية كانت ذات تأثير كبير في المجتمع الحمادي كالمغالاة في المهور والأثاث كزواج الناصر والمنصور ... والمغالاة في المظاهر الخارجية فكان للملوك عمائم شرب ذهبية يغالون في ثمنها ، فقد تصل إلى 500 أو 600 دينار .

وأهم ما ميز الحياة الاجتماعية هو توفير الأمن والهدوء للمجتمع و جنبوه الكثير من المشاكل و الموازنة بين مختلف عناصره ، و المحافظة على هذا التوازن إلى آخر أيامهم . فأصبح المجتمع الحمادي من أكثر المجتمعات رفاهية وعلما و رخاء و أمنا.[4]

و الأوضاع الثقافية بمنطقة المغرب الإسلامي كانت تدل على وجود حضارة بالمغربين الأدنى و الأوسط نتيجة الاهتمام البالغ بمختلف العلوم ، وهذا ما سمح ببروز مجموعة من المراكز الثقافية كالمهدية و تونس بالمغرب الأدنى ، وفي المغرب الأوسط قلعة بني حماد وبجاية و تيهرت و تلمسان والزاب.

لكن من بين كل هذه الحواضر تميزت القيروان بصفة خاصة فاستقطبت معظم النشاطات الفكرية و هذا لكونها رمزا تاريخيا وعاصمة للدولة ، إضافة إلى أنها تمثل المركز الاستراتيجي المهم لكونها نقطة تواصل بين المشرق والمغرب . وهذا كله أهلها لتكون أشهر مركز سياسي و ثقافي في المغرب كله . وتاريخها عريق يعود إلى الفتوحات الإسلامية وظلت طيلة أربعة قرون إلى وقت خرابها من 50 هـ إلى 449 هـ حاضرة البلاد حتى

---

[1]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 239.

[2]– المرجع نفسه ، ص ص 240–241.

[3]– البكري ، المصدر السابق ،ص 82.

[4]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ،ص ص 242–243.

عدت من رابع الحواضر الإسلامية في ذلك الوقت بعد البصرة والكوفة و دمشق فهي أهم مدينة بالمغرب .[1]وذكر أحدهم أن القيروان في العصر الصنهاجي كان بحق أزهى عصور الثقافة وظهرت بمكانتها العلمية والسياسية ، وظلت طيلة العصر الصنهاجي الأول تتزعم الحركة العلمية بكافة أوجه معارفها و إن كان غلب عليها النشاط الأدبي ، حتى جعل بعض من أبناء القيروان يرون أن مدينتهم فاقت في قيمتها العلمية مصر وبغداد.[2]

وتوصف بالقلعة الشامخة للمذهب المالكي و محل جذب للعلماء و الطلاب و أهل الورع والصلاح فمثلت بحق عصر النضج الأدبي خاصة في عهد المعز بن باديس ، وهذا ما ساعدها على الريادة الثقافية و الإقبال على الأدب فأصبحت قبلة للمبدعين من كل الأنحاء ، فكثر الإبداع فيها و انتشرت العلوم و ارتفع المستوى الثقافي في الشارع القيرواني.[3]

إضافة إلى القيروان الذي ظهر كمركز له تأثيره الحضاري و الثقافي والسياسي ، كانت هناك المهدية التي شهدت في وقت مبكر شيوع تلك المناظرات والمساجلات العلمية بين ممثلي الأكثرية السنية علماء المذهب المالكي و بين ممثلي الأقلية الشيعية من الدعاة الذين فشلوا في توضيح و جهة نظرهم ، فكانت على حد قول صاحب هذا الكلام القلعة الأولى للشيعة حتى ساعة نبذ المعز بن باديس للدعوة و المذهب الشيعي على مشارف العقد الرابع من القرن 5 هـ . فعادت و تسنمت دورا سياسيا مهما ، ترتب عليه بالضرورة دور علمي وثقافي ، وذلك عندما تمخضت الأحداث التي تلت ترك المعز للمذهب الشيعي والسيادة الفاطمية عند سقوط عاصمته القيروان و أجزاء من دولته ، فعادت بلاطا سياسيا وعلميا و أدبيا لبقايا دولة ، واستمرت تقوم بهذا الدور حتى سقوطها بيد النورمانديين سنة 543هـ/1138م.

فكان أن ترتب على التجاء المعز إليها من دور علمي ، بعد أن قصده العلماء و الأدباء يواسونه و يخففون عليه وقع الصدمة التي تعرض وتعرضت لها دولته حتى وافته المنية عام 454هـ.[4]

---

[1]- الشاذلي بويحي ، الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري ، مج 2 نقله إلى العربية محمد العربي عبد الرزاق ، د.ط ، د.ت ، ص 453.

[2]- يوسف بن أحمد حوالة ، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن 5هـ ، ط1 ،جامعة أم القرى ، 2000، ج1، ص ص 150-151.

[3]- رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ،ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1985، ص ص 281-282.

[4]- يوسف بن أحمد حوالة ، المرجع السابق ، ص ص 176-177.

ويضيف نفس المرجع الحديث عن تونس فأثرها العلمي والثقافي لم يكن واضحا ، فلم تكن مركزا رئيسيا من مراكز الثقافة والعلوم في الفترة الزمنية موضوع البحث ، فهي لم تتسنم مركزها الريادي والعلمي بل والسياسي والاقتصادي إلا بعد سقوط القيروان في عهد الزيريين في منتصف القرن الخامس هجري بيد العرب الهلالية ، ولم يتبوأ ذلك المركز الريادي إلا في القرن 7 هـ عندما قدر للحفصيين أن يؤسسوا لهم دولة في المغرب الأدنى فاتخذوا من تونس عاصمة لهم .[1]

وفي الدولة الحمادية تتجلى القلعة في الدور الأول منها ، و بجاية في الدور الثاني و الأخير فاعتبرت هاتين العاصمتين كمعقل العلوم ومصدر النهضة العلمية بإشعاعاتها المتنوعة .[2]

وبرزت بجاية كعاصمة للرياضيات ، ومنها أخذ الأوروبيون الأرقام العربية والجبر والمقابلة وهندسة أوقليدس .[3]

ومن الحماديين تعلمت أوروبا اشياء كثيرة ، فكان أهل بيزا الإيطاليون ينزلون بها . فتعلموا من مصانعها صنع الشمع ، ومنها نقل إلى بلادهم ، ولا يزال يسمى الشمع عندهم بوجي وهو اسم بجاية في لغتهم.[4]

وما يهمنا هو أنه من جل المراكز المذكورة تظهر القيروان المتضرر الأكبر من ذلك الزحف الهلالي و يتضح ذلك عندما نتحدث عن الحياة العلمية و الأدبية بوجه الخصوص عند ظهور أحد الأدباء الذي يرثي حالها . أما المهدية فتبوأت مركزها الثقافي والسياسي بعد ذلك الزحف وانتقال المعز إليها وسقوطها على يد النورمانديين . أما تونس فلم يكن لها ذلك إلا في القرن السابع هجري.

وبجاية والجزائر الحمادية بصفة عامة على حسب عبد الحليم عويس ، فإنه رغم ما أحدثته تلك القبائل العربية بزحفها من أثر سيء على لحياة الثقافية بالنسبة للزيريين ، إلا أنها لم تنجح في إحداث ذلك الأثر في الجزائر الحمادية . بل ظهر دور جديد و هو الدور المدرسي الذي وضع حجره الاساس بنو حماد في القرن 5 هـ حين بذلوا جهودا ضخمة في

[1]– يوسف بن أحمد حوالة ، المرجع السابق ن ص 168.

[2]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 252.

[3]– المرجع نفسه ، ص 249.

[4]– نفسه ، ص 282.

سبيل تعريب البلاد و ظل هذا الاتجاه يختمر في القرن 6 هـ.[1] وهذا ما سيقودنا لكلام سنورده في مواضع متقدمة من هذا البحث.

و أهم ما ميز المنطقة هو أن الصنهاجيين وجدوا الفرصة سانحة لإعلان الانفصال وإنشاء دولة بربرية مستقلة ، خاصة المعز بن باديس الذي حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك ، وبلغت الثقافة مبلغا عظيما ونبغ عدد كبير من العلماء والأدباء. وساعد على ازدهار الحياة الفكرية والثقافية انتشار المكتبات الخاصة والعامة و المساجد والكتاتيب والرباطات.[2] وانتشار التعليم و إقبال أمراء صنهاجة على العلم والأدب و أخذهم بأيدي أهله و خاصته ، وفي مطلع القرن 5 هـ نزح علماء و أدباء تقربوا منهم ، و أجزلوا عليهم بالعطايا. وفي هذا العهد لم تكن المراكز الحضارية و خاصة القيروان في معزل عن المشرق ، بل على اتصال به فيمر عليها الجميع و يقصدها طلاب العلم والعلماء " وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ فتحها إلى أن خربها الأعراب دار العلم إليها ينسب أكابر علمائه و إليها كانت رحلة أهله في طلب العلم." [3] ومراكز أخرى كالمهدية ومدينة صبرة التي كان بها ديوان الرسائل وهو يحتوي على أكثر من مائة كاتب[4].وفي محيط هذه المراكز النشطة ثقافيا و فكريا انكب العلماء على تأليف الكتب ، فظهرت أصناف شتى تعالج مواضيع مختلفة الفقهية والعلمية واللغوية و الأدبية وغيرها.

فالعلوم الدينية و أهمها الفقه فقد خف التضييق على المذهب المالكي ، بعد فرض المذهب الشيعي من قبل الدولة الفاطمية ، فتحررت معه الحياة الفكرية و نبغ فيها فقهاء وأعلام خاصة في عهد حكم المعز بن باديس. فحرضت على قطع العامة بالفاطميين وحمل أهل المغرب على المذهب المالكي دون سواه في حدود سنة 435هـ .[5] فقد برز الكثير منهم و نحن لسنا بصدد ذكرهم كلهم فمنهم من نبغ في القراءات والنحو و الكلام كأبي القاسم البسكري (ت564هـ) الذي انتقل إلى المشرق و عمل هناك مدرسا و توفي في نيسابور ،

---

[1]– عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 248.

[2]– أنظر بتفصيل أدق : يوسف بن أحمد حوالة ، المرجع السابق ، ص ص 200–258.

[3]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 356.

[4]– أحمد يزن ، المرجع السابق ،ص 26.

[5]– المرجع نفسه ، ص 28.

ومنهم الفقيه حسن بن محمد بن سلمون المسيلي (ت431هـ) الذي انتقل إلى الأندلس و كان فقيها عفيفا.[1]

والعلوم الأخرى العقلية منها نجد ابن أبي الرجال (ت425هـ) مؤدب المعز بن باديس الذي كان عالما رياضيا فلكيا عاش مدة في بلاط المعز و عمل وزيرا له أثناء حكمه و من آثاره العلمية البارع في أحكام النجوم و أرجوزة في الأحكام الفلكية .[2] وكان العلماء يتصفون بصفات العلماء الباحثين "كحرية البحث والتسامح ، وبذل الجهد والتضحيات ، وتحمل المشاق الكثيرة بما في ذلك السفر الطويل في سبيل العلم.[3]

أما الحياة الأدبية فازدهرت خاصة في العهد الصنهاجي عكس القرون الأولى بسبب الاهتمام بعلوم الشريعة وتعاليم الدين الإسلامي وهذا ما فرضته البيئة المغربية ، فازدهر الشعر أكثر مما كان عليه وتنوعت موضوعاته من مدح و غزل ووصف ورثاء و خمريات[4] فمثل ذلك العصر عصر النضج الأدبي و يعود الفضل إلى أمراء الدولة ، فكان المعز محسنا لأهل العلم كثير العطاء ، مدحه الشعراء و قصده الأدباء و اجتمع في بلاطه أكثر من مائة شاعر و أديب.[5] وعاش بحاضرة الصنهاجيين عدد كبير من الأدباء أقاموا بها ، أو كانوا على اتصال مستمر بها نازحين من المراكز التي حولها ليستقروا في بلاد المعز ، ومن هؤلاء نذكر عبد الكريم النشهلي* كاتب المعز و أبو علي حسن بن رشيق المسيلي* المعروف بالقيرواني الذي كان من اشهر شعراء عصره وله تآليف كثيرة في النقد اشعرها العمدة في محسان الشعر و آدابه ونقده ، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب و أنموذج الزمان في شعر القيروان[6] وكان أحد دهاة السياسة الوافدين على القيروان من تيهرت و كلف

---

[1]– رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 267.

[2]– أحمد يزن ، المرجع السابق ،ص 30.

[3]– أبو القاسم محمد كرو و عبد الله شريط ، المرجع السابق ، ص 34.

[4]– أحمد يزن ، المرجع السابق، ص 35.

[5]– يوسف بن أحمد حوالة ، المرجع السابق ، ص16. أنظر عن هؤلاء الشعراء : رشيد بوريبة ، المرجع السابق ، ص167 و ما يليها.

*– هو أبو محمد عبد الكريم النشهلي ، ولد بالمحمدية التي كانت عاصمة بني حمدون على عصر الفاطميين ، فأخذ عن شيوخها و أصبح شاعرا مقدما ، وله مدح في الأمير الزيري باديس توفي سنة 405هـ. رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص168.

*– ولد بالمحمدية بين 370–390هـ وقرأ عن شيوخها ، انتقل إلى القيروان فأخذ عن النهشلي و ابن أبي سهل الخشني ، واتصل بابن أبي الرجال إمام الكتابة و ألإنشاء و الأدب ثم بالأمير المعز بن باديس و أصبح من شعرائه ، وعند حصار بني هلال للقيروان انتقل إلى المهدية رفقة المعز سنة 444هـ ، وله ديوان يشمل 214 قصيدة منها رثاء القيروان. رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 172.

[6]– أحمد يزن ، المرجع السابق ، ص 79.

بتربية المعز و لقنه مذهب مالك و كرهه في مذهب الشيعة ، وتميز بنوع من النقد الأدبي فعن كتابه العمدة يذكر ابن خلدون " وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة ولم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله ، لقد خلدت ذكره و اعتنى الأدباء بها في عصره وبعده اعتناء كبيرا وأنجبوا بمباحثه في النقد الأدبي والبلاغة.[1]

وبذكر الدولة الحمادية لعل أهم ما يمكن الإشارة إليه هو الاهتمام باللغة العربية منذ القرن الرابع هجري و حتى منتصف القرن الخامس هجري مع الزحف الهلالي. حيث عمل الحماديون على نشر العربية وتعليم القبائل رغم أن اللسان البربري كان يطغى عليها. ومن أهم عناصر التكوين الثقافي هو زحف مذهب مالك الذي بدأ من مدرسة القيروان ، ونظرا للاحتكاك بالأندلسيين والأفارقة والصقليين التي كونت ملامح الشخصية الثقافية الحمادية وساعدت على إبرازها ورقيها و ازدهارها ، إضافة إلى رعاية و تشجيع العلماء والمفكرين من قبل الحكام والرحلات والبعثات العلمية في إطار حركة الانتقال المتاحة بين العواصم الإسلامية .[2] وكان لانتشار المساجد والكتاتيب والزوايا الدور البارز في الحياة التعليمية بالمنطقة.[3] وعند التحدث عن الحياة الدينية والمذهبية فإن المغرب الأوسط قد وقاه الله من الشيعة ، فبينما كان ذلك الصراع قائما بينها وبين السنة في إفريقية كان المذهب المالكي ضاربا أطنابا في أوساطه.[4] ولم يهتم المغاربة يوما بالمذهب الشيعي و إن تم استغلاله سياسيا ، فكان المالكي هو السائد واعتبر بالنسبة إلى الكثير منهم أكثر من مذهب"كان مذهبا و عقيدة ووطنية".[5] أما العلوم النقلية فلقيت علوم القرآن و السنة من تفسير و قراءات وحديث و فقه وتصوف ،اهتمام الدولة والسكان .[6] وبرز مجموعة من الفقهاء والمتصوفة.[7]

---

[1]- محمد الطمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ص 199.

[2]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص ص 248-250.

[3]- المرجع نفسه ، ص 253.

[4]- محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 196.

[5]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص256.

[6]- المرجع نفسه ، ص 257.

[7]- على سبيل المثال لا الحصر : الفقيه أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطاني البوني (ت440هـ) له كتاب شرح فيه موطأ الإمام مالك ، عبد الحق البجائي الذي كان لكتابه (العاقبة) تأثير كبير في المتصوفة الذين جاءوا من بعده . أنظر : رشيد بوريبة ، المرجع السابق ، ص ص 191-192.

كما أنها لم تغفل عن اهتمامها بالعلوم العقلية من أدب ولغة و تاريخ وجغرافيا و علوم تجريبية.[1]

وهذا ما يثبت أن المنطقة أولت عناية بالغة بالحياة العلمية و الدينية ، وحتى الجوانب الحضارية الأخرى فاعتبرت مدنها كمركز للإشعاع الثقافي والحضاري .

و كل هذا يظهر في فترة سبقت الدخول الهلالي لبلاد المغرب فكيف سوف تسير الأوضاع بعد ذلك الدخول ، وهو ما سيتم التعرف عليه من خلال التحدث على الآثار المترتبة عن هجرة البطون الهلالية . لأنها حتما ساهمت في تغيير الكثير من الأوضاع ببلاد المغرب الإسلامي .

[1]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص ص 262-271.

رابعا : دوافع الهجرة الهلالية .

1- الدوافع السياسية :

تتعدد الأسباب التي أدت إلى النزوح الهلالي لبلاد المغرب ، فمنها السياسية التي سنوردها ضمن هذا القسم . و كان أهمها هو رغبة السلطة الحاكمة في مصر (الدولة الفاطمية) أن تحقق أهداف معينة لها ، والتي يندرج ضمنها الرغبة الجامحة في التخلص من حكم بني زيري في إفريقية (القيروان) فضلا عن التخلص من هذه الجموع ذاتها . باعتبارها مصدر إزعاج و قلق للحكم الفاطمي في مصر .

وهذا ما يؤكده بوخالفة عزي بأن ظهور الهلاليين ومن معهم من القبائل العربية الغازية جماعيا في الشمال الإفريقي على عهد الدولة الصنهاجية (الزيرية والحمادية) كان لتحقيق غايات سياسية وانتصارات عسكرية لغيرهم ، أرادها الخليفة الفاطمي المستنصر بالله* كالقضاء على الدولة الزيرية المتمردة المناوئة له والتخلص من عيث القبائل العربية " الأداة نفسها" التي تسببت في فوضى شرق نهر النيل بعدما اقتيدوا – في عهد العزيز بالله –إلى صعيد مصر حيث كان لهم أضرار بالبلاد[1] وهذا ما يدعمه آخر بقوله:" كان على القاهرة تنظيم مصير إفريقية ، بدون التدخل المباشر ، ولكن عن طريق وسيط ثالث و بأرخص الأثمان ، ومهما كانت النتيجة فسوف تحصل القاهرة على ما كانت تنتظره ، فهي تقوم بمعاقبة تابع متمرد ، وفي نفس الوقت تتخلص من ضيوف ثقلاء."[2]

*– وهو المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور ، أمه رصد ولد يوم الثلاثاء 16جمادى الأولى 420 هـ خلف والده يوم الأحد 15 شعبان 427هـ/1036م ، وعمره لم يتجاوز سبع سنوات واستمر حكمه ستون عاما و4 أشهر و 3 أيام (427هـ-487هـ/ 1036م-1094م) شهدت أحداثا جسيمة في تاريخ الدولة الفاطمية كادت أن تودي بالخلافة نفسها في أول صدام حقيقي بينها وبين الخلافة العباسية و أفقدت القاهرة مكانتها كمدينة ملكية . أنظر : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ، 1971 ، ج 2 ، ص 184. وأيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، 1992 ، ص 125. والهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص 212.

[1]– عزي بوخافة ، تغريبة بني هلال بين التاريخ والرواية الشفهية الهلالية الجزائرية ، ص74.

[2]– جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة ومراجعة محمود عبد الصمد هيكل و مصطفى أبو ضيف ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999، ص 197.

وبالتالي لم يجد الخليفة الفاطمي من وسيلة إلا تلك الأداة الطيعة لإخضاع الدولة الزيرية ، وبالنظر إلى ما كانت تعانيه الدولة الفاطمية من معيقات و أزمات اقتصادية.[1]

وهم يختلفون عن عرب الأجيال الأولى التي قامت بالفتوحات الإسلامية ، ولم تكن هذه القبائل جيوشا نظامية ، ذات هدف ديني أو قومي معنوي واضح ، وإنما كانوا بدوا لطول إقامتهم في البوادي ، وتعاقب الدول عليهم هذا فضلا عن إخراجهم من نطاق حضاري ، فظلوا على بدويتهم فهم يتحركون ويتصرفون جماعيا ، ويتعصبون لقبائلهم أكثر مما يتعصبون لشيء آخر.[2] ولأن الفاطميين كانوا يعتزون بالانتساب إلى قريش و يسعون في سبيل الاستعانة بالعناصر العربية في حروبهم وتدعيم قوتهم و استغلال تلك العصبية فيهم.[3] وما يفسر كل ذلك هو أن هؤلاء العرب جاءوا منتقمين من البربر مزاحمين لهم في أوطانهم لا في سلطانهم.[4]

وبصفة عامة فالحالة السياسية بالمغرب أثناء منتصف القرن الخامس هجري ، كانت عاملا مهما لهجرتهم وكما أشرنا[5] ففي ردح هذا الزمن تدهورت العلاقات السياسية بين بني زيري الذين تركهم الفاطميون لحكم بلاد المغرب بعد مغادرتهم إلى مصر وبين السلطة الفاطمية في مصر ، وبمرور الزمن حاول أمراء آل زيري الاستقلال بحكم المغرب إلى أن تحقق لهم ذلك فعليا عام 443هـ[6] – بعد الدعوة للقائم بأمر الله الخليفة العباسي من قبل المعز الذي خالف من سبقه من الحكام الزيريين – وهذا ما جعل المستنصر بالله يخاطب المعز في جملة سياسية تحمل بين طياتها ما تم ذكره ترغيبا و ترهيبا له " هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء " و يتوعده بإرسال الجيوش ، ولم يأخذ المعز تهديده بإرسال الجيوش بمحمل الجد فرد عليه " إن آبائي و أجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن

[1]– نلاحظ بأن هناك جملة من المعيقات كانت تعترض الدولة الفاطمية : صراعها مع الصنهاجيين (الدولة الزيرية والحمادية) و الدولة العباسية ، إضافة إلى قبائل بني هلال المتواجدة بأرضها المتزامنة مع الأزمات الاقتصادية ومخلفاتها . أنظر المبحث الموالي: الدوافع الاقتصادية.

[2]– حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص262.

[3]– عبد الحميد بوسماحة ، رحلة بني هلال إلى الغرب و خصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، وزارة الثقافة ، 2008 ، ج 1 ، ص69.

[4]– مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت ، ج2 ، ص 178.

[5]– أنظر : المبحث السابق ، الأوضاع السياسية ببلاد المغرب قبيل الدخول الهلالي .

[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص280 . أنظر أيضا : سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 393-394.

تملكه أسلافك ، وعليهم الخدم من التقديم ، ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم" [1] في عبارات دينية في الظاهر لكنها ذات صبغة سياسية في الباطن. والتي يذكر صاحبها أنها من الأسباب الموجبة لهجرة الهلاليين.

ويظهر أن السبب الرئيسي راجع إلى قطع العلاقات السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة ، وبين نوابها الزيريين في عهد المعز بن باديس.[2] وتلك القطيعة هيأتها بعض المساعي السياسية والتي تدل على رغبة الأمير الصنهاجي التقرب من أعداء الفاطميين الألداء.[3] وكانت الدولة الفاطمية في ظل المعيقات التي ذكرناها عاجزة عن مجابهتهم عسكريا فتقرر إرسال تلك القبائل العربية الساكنة بالحوض الشرقي من مصر إلى بلاد المغرب انتقاما منهم.[4]

وبذلك يكون نقل عناصر الاضطراب و الفتنة ،التي مصدرها القبائل العربية من المشرق إلى المغرب ، وهو ما تعكسه عبارة مهندس ومخطط أمر هجرة الهلاليين أبي الحسن بن علي اليازوري [5] والذي كانت بينه وبين المعز بن باديس خلافات شخصية ، لم يهملها المؤرخون والذي هدد المعز ساخرا[6] :" أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا و أرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا."[7] وهذه العبارة تظهر مؤدلجة سياسيا فيها لغة الاستصغار والاحتقار للمعز مع وجود الثقة العمياء في تلك القبائل و قوتها.

حيث اعتبر الهادي روجي إدريس تلك النصيحة المقدمة من الوزير اليازوري للخليفة الفاطمي (نصيحة ميكيافيلية)[8] في سياقها التاريخي المعروف (الغاية تبرر الوسيلة) وكان حسب الرواية التقليدية ، سبب القطيعة بسبب سوء تدبيره.[9]

---

[1]- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص116.

[2]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص257.

[3]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ،ص 215 وما يليها.

[4]- ابن خلدون ، العبر ، ج 6، ص 29.

[5]- هو أبو الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ، كان أبوه من أهل يازور قرية من عمل الرملة (فلسطين) من ذوي اليسار ، تولى الوزارة في 7محرم 442هـ، فنال عدة ألقاب الوزير الأجل الأوحد المكين سيد الوزراء تاج الأصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة. أنظر : ابن منجب الصيرفي ، الإشارة لمن نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله مخلص ، خزانة الكتب الخالدية ، بيت المقدس ، 1923، ص ص73-76.

[6]- عزي بوخالفة ، المرجع السابق ، ص 74.

[7]- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص295. و أنظر: ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 14. النويري ، المصدر السابق ، ص117.

[8]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص 245.

[9]- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000 ، ص 93.

ومن هنا ظهر الاختلاف بين الوزير الجرجرائي[1] أو اليازوري فيمن دبر عبورهم النيل وتوجيههم نحو المغرب.[2]

وذلك أن المعز قبل سنوات كان يكاتب الوزير الجرجرائي ويستميله يعرض بالتحزب معه على بني عبيد و شيعتهم [3] بقوله :

وَفِيكَ صَاحَبْتُ قَوْمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهُمْ خُلِقُوا.

يشير إلى بني عبيد و يزعم أنه إنما أبقى عليهم بعض الإبقاء من أجل حبه فيه ، فلما وقف الجرجرائي عليها قال : ألا تعجبون من هذا الأمر ؟ صبي مغربي بربري يحب أن يخدع شيخا بغداديا عربيا . و اتهمه أنما فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم إن عثروا على هذه الرموز ، فأقسم لأجيشن عليه جيشا و لا يحملن فيه نصبا. [4]

ويضيف نفس المصدر في الصفحة الموالية أنه أمر بخروج العرب ، لكنه أورد رواية لابن الأثير [5] تؤكد أن اليازوري هو صاحب الفكرة . وعلى أساس أن الجرجرائي توفي سنة 436هـ وحل محله اليازوري الذي حلف المعز بسببه (لينقضن طاعتهم وليحولن الدعوة إلى بني عباس) – الخلاف الشخصي الذي أشرنا عليه سابقا– وهنا لابأس أن يكون التفكير في إطلاق العرب على صنهاجة من رأيه ، و إن لم يتم التنفيذ إلا فيما بعد إثر فشل سياسية المداراة على يد اليازوري.[6]

[1] – هو نجيب الدولة أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ،وكان أقطع اليدين ، قطعهما الحاكم والد الظاهر سنة 404هـ . من أهل جرجرايا قرية من العراق ، وزر للظاهر سنة 418هـ ، توفي في 7 رمضان 436هـ ، وكانت وزارته للظاهر ولولده المستنصر 17 سنة و8 أشهر و18يوما.أنظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج3 ، ص ص 407–408. الصيرفي ، المصدر السابق ، ص ص 68–70.

[2]– سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 419–420.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 18–19.

[4]–أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي ، التذكار فيمن ملك طرابلس وكان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1349هـ، ص 23. أنظر أيضا : حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص ص60–61. و الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص ص 213–214.

[5]– ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص24. أنظر أيضا: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1981، ص ص 19–20 . الذي ينسب الأمر للجرجرائي.

[6]– سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 420–421.

وعن الخطة السياسية التي وضعها المهندس اليازوري و مضمونها بإشارته على المستنصر باصطناع العرب عن طريق تقريب مشايخهم ، والعهد لهم بولاية إفريقية بدلا من أمراء القيروان الزيريين الخارجين عليهم.[1]

بعد أن بعثه الخليفة المستنصر سنة 441هـ ، وأغدق على أمرائهم في العطاء و كان لكل واحد منهم بعير ودينار من عامتهم ، وأباح لهم إجازة نهر النيل : قد أعطيتكم المغرب ، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون.[2] فلم تكن عودة هؤلاء إلى المحطات المختلفة التي هجروا إليها ، ثم هجروا منها غير واردة ، فقد كانت هذه المرحلة فاصلة مقنعة في عدم إمكانية العودة إلى موطنها الأصلي الذي رحلت منه ، وهذا بعد تحقيق الغرض الذي خرجوا من أجله.[3]

لإدراكه و قوة بصيرته مدى الضرر الذي يمكن أن يلحقه الهلاليون في المغرب من خلال خبرته في التعامل معهم في الصعيد ، واكتفى بالترخيص لهم بإجازة النيل من غير أن يأمرهم بشيء لعلمه أنهم لا يحتاجون إلى وصية ، في إشارة وتلميح إلى الدور التخريبي المنتظر منهم في إفريقية. [4]

وقد كان قبل ذلك ممنوعا لا يجوزه أحد من العرب[5].في سابقة تاريخية من نوعها تؤكد مدى عدم قدرة الخليفة الفاطمي على تجهيز جيش ، ولم يجد من بد إلا هذه الوسيلة.

وكان اليازوري بحق واضع اللبنة الأولى لتلك الهجرة في دبلوماسية غير معهودة ، حين اتصل بزغبة ورياح (من أشهر بطون بني هلال) حيث دس لهم الدسائس ووصلهم بصلات سنية حتى أصلح بين الفئتين بعد الفتن والحروب.[6]

ولجأ العبيديون لهذا الأسلوب مع سابق علمهم أن القبائل الهلالية والعربية المتحالفة لن تعيد إليهم سلطانهم الضائع في المغرب ، فالظروف التي وصلت إليها دولتهم أجبرتهم على هذا الاختيار ، لأن الكتاميين أنصارهم البربر خلدوا إلى الراحة ، كما أنهم لم يتمكنوا من

---

[1]– سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 421.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 20. أنظر أيضا : حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص168.

[3]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق ، ص74.

[4]– المرجع نفسه ، ص 75.

[5]– ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج 1 ، ص 288.

[6]– النويري ، المصدر السابق ، ص 116. أنظر : الصيرفي ، المصدر السابق ، ص78.

تجييش الجيوش من الشعب المصري ، وكان قائدهم جوهر الصقلي قد مات ، ولم يبق أمامهم سوى هؤلاء الأجلاف الذين كانوا لا يفكرون إلا في مصالحهم.[1]

[1]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق، ص 76.

2- الدوافع الدينية :

إن تلك الهجرة التي حملت أوزارها القبائل الهلالية والعربية المتحالفة ، لم تكن إلا ذات بعد ودافع ديني و مذهبي و إيديولوجي محض. أو أنها مجرد ذريعة انبثق عنها أزمة سياسية طامعة في استرجاع الملك الضائع في إفريقية بدل إعادة الاعتبار للمذهب الشيعي ، إلا وكيف يفسر ذلك التمسك بالمذهب الشيعي لدى الفاطميين ، ومن أبرز دلائل ذلك تأسيس مدينة المهدية نسبة إلى أبي عبيد الله (المهدي) لأول ظهور لهم بأرض المغرب (بهدف ترسيخ مذهبهم عبر السنوات يضاف إليها تسميتهم بالعبيديين نسبة إلى الشخص نفسه).

ومن الجانب الآخر الشروط المفروضة على ملوك بني زيري الأوائل في إطار العلاقة بين الولي و تابعه ، وطبيعة سكان المغرب المحبة للمذهب السني الذي ألفوه – حتى و إن ظل مبطنا في النفوس في تلك الفترة ، وظاهرا في المغرب الأوسط بإعلان حماد بن بلكين الانفصال السياسي والروحي و أول خروج عن الخلافة الفاطمية بعد رحيلهم إلى مصر سنة 405هـ [1] و أول خروج صنهاجي عنها منذ سار زيري بن مناد الصنهاجي في ركابها.[2]

ووسيط ثالث ممثل في تلك القبائل نفسها التي لم يكن لها صاع في ظل هذا الصراع المذهبي وفي معادلة إيديولوجية تحتمل حدين فقط ، فهي تتعصب لأمور أخرى دون أن يكون لها بعد ديني أو مذهبي أو قومي ، بل هدفها ضمان أفضل مناطق الاستقرار وليس حبا في الفاطميين و لا بغضا في صنهاجة ، ولكن طلبا للرزق[3] ، ومن هنا جاءت حتمية الهجرة . وكانت تلك القطيعة[4] بمثابة الشرارة التي أجبرت الفاطميين على تأديب صاحب حامل المذهب المالكي على سكان المغرب المعز بن باديس الصنهاجي (الذي سبق بفعلته هذه أمراء الدولة الزيرية في سنوات متباينة 407هـ وصولا إلى 435هـ وحتى 443هـ كتاريخ مفصلي بعد الدعوة لبني العباس ولبس السواد) [5].

---

[1]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص ص 76-77.

[2]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص64.

[3]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 184.

[4]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص172. و جورج مارسي ، المرجع السابق ، ص ص 180-196 .

[5]- ابن عذارى ، المصدرالسابق ، ص 280.

ويعتبر علامة مميزة في تاريخ الدولة بل وتاريخ المغرب الإسلامي ، فكان العهد الذي أنهى مرحلة التشيع الفاطمي في بلاد القيروان و إفريقية ، لتنتهي أزمة التشيع و معاناة مشايخ المالكية على أيدي السلطات الشيعية .[1]

فالعلاقة بين بني زيري و بني عبيد كانت هشة منذ البداية ، وخضعت لاعتبارات من بينها تقاليد الولاء للعبيديين و لكنها كانت تهتز لأي حركة ، ولنا أن نتصور العلاقة بين الفاطميين والعبيديين الشيعة والزيريين الصنهاجيين السنيين باطنا الشيعة ظاهرا (كما تمت الإشارة) .من خلال كبوة جواد المعز وقتل ثلاثة آلاف من الشيعة ، فهذا الحدث البسيط "الكبوة" عكس هشاشة العلاقة بينهما ، كما عكس مرور هذا الحدث دون اتخاذ أي إجراء رادع ضد الزيريين . بل إنهم قبلوا عذر المعز ، ولعله يبين كذلك مدى إحساس العبيديين بخطر الزيريين المتعاظم القادم ، ومدى قوتهم من جهة ثانية ، عكس ضعف العبيديين.[2]

لكن الخليفة الفاطمي تأثر لهذا الحادث الخطير و هذا الانقلاب الديني السياسي العظيم الذي وقع في إفريقية ، فعظم عليه خروج المغرب عن الإمبراطورية الفاطمية و انقراض دعوة الشيعة به [3]، فكتب المستنصر بالله العبيدي إلى المعز كتابا يتهدده فيه ويقول : هلا اقتفيت آثار آباء في الطاعة والولاء ؟ فأجابه المعز قائلا : إن آبائي و أجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك ، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم[4]. فكان هدفه يكمن في استقلاله عن سلطة العبيديين بملك أجداده أولا و العودة إلى مذهب السنة ثانية.[5] وهذا ما كان يؤرق بال الخليفة الفاطمي [6]

---

[1]– سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 379.

[2]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق ، ص 78.

[3]– عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 342.

[4]– النويري ، المصدر السابق ، ص 116.

[5]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق ، ص 79.

[6]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص167.

3– الدوافع الاقتصادية :

كثيرا ما أغفل الباحثون والمؤرخون دراسة الحالة الاقتصادية في مصر و علاقتها المباشرة بالهجرة الهلالية ، و الاكتفاء بأنها ذات دوافع سياسية ومذهبية إيديولوجية.

وهذا التفسير يعتمد على خاصة على عوامل مختلفة أهمها العامل الديني (رجوع بني زيري إلى السنة بينما كانوا تابعين للشيعة) ، ثم السياسي (معاقبة حليف قطع صلته الرسمية بسيده و مولاه) ، و الإيديولوجي (الصراع بين الشيعة والسنة على مستوى العالم الإسلامي أو الصراع بين الفاطميين في مصر و بني العباس في العراق) . غير أنه تفسير غير كاف لإدراك الغاية التي من أجلها انتقل بنو هلال من الصعيد إلى إفريقية و معرفة أبعاد تلك النقلة.[1]

وانطلاقا من القول الرائج اعرف الاقتصاد لتعرف السياسية ، لا يمكن أن نغفل دور الأسباب الاقتصادية الكامنة وراء تلك الهجرة ، و غالبا ما يتولد عن الأزمات الاقتصادية أزمات اجتماعية و حتى سياسية ، فخلفيات تلك الأزمة ترجع إلى طمع الأمراء و تطلعهم إلى السلطة و تنافسهم الحاد على المناصب التي استغلوها في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة ، وقد أصبحت سلطتهم على درجة كبيرة من الضغط و عجزوا عن السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد ، ولم يستطيعوا أن يقوموا بالأعباء الملقاة على عاتقهم و توطيد الأمن داخل ربوع مصر وتوفير الراحة والاستقرار للسكان ، فتدهورت شؤون العامة وانتشرت النزاعات والفتن بين الناس[2]، وبالتالي تأثرت بالأوضاع السياسية السائدة و أثرت فيها فتولد ونتج عنها أزمات اجتماعية.

ومع قلة المصادر و أمهات الكتب التي أرخت للأزمة الاقتصادية يجعل الدراسة صعبة ، إلا أنه يوجد أهم مصدر ويعود للمقريزي سمح بالكشف عن العلاقة الوطيدة بين الهجرة الهلالية والدوافع الاقتصادية الكامنة وراءها،ممثلا في كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " *

---

[1]– راضي دغفوس ، العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال و بني سليم من مصر إلى إفريقية ، مجلة المؤرخ العربي، العدد 20 ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، 1981 ، ص14.

[2]– عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ،ص 70.

* – وهو كتيب صغير يتناول تارخ المجاعات التي حلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة 808هـ/1405م (تاريخ تأليفه) ، فتعرض للحالة الاقتصادية التي عاشتها مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله . ويظهر نفس المؤلف مهتما بدراسة الأوضاع التي تزامنت مع تواجد الهلاليين ،

وقبل التطرق للحالة الاقتصادية في عهد المستنصر بالله ، يظهر جليا أن تلك القبائل استطاع الخليفة العبيدي (العزيز بالله) في مصر من أن يجلبهم ويقربهم له بالعطايا والهدايا و الأموال مع حرصه على وجود العنصر العربي في دولته فأعطتها أراضي خصبة على ضفاف نهر النيل[1] ، أي أن الحالة الاقتصادية أثناء قدوم بني هلال كانت مساعدة على الاستقرار.

ومع مرور الزمن ظهر بمصر مشكل سوء التسيير المالي ، ذلك أن الشعب المصري مر بحالة من البؤس والفقر في ظل هذا الحكم الفاطمي ، وكان بسبب السياسة المالية التي لم تكن تقدر ظروف مصر إلى جانب حب الفاطميين و جشعهم في جمع الأموال[2] ، حيث كانوا يحتجزون الأموال و يقومون بها في التجارة أو شراء العبيد حتى يعود عليهم بالنفع.[3]

أما عند دراسة الأزمة الاقتصادية و هل كانت دافع لهجرة الهلاليين ؟ يتضح أنها كانت معاصرة لتواجدهم ، وهناك ثلاث مؤشرات دلت على وجود الأزمة الخانقة والحادة أيام المستنصر بالله أهمها :

- انحدار وزن الدينار المصري.
- تقلبات مياه النيل[4] ، وقد كان قياس ارتفاع المياه أمرا مهما منذ قدماء المصريين و تغير منسوب مياه النهر عبر العصور ... ، وكانت حياة مصر متوقفة على مستوى الفيضان فتبور الأرض و ينتشر الوباء والمجاعة إذا انخفض مقدار المياه ، ويعم الرخاء إذا ارتفع منسوب النيل ، والأزمة الكبيرة التي حدثت في عهد المستنصر في القرن 11م كانت نتيجة نقص منسوب مياه النيل عن بضع سنوات[5]. وكان بالضبط سنة 444هـ.[6]

اعتمادا على كتبه البيان و الإعراب عما في أرض مصر من الأعراب (القبائل التي سكنت مصر ومن ضمنها بنو هلال) و اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا.

[1]- علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العبيدية الفاطمية ، ط1 ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، 2007 ، ص 95.

[2] – إلا وكيف نفسر جمع الأموال على تلك القبائل التي بقيت بمصر و بشكل مضاعف بعد هجرة إخوانهم و إطلاعهم بأمرهم في إفريقية . وهذا ما سنورده في مواضع متقدمة من البحث.

[3]- عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ص ص 69-70.

[4]- راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص 16.

[5]- عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ص ص 70-71.

[6]- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق كرم حلمي فرحات ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2007، ص93.

- الزلازل التي ضربت بعض المدن المصرية التي ارتجت منها الأرض ، وقلعت الجبال وخربت القلاع ، وامتدت إلى مناطق كثيرة ، وحدثت في نفس السنة.[1]

فظهرت بمصر عدة مجاعات أيام العصر الفاطمي بصفة عامة و أثناء خلافة المستنصر بصفة خاصة والتي تهم بالدرجة الأولى ، فكانت أشد و أعنف على سنوات متعاقبة من بينها مجاعة سنة 444هـ/1052م، وسنة 447هـ/1055م ، فسنة 457هـ/1065م ، ولعل أهمها يتمثل في مجاعة 444هـ التي دامت عدة سنوات وعاصرت الغزوة الهلالية لإفريقية .[2]

فأسبابها ترجع إلى قصر مياه النيل منذ سنة 444هـ[3] - كما أشرنا- وقلة الغلات في المخازن و خلوها يرجع إلى انخفاض الأسعار و إلى قرار الخليفة بإيعاز من وزيره اليازوري ، أن يقوم بإخراج ما في خزائنه من الغلات وبيعها خوفا من بوراها و انحطاطها.[4]

وهذا عن ما ذكره المقريزي :" ثم وقع غلاء (أي مجاعة) في عهد المستنصر ووزيره ... اليازوري وسببه قصر النيل سنة 444هـ ، وليس بالمخازن السلطانية شيء من الغلات . وكان سبب خلو المخازن أن الوزير لما أضيف إليه القضاء في وزارة أبي البركات كان ينزل إلى الجامع بمصر في يومي السبت والثلاثاء من كل جمعة ، فيجلس في الزيادة منه للحكم على رسم ماتقدمه..."[5] و لسنا بخضم ذكر كل ما قاله ، و إنما ما نقله من خلال هذا النص التاريخي وذكره للعديد من المفردات الدالة على الأزمة (الغلاء ، المساغب والتي يراد بها المجاعة)

و من أهم الأسباب الراجحة لتلك الأزمة تعود لقرارات اليازوري ، وما كان يقوم به الخليفة الفاطمي من مضاربات ، حيث أنه كان يشتري الغلات بقدر مائة ألف دينار كل سنة

---

[1]- جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج5 ، ص 55 . وهذه الحادثة التي لم يهتم بإيرادها المؤرخون والباحثون عند ذكر أسباب الأزمة.

[2]- راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص ص 17-18.

[3]-المقريزي ، المصدر السابق ، ص 92./ص 11.

[4]- راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص 18.

[5]- المقريزي ، المصدر السابق ، ص ص 92-93.ص ص 11-12.

ويضعها في مخازنه ، ثم يتاجر بها عندما ترتفع الأسعار ، وكانت هذه العمليات تؤثر على حركة الأسعار بالإضافة إلى ما تؤدي إليه من سخط الرعية وحنقهم على السلطان.[1]

وما يهم بدرجة أخرى لتفسير هذه الأزمة ، دراسة تطور وزن الدينار الذهبي و تقلبات مياه النيل ، فوزن الدينار الذهبي كلما زاد وزنه دل على رفاهية الدولة و غناها ثم عنايتها بالعملة حتى تكسب ثقة الرعية و تصبح واسعة الرواج ، أما إذا نقص الوزن فذلك دليل على تدهور الحالة الاقتصادية في البلاد ، إذ يعمد الخليفة في هذه الصورة إلى إنقاص وزن العملة حتى يقلل من نفقات الدولة فتنخفض رواتب الموظفين و يزيد مقدار الضرائب [2]. و منه تظهر في الأفق الأزمات الاجتماعية السياسية كما سيأتي معنا لاحقا.

وخلال فترة مصر المستنصرية فإن وزنه انحط إلى مستوى 3.88غرام سنة 444هـ/1052م و هو وزن ضعيف بالنسبة للمعدل العام[3]، ومما يستدعي الانتباه فهذه السنة نفس سنة المجاعة و في نفس الوقت سنة انطلاق هجرة بني هلال إلى إفريقية.

و بالتمعن في المعلومات الواردة عن ابن تغر بردي في كتابه ، ندرك أن هناك تقلبات في نهر النيل و خاصة الفترات التي تهمنا والمتزامنة مع الهجرة الهلالية ، ففي سنة 442هـ كانت هناك زيادة [4]، وفي سنة 443هـ كان هناك نقصان بعدما كان 17 ذراعا و 16 إصبعا أصبح 17 ذراعا و 12 إصبعا [5] ، وبلغ أوجه في النقصان سنة 444هـ بعدما أصبح 17 ذراعا و 5 أصابع.[6]

وعن انعكاسات الأزمة تدل على أن الوضع الاقتصادي كان متدهورا فعلا ، قلة المواد الغذائية (خاصة الحبوب) ، ارتفاع الأسعار (خاصة الخبز) ، انخفاض في أوزان الدينار الذهبي و فيضان مياه النيل وقصرها ونتائجها السيئة على السكان ، فتكاثرت المجاعات والأوبئة [7] ، مما جعلهم ينبشون القبور و يأكلون الأموات ويبيعون لحومهم في كل أنحاء

---

[1]- راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص ص 19-20المقريزي ، المصدر نفسه ، ص ص 93-94 / ص ص 12-13. .

[2]- راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص32.

[3]- المرجع نفسه ، ص 32.

[4]- ابن تغر بردي ، المصدر السابق ، ص 52.

[5]- المصدر نفسه ، ص55.

[6]- المصدر نفسه ، ص 56.

[7]- راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص 42.

مصر ، و اضطرارهم أن يأكلوا أنواعا من الحيوانات الأليفة التي حرمتها الديانة الإسلامية كالكلاب والقطط ، و هاجم الموت السكان و شمل كل فئاتهم الفقيرة و الغنية على سواء ، ومع عجز السلطة عن مجابهة الأمر خرج الحشود من أهل مصر و لاسيما النساء إلى الشوارع يشكون الفاقة ، ويطلبون من قادتهم أن يوفروا لهم ما يسدون به رمقهم.[1]

وكيف لهم ذلك حين أجبر الخليفة المستنصر نفسه على بيع قطع من الأثاث الثمين الموجود في قصره من أجل لقمة العيش.[2]

وبهذا نلحظ أن الأزمة مست كل الفئات والطبقات حتى الحاكمة منها ، فما حال الطبقات المحرومة ومصير تلك القبائل من كل هذا ؟

وهذا ما نستخلصه أن المقريزي في كتابه الآخر البيان و الإعراب عمن نزل مصر من الأعراب[3] ذكر مصير تلك القبائل الهلالية والعربية أنها كانت تعيش في ظروف متدهورة خلال منتصف القرن الخامس الهجري ، وتغيرت معطيات الاستقرار عما كانت عليه.

والنظريات التي تفسر الهجرة الهلالية بأسباب سياسية و إيديولوجية بحتة غير كافية ، فلا يمكن أن نهمل العامل الاقتصادي الذي ساهم بشكل كبير في تلك الحركة والعامل السياسي قد لا يكون في نهاية الأمر سببا في حد ذاته بل مجرد حجة ، وهو إذن عامل ثانوي لا سيما و أن القبائل الهلالية بدورها كانت في وضع مادي خانق نظرا لوجودها في منطقة جدباء عرفت بجفاف مناخها و قلة مراعيها و هي الصعيد ، مما شجعها على توجيه نظرها إلى إفريقية .[4] و كيف لا توجه أنظارها إلى إفريقية المعز فنقلا عن ابن خلدون :" كان أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية و أترفه و أبذخه ".[5] وهذا ما لمحنا إليه أثناء دراسة الأوضاع الاقتصادية السائدة بالمغرب الأدنى.

و هذا ما يشير إليه نفس المصدر عندما بعث المستنصر وزيره سنة 441هـ ... و أباح لهم إجازة النيل ، وقال لهم " قد أعطيتكم المغرب ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد

---

[1]- عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ص ص 71-73.

[2]– المرجع نفسه ، ص 74.

[3]– المقريزي، البيان والإعراب عمن نزل مصر من الأعراب ، ص27.

[4]– راضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص 43.

[5]– جورج مارسيه ، المرجع السابق ،ص 204.

الآبق (فلا تفتقرون) "[1] فهي إشارة منه ضمنيا إلى الأوضاع الجيدة بإفرقية و المتدهورة بمصر.

وما يفسر هذا أيضا و نقلا عن ابن خلدون "... فطمعت العرب إذ ذاك و أجازوا النيل إلى برقة ، و نزلوا بها و افتتحوا أمصارها و استباحوها ، وكتبوا لإخوانهم بشرقي النيل يرغبونهم في البلاد ، فأجازوا إليهم (الخليفة ووزيره اليازوري) بعد أن أعطوا لكل رأس (فرد) دينارين ، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه".[2]

وبالتالي كان الوضع الاقتصادي متدهورا ، فلم تكن أمام الخليفة إلا هذه الوسيلة لاسترجاع تلك الأموال أضعافا عندما سمحوا لهم بالمرور في بادئ الأمر(عندما أعطي لكل واحد منهم دينار) و ملأ الخزينة و التخلص من تلك القبائل نظرا للوضع المزري و الخانق.

ثم أن الخليفة نفسه –ولاضطراب الوضع– قد يكون شجع عملية انتقال بني هلال وبني سليم إلى إفريقية لتخفيف الشدائد على سكان تلك المنطقة لا سيما وأن الغلات والمجاعات تواصلت في النصف الثاني من القرن الخامس هجري ، وأهمها بدون شك (الشدة الكبرى) التي اجتاحت مصر سنة 457هـ/1065 ودامت ما لايقل عن سبع سنين.[3]

فكانت هناك علاقة وطيدة بين هجرة بني هلال و تلك القبائل العربية خلال منتصف القرن الخامس هجري وما كانت مصر تعانيه من أزمات اقتصادية ، فالدافع الاقتصادي مثل بحق السبب الرئيسي لتلك الحركة.

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص20.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 20.

[3]– راضي دغفوس ، المرجع السابق ،ص 24.

خامسا : دخول بني هلال بلاد المغرب الإسلامي .

واجه المغرب الأدنى في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي ، حركة غزو وقد عرفت هذه الحركة في التاريخ الإسلامي باسم الهجرة الهلالية. والتي شملت فيما بعد المغرب الإسلامي ككل. ويطلق على تلك الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب "الغزوة الهلالية" أو "تغريبة بني هلال" ، وحول الوقائع التاريخية لتغريبتهم نسجت الأسطورة التي أصبحت تحمل اسم أحد أبطالهم ، أو اسم القبيلة ، وهي تختلف عن وقائع التاريخ اختلافا بينا ، فهي أشبه بالصدى البعيد لحوادث التاريخ مثلها في ذلك مثل الملامح الشعبية ، حيث اختلط فيها الخيال بحقائق تاريخية و عادات اجتماعية و معلومات جغرافية كانت شائعة في ذلك العصر.[1]

وتعرف أيضا بالمسيرة[2] أو بالزحف أو حتى "الكارثة الهلالية" (تلك النظرة الخلدونية ومن بعد الاستشراقية) ومن ثمة كان حكمهم قاسيا جدا في مبالغتهم بتحميل تلك القبائل كل ما لحق بإفريقية من خراب وانحطاط في أواخر القرن5هـ ، وتقديرهم يكون متحاملا وفي كثير من الأحيان تغذيه العواطف ، نتيجة قسوة الحروب التي خاضوها في إفريقية ثم المغرب الأوسط ، ولم يتعمقوا في الروح الجماعية العربية البدوية ، التي عكستها صورة الهلاليين ، والعقلية التي تميزت بها وطبيعة الحروب التي اختارتها أو فرضت عليها فرضا مع البربر ، وتكيفهم مع الأوضاع منذ مغادرة موطنهم نجد فقد تعودوا مثل هذه الهجرة التي جر فيها المحاربون أسرهم وكل ما يملكون ، ولن يحملهم على العودة شيء لأنهم لم يتركوا شيئا وراءهم يعودون إليه.[3]

وعن حيثيات تلك الهجرة فتعود حتما إلى الأسباب التي تم ذكرها مسبقا سواء السياسية أو المذهبية أو الاقتصادية ، حين أجبر الخليفة الفاطمي على تطبيق قرار وزيره اليازوري ، ولا سيما أن هناك جماعات من عرب بني هلال كانت قد استقرت منذ مدة طويلة في برقة وهم

[1]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ،ص 257. أنظر أيضا: حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ص 168-169.و عمر أبو النصر ، تغريبة بني هلال و رحيلهم إلى بلاد المغرب و حروبهم مع الزناتي خليفة ، ط1، دار عمر أبو النصر وشركاؤه للنشر والتوزيع ، بيروت، 1971، ص 12.

[2]- عمر أبو النصر ، المرجع السابق ، ص13.

[3]- عزي بوخالفة ، المرجع السابق ،ص 75.

بنو قرة.[1] حتى أن ابن خلدون ذكر أن هناك بعض الهلاليين لم يكونوا من الذين أجازوا النيل لعهد اليازوري أو الجرجاني و إنما كانوا قبل ذلك ببرقة أيام الحكم العبيدي.[2] لأن مقرب بن ماضي أمير بني قرة قد ارتحل منذ سنة 420هـ/1029-1030م.[3]

كما أن هذه المناسبة هي الفرصة الأولى التي سمح لهم فيها رسميا بهذه الحركة تحت غطاء شرعي بقرار تمليكهم المغرب و ملك المعز (غطاء الفاطميين)، فاغتنموا فرصة حصولهم على هذه الرخصة الفاطمية ، لاحتلال أراض تكون لهم ، فقد حاصروهم في صعيد مصر ، وهاهم يهبوهم أرضا فكيف لا يقبلوها.[4]

وأهم البطون الرئيسية المتواجدة بالصعيد المصري و التي انطلقت نحو إفريقية / المغرب الأدنى ، الأثبج وزغبة ورياح و جشم و ربيعة و عدي[5]- التي سيتم التطرق إليها في الفصل الثاني من هذه الدراسة-

فخرجت الحملة الهلالية الأولى من الديار المصرية سنة 442هـ/1050م (لأنه كما أشرنا أن اليازوري تولى الوزارة سنة 442هـ) في نحو 400 ألف شخص[6]. وهناك من يذكر أعدادا مختلفة قدرت ب200ألف[7] ، كما قدر عددهم بخمسين ألف مقاتل والرقم الإجمالي بمليون مقاتل على مراحل متعددة إلا أنه مبالغ فيه.[8]

ومهما يكن فإن الهجرة الهلالية حققت نجاحا كبيرا ، إذ سرعان ما اجتاحت مدينة برقة وما والاها سنة 442هـ. لأنهم وجدوها كثيرة المرعى و خالية من الأهل بسبب هجرة زناتة بعد أن أبادهم المعز بن باديس.[9]

و ما لبث الهلاليون أن كتبوا لإخوانهم في مصر يرغبونهم في البلاد ، فسمحوا لهم (الخليفة والوزير) بالمرور بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين ، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه ، ومن ثمة حصل لسليم الشرق ولهلال الغرب، فاقتسموا البلاد فكان للهب(هيب) ورواحة

---

[1]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 179.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 23.

[3]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص250.

[4]- عزي بوخالفة ، المرجع السابق ،ص 82.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 19. أنظر أيضا : سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ،ص 418.

[6]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ،ص 342. أنظر أيضا : علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 96.

[7]- عبد الله العروي ، المرجع السابق ،ص 94.

[8]- جورج مارسيه ، المرجع السابق ،ص 223.أيضا : علي محمد محمد الصلابي ، المرجع نفسه.

[9]- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص296. أنظر أيضا: ابن غلبون ، التذكار...، ص 25.

وناصرة وغمرة من سليم أرض برقة ، وسارت قبائل دياب وعوف و زغبة و جميع بطون بني هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه ووصلوا إليها (إفريقية) سنة 443هـ. بعد أن خربوا مجموعة مدن من ليبيا الحمراء و أجدابية و أسمرا وسرت [1]

فاستصغر المعز الهلاليين و احتقرهم [2] ، وكان أول الوافدين أمير رياح مؤنس بن يحي الصنبري ، وفاوضه ليكون هو ومن معه من العرب سندا له على نواحي بني عمه (الحماديين)[3] وكان المعز كارها لإخوانه من صنهاجة ، محبا للاستبدال و حاقدا عليهم.[4]

وصفة التعالي نجدها ماثلة في شخص المعز فهو لم يقدر قوتهم و طاقتهم ، على التخريب و على السبي والنهب ،مما يؤدي إلى اضطراب الأمن لوجود إرادتين متعارضتين:

– إرادة مدافعة ، ترفض الطريقة التي لجأ إليها العبيديون في استعادة سلطانهم الضائع ، بتسهيل مهمة القبائل العربية ، وتمليكها إفريقية ذلك الجسم الغريب الذي تجب مواجهته.

– إرادة أخرى ، تجردت من قيود العبيديين في المشرق ، لتجد لها أرضا / وطنا في المغرب ، وثم جدت في توظيف كل الوسائل لتحقيق الهدف.

وكانت الحرب هي نتيجة هذا التعارض الذي استمر طويلا ، إلى أن تم التعايش بين العرب والبربر.[5]

وبتتبع ما نقله الكثير من المؤرخين رغم بعض الاختلافات ، فإن أول مواجهة حدثت بين بني هلال و صنهاجة (المعز) كانت سنة 443هـ ، فكانت حسب ابن عذارى عند جبل حيدران.[6] أما ما يذكره النويري جندران (جبل على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان) وسار إليهم المعز في جيش قوامه 30ألف فارس ، أما العرب 3 آلاف فارس ، وبعد مشاهدتهم لعساكر صنهاجة هالهم ذلك ، فقال مؤنس بن يحي المرداسي :" يا وجوه العرب ، ما هو يوم فرار" فقالوا : أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكازغندات و المغافر ، فقال أمير منهم في

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 20.و سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ،ص ص 422–423. و مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص180.

[2]– النويري ، المصدر السابق ، ص117. ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص 296.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 20.

[4]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 288.

[5]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق ،ص 75.

[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 290–291. ويورد ابن خلدون أنه من جهة قابس في النسخة التونسية. أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 21. والهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ،ص 254–255.

أعينهم فسمي من ذلك اليوم (أبا العينين) ، وبعد تراجع صنهاجة ثبت المعز والعبيد فقتل منهم الكثير ، واستمرت الهزيمة ، ودخل المعز القيروان مهزوما مع كثرة من معه و قلة العرب، وفيها يقول الشاعر :

وَإِنَّ اِبْن بَادِيسَ لَأَفْضَلُ مَالِكٍ	وَ لَكِنْ لَعُمْرِي مَا لَدَيهِ رِجَالُ
ثَلَاثُونَ أَلْفَ مِنـْـهُمْ غَلَبَتْهُمْ	ثــــــَلَاثَةُ آلاَفٍ إِذًا لَمُحَال[1]

في حين وقع الاختلاف حتى في هذا البيت[2]، بل في عدد جيوش المعز حتى قيل أنهم بلغوا 80 ألف[3] وهنا نلمس أن الكثير من المؤرخين أهملوا هذه الحادثة لإطلاق ذلك لحكم القاسي على قبائل بني هلال ، فقد لقوا فعلا مواجهة شرسة من قبل صنهاجة وجيوش المعز.

ولما كان عيد الأضحى من نفس السنة جمع المعز 27 ألف فارس وهجم العرب ، فانهزمت صنهاجة أماهم و قتل منهم عدد كبير.[4]

فأعاد الكرة وخرج مع زناتة في جمع عظيم ، فواجهته قبيلتي زغبة وعدي وعددهم 7آلاف ، فانهزمت زناتة ليلحقهم المعز بعد ثباته ورجوعه إلى المنصورية ، وقد أحصي من قتل من صنهاجة 3300. .

وفي سنة 444هـ نزل العرب بمصلى القيروان ، ووقعت الحرب فقتل من أهل رقادة والمنصورية عدد كبير[5] ، إلى أن رفع المعز الحرب بينه وبين العرب ، و أباح لهم دخول القيروان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء ، وبقي في المنصورية هو و جنوده ، فوقعت الحرب بعد أن أهان العامة العرب ، وكان النصر حليف العرب في الأخير.

ومن نفس السنة بنا سور زويلة والقيروان.[6]

---

[1]- النويري ، المصدر السابق ،ص 119. ابن غلبون ، المصدر السابق ،ص 26.

[2]- لقد زار و هنا من أميم خيال و أيدي المطايا بالزميل عجال.
وأن ابن باديس لأفضل مالك لعمري ، ولكن مالديه رجال
ثلاثون ألف منهم قد هزمتهم ثــلاثة آلاف و ذلك ضلال .أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 21. وابن عذارى ، المصدر السابق ،ص 290.

[3]- النويري ، المصدر نفسه.

[4]- المصدر نفسه ،ص 120.

[5]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 297.

[6]- ابن عذارى ، المصدر السابق ،ص 293.

وبعد أن فر أهل القيروان إلى تونس وسوسة ، وعم العيث والنهب و دخلت بلاد الأربض و أبة سنة 445هـ[1]. وهي السنة التي ولى فيها المعز ابنه تميم مدينة المهدية.[2]

وفي سنة 446 هـ اقتسمت زغبة ورياح بلاد إفريقية ، فكان لزغبة طرابلس و مايليها ، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها ، وبعد اقتسام البلاد ثانية كان لهلال من تونس[3] إلى الغرب وهم : رياح وزغبة والمعقل و جشم وقرة و الأثبج والخلط و سفيان ، وتصرم الملك من يد المعز وتغلب عائذ بن أبي الغيث على مدينة تونس و ملك أبو مسعود من شيوخهم مدينة سوسة صلحا ، وعمل المعز على الخلاص بنفسه مصاهرة ببناته الثلاثة اللاتي زوجهن بابنيه فارس بن أبي الغيث و أخيه عائد والفضل بن أبي علي المرادي[4]. وكان لبني عمومتهم من بني سليم الأقاليم من طرابلس و ما دونها.[5]

ومن نفس السنة حاصرت العرب مدينة القيروان وضيق عليها تضييقا شديدا يطول ذكره ، وفيها أخذ مؤنس بن يحي سلطان العرب مدينة باجة و أطاعه أهلها.[6] وهكذا أصبحت رياح تتحكم في وادي مجردة العليا.[7]

وهنا أشار المعز على رعيته بالانتقال إلى المهدية ، وشرع العرب في هدم الحصون والقصور و قلع الثمار ... ، فخرج المعز من القيروان إلى المهدية في ليلتان مضتا من شعبان سنة 449هـ ، وكان بها ابنه تميم ، وفي 01 رمضان 449هـ نهبت العرب القيروان و خربتها.[8]

وتلاحم إلى الهلاليين إخوانهم بالصعيد ونجد ، ودامت حركة الهجرة نحو نصف قرن ، وموجتها في اتجاه نحو الغرب.[9]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج 6 ، ص 21.

[2]– ابن عذارى ، المصدرالسابق ، ج1 ، ص 293.

[3]– قابس في النسخة التونسية.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص22.

[5]– سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ،ص 436.

[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 293–294.

[7]– الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ،ص 266.

[8]– النويري ، المصدر السابق ، ص120. و ابن عذارى ، المصدر السابق،ص 294. و ابن الأثير ، الكامل ،ج 8 ، ص297. والهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ،ص 272.

[9]– محمد بن مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 181.

وظلت الحرب مستمرة بين الهلاليين و المعز إلى حين وفاته سنة 454هـ[1]. وفي نفس السنة من 01 رجب غدر الناصر بن علناس ببلكين بن محمد الصنهاجي وولي مكانه.[2]

وبانتصار الهلاليين ومن معهم على إفريقية أصبحت طموحاتهم أوسع مما وصلوا إليه وتطلعوا إلى أراضي المغرب الأوسط.[3] فبني حماد ظنوا في البداية أن الأهوال و المصائب التي لحقت بني عمومتهم ستفيدهم.[4]

وكان قبل هذا أن أدخلت مجموعة من القبائل الهلالية الأثبج وعدي في خدمة الدولة الحمادية و أميرها بلكين بن محمد (447-454هـ/1055-1062 م) عندما ساعدته في الإطاحة بزناتة وكسرها.[5]

حيث نلمس أمر مهم وهو بداية التعايش بين العرب والبربر سواء الدولة الزيرية في عهد المعز بن باديس (عندما فاوضهم للدخول ضد بني عمومته و مصاهرته لهم) ومن ثمة أتى الدور على الدولة الحمادية بذكر هذه الحادثة والواقعة التاريخية.

ولم يظهر لبني هلال أثر في الجزائر / المغرب الأوسط إلى أن حالف الملك الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م) قبيلة الأثبج الهلالية سنة 457هـ/ 1064م ، وخرج لامتلاك تونس فيومئذ تمالأ الحلفاء الأثبج مع قومهم رياح وزغبة وزناتة [6] أيضا ضد الناصر ، وخرجت جيوش تميم بن المعز(454-501هـ/1062-1108م) لرد الحملة الناصرية ،فكان هؤلاء جميعا يدا واحدة على الناصر ، وكان اللقاء بفحص سبيبة غربي القيروان على نحو 50 كيلومترا جنوب الأربس ، فانهزم الناصر و قتل من جيشه أربعة وعشرون (24) ألف و استشهد أخوه القاسم.[7]

---

[1]- النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص 121.

[2]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 295.

[3]- عزي بوخالفة ، المرجع السابق ،ص 81.

[4]- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج 2 ، ص 94.

[5]- النويري ، المصدر السابق ، ص 122.

[6]- وحسب النويري : فالحرب كانت بين الناصر بن علناس... ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة وزناتة ومن العرب عدي والأثبج ، وبين العرب وهم رياح وزغبة وسليم ومعهم المعز بن زيري الزناتي ، وأرسل هذا الأخير إلى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك ، وتوعدوه أن ينهزموا. النويري ، المصدر السابق ، ص ص 122-123.

[7]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ،ص ص 369-370. وابن عذارى ، المصدر السابق ،ص 299. و النويري ، المصدر السابق ، ص ص 122-123. ومبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص ص 248-249. والهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص ص 305-307.

فاضطر إلى التقهقر والرجوع إلى الجزائر و نجا إلى قسنطينة فتبعه الهلاليون ، واقتحموا عليه المدينة فاستوالو عليها و على القلعة والمسيلة وطبنة ، وهم مع ذلك ينهبون ويخربون فتركوا البلاد بلا منافع و الديار خربا.[1]

وتلاحقت طوائف الأعراب بأحلافهم الهلاليين إلى الجزائر / المغرب الأوسط من طريق سبيبة و دخلوا تبسة و انتشروا في جنوب الأوراس وقرى الزاب[2] ، لأن انتصار الهلاليين على زناتة المغرب الأوسط / الجزائر أدى إلى استقرار نسبي لبني هلال في الزاب ، حيث تم الاتفاق بينهم وبين الحماديين للاحتفاظ بالمدن وترك الأرياف لبني هلال. وهذا ساعد على التقارب بين العرب و البربر على المستوى الشعبي ، وأضحى هؤلاء الأعراب طائفة مستقرة من طوائف الشعب المغربي [3]

وهذا بين بأن أضرار بني هلال بالمغرب الأوسط لم تبلغ مبلغها بإفريقية ، ذلك أن المغرب الأوسط لم يكن مقصودا من الحملة الهلالية.[4]

وسجل التاريخ بداية جديدة في المغرب الإسلامي منذ سحق صنهاجة في سبيبة حيث أقر هيمنة بني هلال على كامل المغرب الأدنى و الأوسط ، حيث أصبح بنو رياح يسيطرون على إفريقية و الأثبج يسيطرون على المغرب الأوسط ، لأن الدولة الحمادية قد اعترفت إلى آخر أيامها بتفوق الأثبج ععلى القبائل العربية الأخرى. إلى أن فقدت تلك القبيلة نفوذها وتفككت.[5]

وهذا ما يدعمه الميلي ، بأن الحماديين كانوا يختصون الأثبج دون سائر العرب بالرئاسة ، وأقطعوهم الكثير من أعمال الزاب و الحضنة و ضواحي القلعة ، و استألفوا معهم زغبة ، واستظهروا بهاتين القبيلتين على زناتة ، لأن موطن زغبة كان أقرب إليهم فدارت بينهم حروب شديدة .

وبعد سقوط الدولة الحمادية (547هـ /1153م) ضعفت الأثبج ، بما كان بينها من الفتن (لأنه كانت بين بطونها حروب فيما بينها) ، و ذهاب الدولة التي كانوا يستدرون خيراتها ،

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص370.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق ،ص 89.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع نفسه.

[5]– الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ،ص 309.

فأزال عبد المؤمن ما كان لهم من امتيازات ، ونقل منهم إلى الأندلس ، ثم نقل أبناؤه بعض بطونهم إلى المغرب الأقصى ، فقل جمعهم بالجزائر ، وتغلبت رياح على كثير من مواطنهم.[1]

ولذا رأى بعض الدارسين أن الحركة العربية الهلالية في بلاد المغرب مرت بمرحلتين، مرحلة حربية استمرت خمسين عاما تقريبا ، تلتها مرحلة التوسع السلمي والحقيقة أن المرحلة السلمية أو التوسع السلمي ، أمر نسبي في تلك الحركة ، ذلك أنه حتى في حالات السلم لم يخل الأمر من مقاومة دموية ، فالمرحلة السلمية بدأت بعد أن انتصار عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1130-1163م) عليهم و تهجيرهم إلى الغرب ، أي أنهم هجروا مرغمين إلى المغرب الأقصى بعد انحيازهم إلى بني غانية ضد عبد المؤمن ، هروبا من قيود الدولة الموحدية الصارمة.[2]

وبالتالي حازت القبائل الهلالية البدوية على مناطق هامة في المغرب الأوسط و إفريقية وطرابلس و من ثم المغرب الأقصى و الأندلس.[3]

كما نلمس أنه حدث تأخير لتلك القبائل في توجيه أنظارها نحو المغرب الأوسط والأقصى ، بيد أن قيام دولة المرابطين (448هـ-541هـ/1056-1147م) جنب المغرب الأوسط والأقصى – إلى حين – مصير إفريقية (المغرب الأدنى) من القبائل العربية.[4]

---

[1]- محمد بن مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 250-251.

[2]- عزي بوخالفة ، المرجع السابق ،ص 92.

[3]- المرجع نفسه ، ص 90.

[4]- حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص260.

الفصل الثاني :

مناطق استقرار بطون بني هلال وأبعادها السياسية ببلاد المغرب الإسلامي من ق5هـ إلى ق7هـ

أولا : الفروع الكبرى لقبيلة بني هلال في بلاد المغرب .

ثانيا : التوزيع الجغرافي للقبائل الهلالية ومواطن الاستقرار.

أ- بالمغرب الأدنى (إفريقية).

ب-بالمغرب الأوسط .

ج – بالمغرب الأقصى .

ثالثا : أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب .

1- إمارة بني جامع (قابس)

2- إمارة بني مزني (الزاب)

رابعا : علاقتها مع دول المغرب الإسلامي من ق5إلى ق7هـ.

1- مع الدولة الزيرية.

2- مع الدولة الحمادية .

3- مع المرابطين .

4-مع الموحدين .

5- مع الحفصيين و بني مرين وبني عبد الواد.

مناطق استقرار بطون بني هلال و أبعادها السياسية ببلاد المغرب الإسلامي من ق5ه إلى ق7ه

إن الحديث عن بطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي يقودنا إلى التمييز بين الفروع الرئيسية و الملحقة ، وحسبما يظهر في خضم الدراسة أن الفروع الرئيسية هي ثلاثة : الأثبج ، زغبة و رياح ، والملحقة وهي جشم والمعقل ، وحتى قبائل أخرى طغى عليها اسم الهلالية. وحتى التي ذكرت في أهم مصدر تاريخي يؤرخ لتلك البطون "كتاب العبر" ، فقد سكت ابن خلدون عن فرعين ، وهما عدي وربيعة والتي وردت أيضا في بعض المراجع التاريخية لكن دون أدنى إشارة مفصلة تسمح باستقراء تواجد تلك الفروع بالمغرب.

وعن مواطن الاستقرار فقد تباينت ، و جل الفروع الرئيسية ضمنت تواجدها ببلاد المغرب الإسلامي ككل ، و رياح أهمها على الإطلاق رغم اختصاصها بالمغرب الأدنى رفقة الأثبج ، أما زغبة فكانت ذات صدى كبير في بلاد المغرب الأوسط و الجزائر بوجه الخصوص لأنها لازالت تذكر في التاريخ المحلي ، رغم الارتباط الوثيق بالفترة البحثية الممتدة من القرن 5ه إلى القرن 7ه.

أما الفروع الملحقة فإن جشم اختصت بالمغرب الأقصى نظرا للارتباط التاريخي في علاقتها الضمنية مع الموحدين ، أما المعقل الفرع الآخر الملحق فإن بطونها انقسمت بين المغربين الأوسط و الأقصى ، من باب أنها تحتوي أربعة بطون فاستقر اثنين بالمغرب الأوسط والآخرين بالمغرب الأقصى.

وكان لهذا التوطن أبعاد و خلفيات سياسية مهمة ، سمحت بظهور بعض الكيانات وهي إمارات عربية صغيرة كإمارة بني جامع بقابس و إمارة بني مزني بالزاب . والتي اهتمت بجميع النواحي السياسية و الاقتصادية و الثقافية ، و أعطت صورة عكسية للوصف الذي طال الهلاليين أثناء دخولهم لبلاد المغرب الإسلامي.

إضافة إلى البعد السياسي الآخر المتمثل في تعدد علاقاتها مع الدول التي عاصرتها من القرن 5ه إلى القرن 7ه ، بداية من الدولة الزيرية حتى عهد الدول الثلاث الحفصية والزيانية و المرينية .

أولا: الفروع الكبرى لقبيلة بني هلال في بلاد المغرب .

يتضح مما تم التطرق إليه أن قبائل بني هلال بن عامر بن صعصعة تعد من أهم القبائل التي فرضت وجودها في بلاد المغرب الإسلامي ، وضمنت استقرارها على جميع النواحي ، حيث كان ذلك بداية من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي ، واستمر هذا التوطن ردحا من الزمن ،وكانت بدايته من المغرب الأدنى وصولا إلى المغرب الأقصى. ذلك أنه غلب إطلاق اسمهم على جميع العرب الذين دخلوا المغرب في الفترة المحددة ، وحتى ليظن الظان أنه لم يدخل شعب من العرب سواهم ، والحقيقة أن شعوبا عربية أخرى دخلته مع بني هلال و بعدهم ، و هم أنفسهم لم يكونوا يرجعون إلى أرومة واحدة ، بل هناك قبائل وبطون كثيرة أضيفت إليهم و هي لا تجتمع معهم في نسب .[1]

ومن خلال التمعن في أهم الدراسات التاريخية التي اهتمت بدراسة هذا الجانب ، الممثلة في جملة من المصادر والمراجع التاريخية ، لعل أهمها كتاب العبر لابن خلدون الذي يعطينا صورة واضحة ودقيقة عن أهم فروعها ، لتأتي مجموعة من الدراسات اللاحقة التي اهتمت بإعادة تصنيفها حتى و إن كانت قليلة ، ككتاب القبائل العربية ببلاد المغرب لمصطفى أبو ضيف و كتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور ، فنجد في المرجع الأول واعتمادا على ابن خلدون أهم الفروع : الأثبج و رياح و زغبة و جشم إضافة إلى القبائل التي ألحقت بها كالمعقل وغيرها. ليأتي الثاني ويضيف إليها عوف [2]. رغم أنها ترجع إلى قبيلة سليم بن منصور أبناء عمومة بني هلال .

ومن هنا كانت هذه هي الفروع الكبرى لقبيلة بني هلال التي ضمنت تواجدها بالمغرب الإسلامي ، فما هم إلا أجداد لأغلب أبناء وطننا ... وعرب اليوم المستقرون في شمال إفريقية هم أحفاد العرب المهاجرين أيام الدولة الحمادية الصنهاجية .[3]

إلا أنه لا يمكن أن نغفل الفرع الآخر بنو قرة بحكم أن تواجدها كان قبل تلك الهجرة الهلالية الكبرى خلال منتصف القرن 5هـ / 11م . و باعتبارها من أهم البطون الكبرى لبني

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1968 ، ج1 ، ص412.

[2]– المرجع نفسه ، ص 417. أنظر أيضا : أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2001 ، ص30. حيث يذكر جشم باسم جوشم و على أن المعقل من بني هلال ابن عامر .

[3]– أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص129.

هلال ، والتي لم تشر إليها هذه المراجع بصورة مفصلة رغم أهميتها التاريخية . حتى و إن كان بطن من العمور الملحقين بالأثبج وهو بطن متسع لأنهم متفرقون في القبائل والمدن وحدانا.[1] و لأنه بدراستها أمكننا أن نضمن التتبع التاريخي للأحداث بتحديد تواجد تلك القبائل ببلاد المغرب الإسلامي .

إلا أن تصنيفات المؤرخين تختلف ، فالهادي روجي إدريس يذكر أنه كانت هنالك ثلاث قبائل هلالية رئيسية منحدرة من عامر بن صعصعة ، وهي بحسب أهميتها : الأثبج و رياح و زغبة ، بالإضافة إلى عدي و جشم وربيعة.[2]

وانطلاقا من هذه التصنيفات لا يمكن إلا أن نعتمد في هذا الصدد على ابن خلدون الذي اهتم بدراسة القبائل الهلالية بشكل مفصل ، وهي كما تمت الإشارة إليها سابقا من خلال كتابه العبر : الأثبج ورياح و زغبة وجشم ، إضافة إلى قبائل ألحقت بها و اندرجت ضمنها كالمعقل و عدي و غيرها.

وعند العودة إلى جشم ونسبهم[3] يظهر جليا أنه كانت هناك ثلاث فروع رئيسية لبني هلال ، وهي : الأثبج و رياح و زغبة ، غير أنه غلب عليهم اسم بني هلال و الأثبج كما مر بنا و سيأتي ذكره. و لأن جل القبائل العربية التي دخلت مع بني هلال تجتمع في منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر إلا المعقل .[4]

وحتى تكون الدراسة مفصلة ينبغي دراسة جل هذه القبائل و بطونها سواء الرئيسية أو التي اندرجت ضمنها.

---

[1]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 25.

[2]- الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص247.

[3]- جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . أنظر : عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 420.أنظر أيضا : مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 178.

[4]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 178.

1/- الأثبج :

تعتبر حسب أحد المؤرخين على أنها (قبيلة غارمة) فهي إحدى القبائل الهلالية الأوفر عددا و الأكثر بطونا[1]، أي أنها ذات تاريخ عريق وما لبثت أن فقدت قوتها وتم استغلالها.

فهؤلاء الأثبج من الهلاليين أوفر عددا و أكثر بطونا وكان التقدم لهم في جملتهم [2]، خاصة عند دخول بلاد المغرب و كما علمنا أن بني قرة من الملحقين بهم[3] ، كان السبق لهم في دخول إفريقية قبل الهجرة الهلالية الكبرى .

و لتفسير ذلك بشكل واضح فإن بطون بني هلال لما جازت النيل ، وكان فيهم من غيرهم كثير من فزارة و أشجع و جشم و سلول و معقل و عمرة وبني ثور و عدوان و طرود اندرجوا في "الأثبج " خاصة و صاروا و إياهم شيئا واحدا[4]. وبهذا فإن كان غلب اسم بني هلال على القبائل العربية التي دخلت معها فإن اسم الأثبج طغى على الكثير من الفروع والبطون.

ويزعمون أن الأثبج هو ابن ربيعة ابن نهيك بن هلال[5]. لأن هلال بن عامر ولد : شعثة ، وناشرة ، و"نهيك" ، وعبد مناف ، و عبدالله .[6]

وربيعة قبيلة تعرف بأبي ربيعة من نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من العدنانية.[7] حتى يتم تمييزها عن بطن ربيعة ابن هلال .[8]

و كان من أشهر بطون الأثبج : الضحاك وعياض و مقدم و العاصم و لطيف ودريد وكرفة ، وغيرهم حسبما يظهر في نسبهم.[9]

---

[1]- محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ، تونس ، 1999 ، ج1 ، ص 98.

[2]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص30.

[3]- المصدر نفسه ، ص 25. أنظر أيضا : أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ،ص 130 .عمر رضا كحالة ، معجم القبائل العربية القديمة و الحديثة ، ج3 ، ص 944.

[4]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ،ص 413.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج 6، ص30.

[6]- ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ،ص 273.

[7]- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ، ص 337.

[8]- عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ج2 ،ص 425.

[9]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص30.

ومن حيث الأهمية ظهر الاختلاف بين كرفة و دريد ، سواء عند ابن خلدون أو أصحاب المراجع السابقة الذكر .

ويظهر **أن** "**كرفة ابن الأثبج**" ، كانت ذات أهمية بالغة بحكم كثرة جمعهم وقوتهم ، لأنهم كانوا أحياء غزيرة من جل الهلاليين الداخلين لإفريقية [1]. فهذه الأهمية استمرت لوقت طويل حتى العهد الحفصي في حدود القرن السابع الهجري – الفترة المتعلقة بالدراسة– بحكم أنها اعتمدت عليها من الجهة الغربية لدحر القبائل الرياحية.[2]

وتعددت بطونهم فمنهم ، بنو محمد بن كرفة و المراونة بنو كثير بن مروان بن قطن بن كرفة . والحدلجات و هم أربعة بطون : الشبه ، والصبحة ، والكلبة ، وأولاد سرحان بن فاضل بن محمد بن كليب يعرفون بالسرحانية .

و أولاد نابت بن فاضل وهم ثلاثة أفخاذ : أولاد مساعد ، أولاد ظافر ، أولاد قطيفة ، والرياسة في بيت مساعد كانت في أولاد علي بن جابر بن مفتاح بن مساعد ، وهؤلاء (نابت بن فاضل) هم أهل الرياسة في كرفة.[3]

ولا يمكن أن نغفل أهمية "**دريد**" ، فهي أعز قبائل الأثبج و أعلاهم كعبا ، وكانت رئاسة الأثبج كلها للحسن بن سرحان منهم عند دخولهم إفريقية[4] ، بل الرئاسة كانت لهم بين بني هلال في حد ذاتهم نظرا لدورهم الكبير في ضمان استقرار القبائل العربية بإفريقية حتى مدحهم أحد شعرائهم بقوله :

وَهُمْ عَرَّبُوا الأَعْرَابْ حَتَّى تَعَرَّبَتْ بِنَوْفِ المَعَالِي مَا يَنْفِي قِصَارَهَا.
وَتَرَكُوا طَرِيقَ النَّارِ بُرْهَةً وَ قَــدْ كَـانَ مَا تَقْوَى المْطَايَا حِجَارُهَا.[5]

ولهم بطون كثيرة مثل : أولاد عطية و أولاد سرور و أولاد جار الله وتوبة [6]من ولد عبد الله[7]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 30.

[2]– محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ص 98–99.

[3]– مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية ببلاد المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص ص 207–208. أنظر أيضا : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 31–32.

[4]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 418.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 32.

[6]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 418 .

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص33.

ولكل بطن عمارات و عشائر ، منهم قبيلة قوية بتونس معروفة بالاسم الأصلي ، أما البطون فقد ارتفعت بدورها إلى مرتبة القبائل وهي معروفة بأسمائها إلى الآن.[1] وكلما عملت هذه البطون على الاستقرار ، تحولت الموازنات القبيلة ، و تنتقل الرئاسة من فرع إلى آخر أكثر بداوة ، فإذا كانت الرئاسة لوبرة في القرن 5هـ/11م عهد حسن بن سرحان ، فإن أولاد عطية خصوصا بني مبارك قد عوضوها فيما بعد ، حتى رئاسة عطاف خاصة توبة .[2]

وبتتبع الدور التاريخي لقبائل الأثبج ، فالعاصم و مقدم و الضحاك و عياض هم أولاد مشرف بن أثبج .

و أهمها حسبما يظهر هي " **لطيف**" وهو ابن سرح بن مشرف ، اشتهروا بعدتهم و قوتهم بين الأثابج و لهم بطون كثيرة[3] ، منها : اليتامى : ذوو مطرف ، وذوو أبي الخليل و ذوو جلال أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف ، و اللقامنة أولاد خليفة بن لطيف ومنهم : أولاد جرير ، وأولاد نزار ، ومزنة الذين يرجع إليهم نسب بني مزني المشهورين بأرض الزاب.[4] أصحاب أهم الإمارات التي أسسها الهلاليون ببلاد المغرب و التي عايشها ابن خلدون (أنظر المبحث الموالي : أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب) .

ونفس الأمر يقال عن " **مقدم** " ، فقد كانوا أيضا ذوي قوة وعدد بين الأثابج و حتى " **العاصم**" فكلاهما أبناء مشرف بن أثبج ، حيث مالا إلى بني غانية ضد الموحدين مما اضطر هؤلاء إلى نقلهم إلى المغرب .[5] وبقيت بإفريقية ثلاثة بطون من مشرف فإضافة إلى لطيف هناك الضحاك و عياض ، وكان ذلك مع نهاية القرن 6هـ/12م في عهد الموحدين "يعقوب المنصور" (580-595هـ/1184-1199م)[6] لنرسم و لو صورة جزئية عن استقرار بطون بني هلال.

وبذكر "**عياض ابن مشرف** " فمن أشهر بطونهم : المهاية و رياستهم في أولاد ديفل ، والزبر و المرتفع و الخراج أيضا.

---

[1]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص418.

[2]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص99.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 33-34.

[4]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع نفسه . أنظر أيضا : مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق ، ص ص 210-211.

[5]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع نفسه ، ص ص 418-419.

[6]- محمد حسن ، المرجع السابق، ص 101. وابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص33.

فأما المرتفع فثلاثة بطون : أولاد تبان (تبار) ،أولاد حناش، أولاد عبدوس ، ويدعى أولاد حناش و تبار بأولاد حناش [1] و يعرفون بالحنانشة.[2]

وكانت الرئاسة للخراج في أولاد زائدة بن عباس بن خفير (خص) و يجاورهم من الغرب بطون أخرى لعياض أولاد صخر و أولاد رحمة ، وهم بدورهم بجوار بني يزيد بن زغبة في آخر و طن الأثابج من الهلاليين.[3]

وهناك أيضا " **الضحاك بن مشرف ابن أثبج** " فكانوا بطونا كثيرة ، وظهر صراع الرئاسة بين أميرين منهم : أبو عطية و كلب بن منيع و رجعت الرئاسة فيها لهذا الأخير بداية الدولة الموحدية ، وارتحل أبو عطية إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى حتى قتل على يد الموحدين أو تم تغريبه للأندلس ، وبقي هو بالزاب إلى أن تغلب عليهم الذواودة (الدواودة ، الزواودة) و أصبحوا من جملتهم ، فاتخذوا بالمنطقة المدن .[4]

ويضاف إليهم " **العمور**" باعتبارهم من العرب الملحقين بالأثبج[5]. ويظن أنهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال و ليسوا من ولد عمر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال[6] ، الذي تنتمي إليه رياح و زغبة و الأثبج ، إذ لا علاقة بين الفريقين ، وقد يكون انتماؤهم إلى عمرو بن رويبة بن عبد الله بن هلال ، وكل ذلك معروف ذكره الكلبي[7]، ولا مع قرة أشهر بطونهم من ناحية أخرى في الوقت الذي نجد فيه بين قرة و غيرهم من بطون هلال صلات.[8] ولم تكن لهم في المغرب رئاسة ولا ناجعة تظعن لقلة عددهم واختلاف كلمتهم ، وفيهم فرسان و أكثرهم رجالة و كانوا يسكنون بالضواحي والجبال ، فبقوا قريبين من مواطن الفقر والجدب. وهم ينقسمون إلى بطنين كبيرين : **بني قرة** و **بني عبد الله** ، وكل بطن يقسم بدوره إلى عمائر وعشائر ، وهم معروفون اليوم باسمهم الأصلي و بأسماء فروعهم.[9]

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص33.

[2]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص101.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص33. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص ص 209-210.

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 33-34. مصطفى أبو ضيف ، المرجع نفسه ، ص210. محمد حسن ، المرجع نفسه.

[5]-ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص34. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 211. محمد حسن ، المرجع نفسه.

[6]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع نفسه.

[7]- ابن خلدون ، المصدر نفسه . أنظر: الملحق الخاص بقبيلة العمور .

[8]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع نفسه.

[9]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص419. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 211-212.

- **بنو قرة :**

بالنظر للأهمية التاريخية لهذه القبيلة والتي سجلها المؤرخون بسبب الدخول القبلي لإفريقية وتواجدها بأرض المغرب قبل الزحف الهلالي الكبير ، ينبغي دراستها بشكل منفرد.

وبنو قرة من قيس في هلال بن عامر ، و بصورة أدق هم بنو قرة بن عمرو بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن من العدنانية.[1]

وهم بطن متسع إلا أنهم مفترقون في القبائل و المدن و حدانا [2]، من العمور الملحقين بالأثبج إلا أن لهم صلات ببطون بني هلال عكسهم ، و هذا كله بسبب حادثة تاريخية سيتم إيرادها.

و يذكر القلقشندي على أنهم من عرب الديار المصرية وذكرهم على أنهم في عرب برقة ومنازلهم فيما بين مصر و إفريقية[3].ذلك أنه توجد في منفلوط بأسيوط بلدة تسمى بني قرة[4].

و دخولهم للمغرب و بالضبط برقة كان أيام العزيز بالله الفاطمي بعد انتصاره على القرامطة و نقله للقبائل العربية المتحالفة معهم من الحجاز إلى الصعيد المصري[5] . فلم يكونوا من الذين أجازوا النيل لعهد اليازوري و الجرجاني وإنما كانوا قبل ذلك أيام الحاكم العبيدي[6].

و لأنها كانت من أشد القبائل الهلالية بأسا و إقداما ، ولم يخضعوا للفاطميين في أي شيء و كان تحركهم من شور ذاتهم ، وعند نزولهم ببرقة كان أن تنازعوا مع لواتة وصنهاجة من البربر ، واستقروا بعدما تصالحوا معهم ثم تصاهروا و امتزجوا بهم بعض الشيء[7].

و أيضا في عهد الحاكم بأمر الله امتد نفوذهم إلى شرق طرابلس في الثلث الأخير من القرن 4هـ .[8]

---

[1]- المقريزي ، البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، ص 15. و عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ج3 ، ص944.

[2]- ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 35.

[3]- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 397.

[4]- محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية و تاريخية ، المجلد الأول ، دار الفكر العربي ، 1997، ج1 ، ص 889.

[5]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص 179.

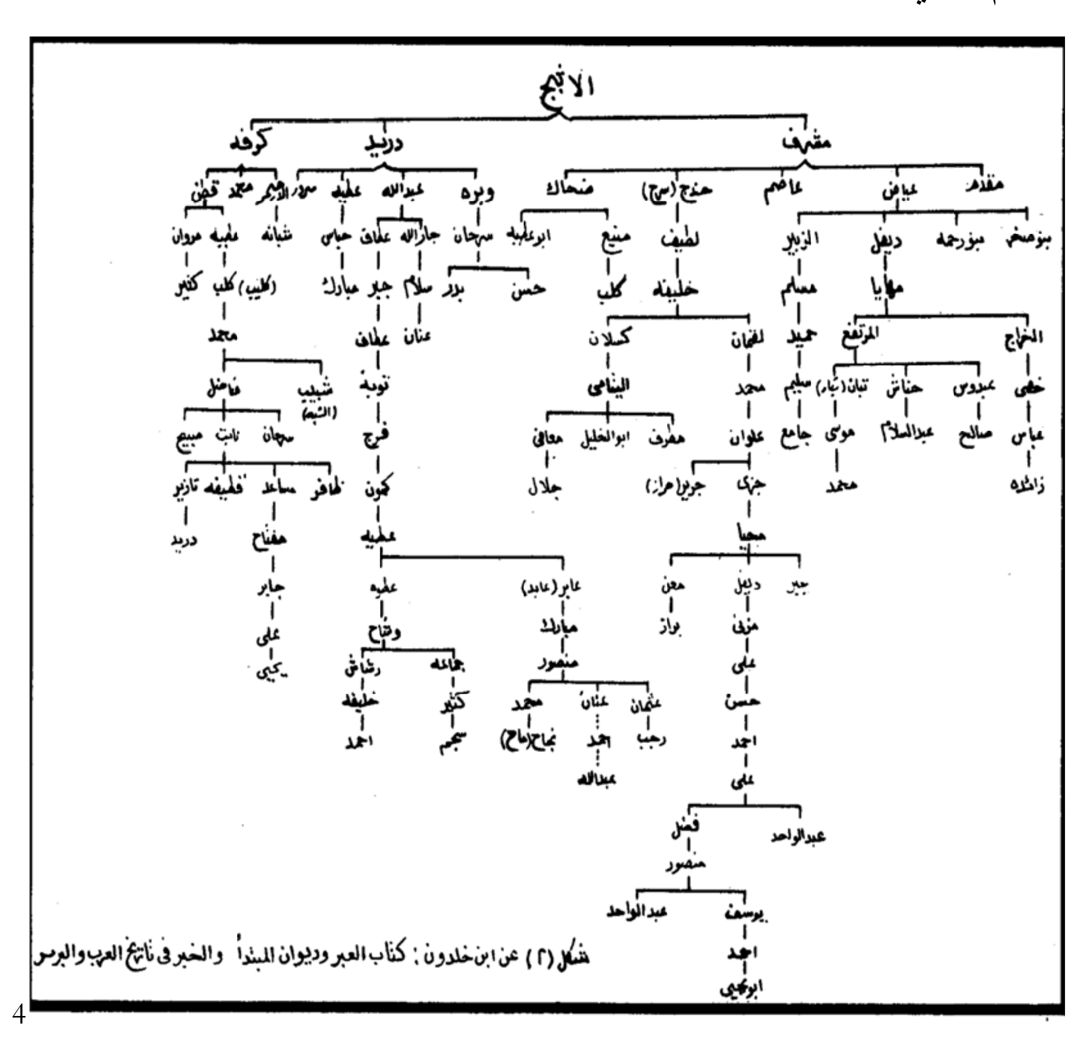
[6]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 23.

[7]- محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ،ص 890.

[8]- بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ والهجرة والاستقرار) ، ص27.

وعندما أحب أميرهم ماضي بن مقرب أم محمد الشهيرة بالجازية الهلالية أخت سلطان البوادي حسن بن سرحان من الأثبج (وهذا ربما سبب إلحاقهم بالأثبج) و تزوجها فرحل مع بعض بني قرة في بني هلال إلى الجزائر و تونس[1] ،وهذا سنة 429هـ/1029- 1030م.[2]

و رياستهم في بني عبد الله بن علي ، ومنهم بطنان : أولاد محمد و أولاد ماضي ، ومنهم أولاد عنان بن محمد و عزيز بن محمد ، ومنهم أولاد شكر بن عنان و فارس بن عنان ومنهم زكري بن بسيط بن شكر.[3]



شكل (٢) عن ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

[4]

(قبيلة الأثبج و أهم بطونها ببلاد المغرب) الشكل -01-

---

[1]- محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص 890. أنظر أيضا : مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص 195.

[2]- الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص 250.

[3]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 211.

[4]- المرجع نفسه ، ص 352.

2/- رياح :

من حيث الأهمية التاريخية و حتى يتضح الدور التاريخي لبطون بني هلال ببلاد المغرب ، فقد كانت رياح من أهم الفروع الكبرى لقبيلة بني هلال ، نظرا لدخولها القوي ودورها الكبير بالمغرب الأدنى . بالرغم من الورود المتأخر لها في كتاب العبر (التصنيف).

وهذا اعتمادا على أشهر كتب النسب فعند حديثه على بني هلال و أشهر بطونها يذكر ابن حزم الأندلسي بنو رياح دون سواهم مما ورد وسيرد في البحث إلا بنو فروة و بنو بجعة ، و أشار على أنهم (رياح) هم الذين أفسدوا إفريقية (المغرب الأدنى) [1]، فما السر الكامن وراء هذا الوصف ؟

ومما ذكره ابن خلدون يتم التأكد على أنها من أهم و أعز قبائل (فروع) هلال ، وأكثرهم جمعا عند دخول إفريقية (المغرب الأدنى)[2].

وفي حديثه المقتضب عن نسبهم نقلا عن ابن الكلبي[*] : على أن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر [3] بحيث يجعله أخ الأثبج سابق الذكر .

كما وقع اختلاف طفيف حول النسب ، فهناك من يذكر أن رياح ابن رويبة [4] وهو بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية [5] ، وهم : بنو رياح بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر ... [6] ، غير أن الراجح هو أن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال ... اعتمادا على أشهر النسابة ابن الكلبي و المؤرخين ابن خلدون .

وقد كانت رئاستهم على عهد الزحف لمؤنس بن يحي الصنبري ، الذي صاهره المعز بن باديس ، فكان من أشد العرب نكاية و أكثرهم ضررا أثناء حصار القيروان لمعرفته بعوراتها- وهنا أمكن إعطاء تصور لوصف ابن حزم- ، وكان لهم دور كبير في المغرب الإسلامي

---

[1]- ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص275.

[2]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 43.

[*]- صاحب أشهر كتاب في علم النسب (جمهرة النسب)

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 43.

[4]- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ، ص337.

[5]- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 266.

[6]- النويري ، المصدر نفسه . و أنظر أيضا : عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 457.

حينما نقل منهم يعقوب المنصور قبائل قوية إلى المغرب الأقصى [1]، كما ساد تواجدهم بالمغرب الأوسط ، وبذلك شمل انتشارها جميع بلاد المغرب " فهم فرقة كبيرة ، وفيهم كان ملك العرب القديم ببلاد المغرب "[2]. بحيث تمكنت من دحر القبائل المنافسة نحو الغرب (الأثبج و زغبة سنة 466هـ/1073م ، وعدي سنة 499هـ/1105م) ، وانفردت برئاسة بني هلال خلال القرن 6هـ/12م ، وهذا ما يفسر أيضا تنامي أعدادها وذلك باختلاف قبائلها وتعدد عشائرها و اتساع أفخاذها وعمائرها[3] .

إلا أنها عجزت عن الصمود في وجه الآلة العسكرية الموحدية ، و عجز الحلف البدوي المكون منها و عدي و الأثبج ، بقيادة أمير المعلقة محرز بن زياد ، عن التصدي لعبد المؤمن بن علي في موقعة سطيف التي فتحت إفريقية أمام الموحدين سنة 547هـ/1153م ، وابتداء من تلك الفترة دخلت القبيلة في صراع مع السلطة الموحدية – الحفصية[4] .

هذا عن تصاريف أحوالها أما بالعودة إلى تفسير قوة و تنامي أعدادها ، فتعددت بطونهم : عامر ، علي ومنهم أولاد فادغ و أولاد ذهمان ، عامر ومنهم خضر و يعرفون بالأخضر ، سعيد ، مرادس [5].

وبتتبع الدور التاريخي لهذه البطون و اعتمادا على التصنيف الخلدوني ، فيكون البطن المهم ضمن رياح هو " **مرداس** " فهي أكبر بطونها على الإطلاق و أكثرهم ذكرا أثناء الزحف الكبير ، وهم قوم مؤنس بن يحي صاحب المعز وصهره ، وأشهر بطونهم الذواودة (الزواودة) أولاد داود بن مرداس و فروعها الكثيرة بالمغرب الأوسط ، و أولاد صنبر بن عقيل بن مرداس الذين منهم بنو موسى و بنو جابر و محمد و سودان و مشهور(المشاهرة) ومعاوية ، وقد يقال أن أولاد عامر بن يزيد من لطيف من الأثبج ، كما ينسب بنو مشهور في غير رياح .

ورئاسة رياح لمرداس طوال عهدهم في أولاد صنبر عند دخولهم إفريقية ، ثم انتقلت إلى الذواودة طوال عصر الموحدين بإفريقية ، و أشهر زعمائهم مسعود بن سلطان بن زمام بن

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ص 421.

[2]– القلقشندي ، المصدر السابق ، ص267.

[3]– محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ،ص 105.

[4]–المرجع نفسه .

[5]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ببلاد المغرب ، ص 212. و ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 43-44.

ورديغي بن داود الملقب بالبلط لشدته وصلابته ، ونقله الموحدون مع بعض بطون رياح والأثبج إلى المغرب[1] .

والزواودة (الذواودة لعبوا دورا كبيرا لأن بطون رياح تابعون لهم مرة ، ومنقسمون و ملتمسون ما في أيديهم مرات ، وأشد هذه البطون جمعا وقوة هي سعيد ومسلم و الأخضر ابن عامر ، واختصوا بإبعاد رحلاتهم نحو القفار والرمال و تسخير الذواودة في صراعهم مع بعضهم[2].

ولعل أهمها " **عامر بن رياح** " الذين من ضمنهم الخضر أو بنو الأخضر ، فهم أولاد الخضر بن عامر بن رياح ، وقيل عامر بن زيد بن مرداس بن رياح وقيل غير ذلك، كانت رئاستهم في أولاد تامر بن علي بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح ، كما اختصت الدولة المرينية 668هـ / 1269م بحلف هذا القبيل[3] .

" **أولاد سعيد** " و هم أحلاف لأولاد محمد سائر أيامهم إلا قليلا ، وكانت رئاستهم لأولاد يوسف بن زيد ومنهم أولاد ميمون بن يعقوب بن يوسف ، الذي منه أولاد عيسى بن رحاب بن يوسف و منهم دعار .

و يزعمون في انتسابهم إلى بني سليم خاصة في أولاد قوس من هؤلاء ، و الأرجح و الأصح أنهم من رياح بالحلف و الموطن .

ومع أولاد يوسف لفائف من العرب ، المخادمة و الغيوث من و لد مشرف بن أثبج ، والفجور منهم من البرابر لواتة إحدى بطون زناتة ، وفيهم من نفاث إحدى بطون جذام[4].

أما " **أولاد مسلم** " ، فهم بنو مسلم بن عقيل بن مرداس بن رياح ، ينسب بعضهم إلى الزبير بن العوام ، وهناك من ينكر عليهم ذلك إنما هو الزبير بن المهاية أحد بطون عياض من عرب الأثبج .

و رئاسة هذا الفريق في أولاد جماعة أحيانا تكون في أولاد شكر ، وأحيانا أخرى في أولاد زرارة (زواوة) [5].

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 43-44. و عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 421. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 212-213. و أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 132. و عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ج3 ، ص1075.

[2]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 213.

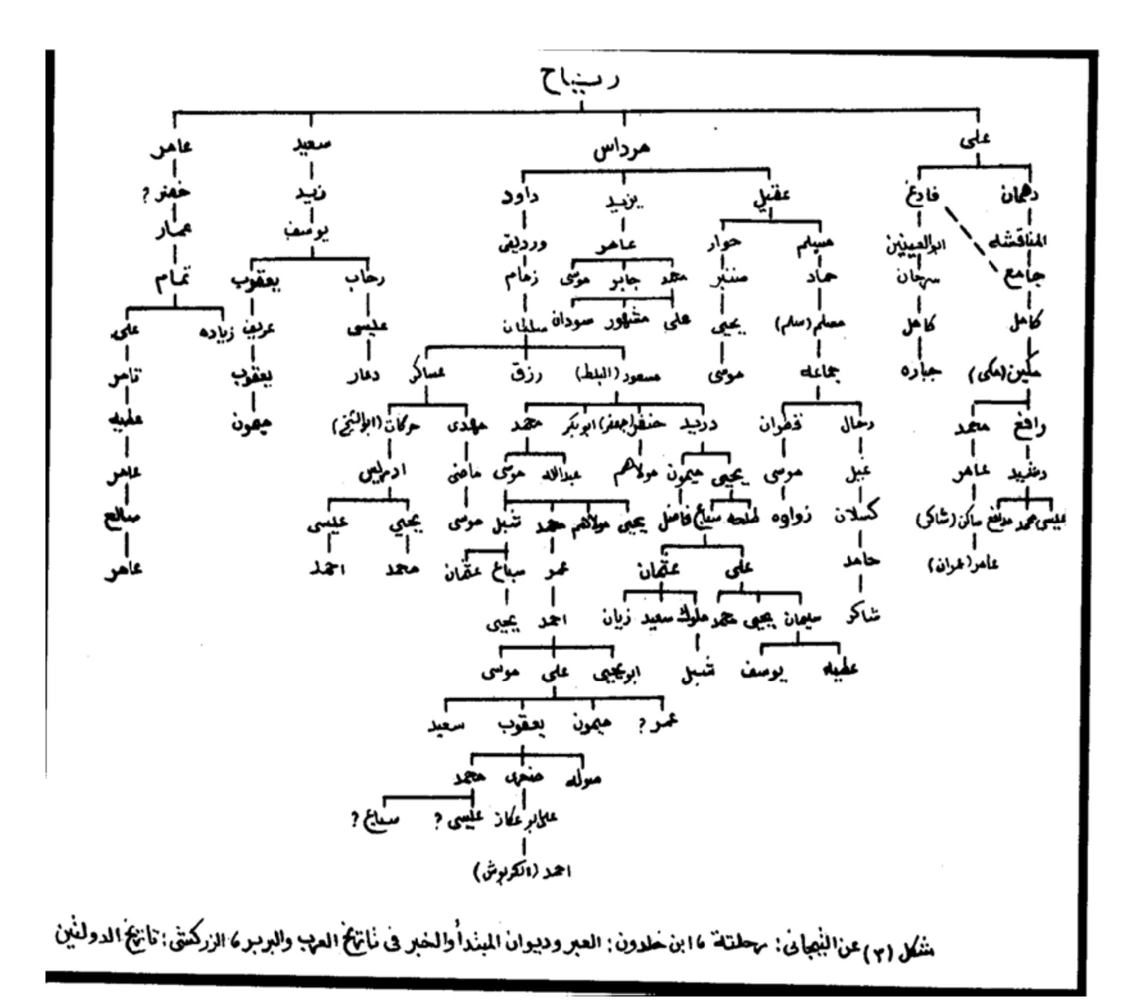
[3]-عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق . و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 214.

[4]- ابن خلدون ، المصدرالسابق ، ص 47.

[5]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص ص 421-422.

وهؤلاء هم و الأخضر بن عامر أحلاف لأولاد سباع بن ي حي من الزواودة (الذواودة)[1] وهنا يتضح الدور التاريخي الكبير للذواودة من مرداس بن رياح ، التي اختصت بحلف بطون رياح كما تمت الإشارة مسبقا.

و يضاف إلى هذه البطون " **علي بن رياح** " ، ومنهم بنو دهمان و فادغ و من بني دهمان أولاد جامع* ولاة قابس (أنظر المبحث الموالي : أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب) ، ومن فادغ أولاد جبار ولاة مدينة سوسة . رغم الاختلاف الذي ظهر بين المؤرخ ابن خلدون و الرحالة التجاني ، الذي يرجع أولاد جامع إلى فادغ بن علي[2] .



شكل (٢) عن التيجاني: رحلته ؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ؛ الزركشي: تاريخ الدولتين

3

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 214.

*– هم أولاد مكن بن كامل بن دهمان من بني علي ، من بطون رياح الهلالية . أنظر عنها : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 169–170.

[2]– التجاني ، رحلة التجاني ، ص 94.

[3]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص353 . أنظر أيضا: محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية ... ، ج1 ،ص 112.

3/- زغبة :

يعتبر هذا القبيل من الفروع الرئيسية لبني هلال ، خاصة أنها بلغت درجة كبيرة من الأهمية التاريخية ، حين اختصت دون غيرها من الفروع السابقة الذكر بضمان الاستقرار بالمغرب الأوسط ، بحكم تغير موازين القوى السياسية على مر التاريخ و ما كان لهذا التوطن من بالغ الأثر على جميع الجوانب ببلاد المغرب الإسلامي.

وتظهر الأهمية التاريخية لها جليا عند الاختلاف حتى في اسمها ، فابن غلبون يذكرها على أنها زعنا [1]، إلا أن زغبة قبيلة من هلال بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان من العدنانية ، فكانت لهم عزة وقوة عند دخولهم إفريقية (المغرب الأدنى)[2].

و هو زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ما يجعلهم إخوة لرياح [3] و الأثبج ، غير أن القلقشندي يجعلهم بطن من رياح[4] . وهذا خطأ لأنهم إخوة رياح و الأثبج.

يضاف إلى كل هذا اهتمام ابن خلدون بذكر تفاصيل أخبارها ، حتى تتأكد الأهمية التاريخية لها ، من خلال ذكر تصاريف أحوالها و أهم بطونها : يزيد ، حصين ، مالك ، عامر ، وعروة.وهذا بشكل تفصيلي و مستقل .و(يزيد وعامر) فقط مما يخصان إفريقية. [5]

و عند ذكر أحوالهم بفضل القوة التي تمتعوا بها ، امتد نفوذهم ما بين طرابلس و قابس ، حتى أنهم من القبائل الأولى التي حلت بجهات طرابلس منذ سنة 429هـ/1030م[6].

خاصة عندما تغلبت على المغراويين من زناتة ، و عند امتداد مجال الموحدين ناحية إفريقية ، كانت سندا لهم ضد ثورة ابن غانية الذين حالفتهم بعض الفرق من بني هلال ، و ظلوا حماة للمغرب الأوسط هم و بني بادين من زناتة ضد ابن غانية وبعض إخوانهم من بني هلال . فأصبح مجالهم ممتدا بالتل .[7]

---

[1]- ابن غلبون ، التذكار ، ص 25.

[2]- عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 475. أنظر : الملحق الخاص بزغبة.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 54. أنظر أيضا : النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ، ص 337.

[4]- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 272.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 55-76 . و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 225. عمر رضا كحالة ، المرجع نفسه عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 423. محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ، ص103.

[6]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 102. أنظر أيضا : محمد الشريف ، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة (المغرب و الأندلس دراسات في التاريخ و الأركيولوجية) ، ط1 ، كلية الآداب و العوم الإنسانية ، تطوان ، المغرب ، 2006 ، ص90.

[7]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 54.

و لما تملك بنو مرين فاس و بنو عبد الواد تلمسان ، و استقرت زناتة بالمدن دخلت زغبة إلى التل و تغلبت على سكانه و فرضوا الإتاوة على أكثرهم و خلت مواطنهم بالقفر والصحراء ، فعمرها عرب المعقل المجاورة لهم من الغرب و غلبوا من بقي منهم هناك وجعلوا عليهم خفارة يؤدونها من الإبل ، و تعاقدت قبائل زغبة على رد ودفع بني المعقل عن وطنهم ، فاستقروا به لما منعهم الزناتيون من وطئ التل ، فلما فشل ريح الزناتيين أمام كثرة الخوارج و دحر الثورات عادت زغبة إلى التل و غلبتهم عليها ، فأقطعهم الزناتيون أكثرها ترضية واستظهارا و اتقاء لشرهم [1].

لأنهم كانوا أشد العرب ضررا حتى صار الناس يتطيرون إذا ذكر اسمهم ، لأنه نذير شؤم ونحس وصارت كلمة " زغبي" نسبة إليهم تعادل كلمة مشؤوم ومنحوس .[2]

و كل الأحداث السابقة الذكر تنم بأن زغبة اختصت ببلاد المغرب الأوسط ، الذي سنورده بتفصيل أدق من خلال المبحث الثاني من نفس الفصل .

فحسب التصنيف الخلدوني المفصل فأهم بطونها " **يزيد بن زغبة** " نظرا لكثرتهم و شرفهم ، الذي حفظته لهم الدول و مكانتها بين باقي العرب ، بعد أن أقطعتها التل مثل الدولة الموحدية (أرض حمزة) ، فلم يسمح لهم طابع الترحال إلا أن يظعنوا إلى الريف والصحراء. و تملكوا تلك الأوطان القريبة من بجاية بعد أن عجزت أمامهم سلطة زناتة ، وبقوا على تلك الحال إلى عهد ابن خلدون .[3]

ولهم بطون كثيرة : بنو حميان (حمدان) بن عقبة بن يزيد ، جواب ، بنو كرز ، وبنو موسى و المراجعة و الخشنة و العكارمة .[4]

وكانت الرئاسة في أولاد لاحق ، ثم لأولاد معافى ، ثم صارت في بيت سعد بن مالك بن عبد القوي .... بن يزيد بن عيسى بن زغبة.

ويزعمون أن مهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 54-55.. و عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص423. و محمد حسن ، المرجع السابق ،ص ص 102-103.

[2]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع نفسه .

[3]- ابن خلدون ، المصدرالسابق ، ص 55.

[4]- المصدر نفسه . عبد الوهاب بن منصور ، المرجع نفسه .

ونسبهم آخرون إلى سلول في بني مرة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة ، وقيل من جهة أخرى : أن سلول و بني يزيد إخوة ويطلق عليهم جميعا أولاد فاطمة .[1]

و بنو سعد ثلاثة بطون : بنو ماضي بن رزق بن سعد ، بنو منصور بن سعد ، وبنو زغلي بن رزق بن سعد .[2]

و كانت الرئاسة في بني زغلي لزيان ثم لأخيه ديفل إلى أن انتقلت إلى أبي الليل بن أبي موسى بن أبي الفضل في أواخر القرن 8هـ.[3]

و بحكم جوارهم لرياح سلبتهم الدهوس أحد أوطانهم عنوة ، فاستنجدوا ببني عامر أحلافهم – الذين سيرد ذكرهم لاحقا– و ساعدوهم في استرجاعها مقابل غرارة من الزرع تسمى القرارة ، وكان هذا في عهد المستنصر الحفصي 647-675هـ/1249-1277م لكن دون جدوى.

وبعد سيطرة بني عبد الواد على المغرب الأوسط و تركهم لأوطانهم بالصحراء ، زحف إليها عرب المعقل – أيضا سيأتي ذكرهم– وكثر الفساد من قبلهم ، فاضطر يغمراسن 633-681هـ/1236-1283م مؤسس الدولة إلى نقل بني عامر من جوار بني يزيد إلى صحراء تلمسان لمواجهة المعقل ، فانتقل معهم بنو حميان و صاروا في عدادهم.[4]

ليأتي في المقام الثاني " **حصين بن زغبة** " ، حيث كان لهم ذكر في عهد الدولة الزيانية بعد تغلبهم على بربر بني توجين فاستبدوا بهم و صاروا من قبائلهم الغارمة ، و ازداد وضعهم سوءا بعد سيطرة بني مرين على المغرب الأوسط ، ولهم أخبار لا تتعلق بالفترة المدروسة .[5]

ولهم بطنان عظيمان : جندل و خراش ، فمن جندل خشعة و أولا سعد و رئاستهم في أولاد خليفة .

ومن خراش أولاد مسعود بن مظفر بن محمد الكامل بن خراش ، ورئاستهم في أولاد رحاب.

و أولاد فرج بن مظفر و رئاستهم في بني خليفة .

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 55-56 . مصطفى أبو ضيف المرجع السابق ، ص 225.

[2]– المصدر نفسه ، ص 56.

[3]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 225-226.

[4]– المرجع نفسه ، ص 226. مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 199-200. محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 103.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص58.

و أولاد طريف بن معبد بن خراش ، ويعرفون بالمعابدة (المعايدة) و رئاستهم في أولاد عريف ، وربما انتسب أولاد مظفر بن محمد الكامل إلى بني سليم.[1]

يضاف إلى البطنين السابقين من زغبة " **مالك ابن زغبة** " ، ويحوي هذا القبيل ثلاثة بطون وهي : بخيس ابن عامر ، سويد ، والحرث ، وكل بطن يحوي عدة فروع (أفخاذ).[2]

فمن سويد : شبابة و فليتة و جوثة و مجاهر و أولاد ميمون ، ومن شبابة الحساسنة (بني حسان) ، ومن جوثة بنو مريح ، ومن مجاهر غفير وشافع و مالف وكلهم بنو سليمة وبورحمة و بوكامل و حمدان و هبرة .

و حمدان كانت رئاستهم في أولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان ، خاصة بداية الدولة الزيانية و قبلها فكانوا أحلافهم.[3]

و هبرة تزعم أنها من قوم المقداد بن الأسود الصحابي البدري فهم من قضاعة ، وقد ينسب بعضهم إلى تجيب من بطون كندة .[4]

و من بطون مالك ناجعة يعرفون بصبيح من علاج بن مالك لهم عدة وقوة ، يظعنون مع سويد و يقيمون معهم [5]. و ذكرها الميلي على أنها إحدى بطون سويد.

ومن الحرث : غريب و العطاف و الديالم (بني ديلم) [6]، غير أن ابن خلدون و كذا مصطفى أبو ضيف الذي ينهج نهج ابن خلدون أن الحارث بن مالك من أشهر بطونه العطاف و الديالم ، أما غريب مجاورون لهم بالتل وكانت تأخذ منهم الدولة المغارم ، وقد تستخدمهم كجنود لقواتها[7]، و كأنها غير مهمة وهذا أيضا ما يجعلها قبيلة غارمة.

و تأتي من غريب فصيلة منيع ، ومن هذا الأخير بنو مزروع و أولاد يوسف ولهم الرئاسة.

و من العطاف أولاد يعقوب الرئاسة كانت لهم ثم آلت إلى علي بن أحمد .

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 59. أنظر أيضا : مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 226–227. و مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 200. و عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 423.

[2]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع نفسه .

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 61. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 227.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص229.

[6]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع نفسه .

[7]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 65. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 229 .

ومن الديالم : العكارمة أبناء عكرمة بن مزروع بن صالح بن ديلم ، و أولاد إبراهيم بن رزق بن رعاية بن مزروع و اختصوا برئاسة الديالم . ومع الديالم إخوانهم بنو زياد من إبراهيم ، وأولاد هلال بن حسن ، وبنو نوال ، والدهاقنة أولاد دهقان بن حسن .

والملاحظ أن الحرث أقل عددا من سويد ، حتى أنها كانت ذات رئاسة على العطاف والديالم ، و يضاف إلى كل هذا أنها كانت ذات منزلة عالية في الدولتين الزيانية وكذا المرينية .

و تعتبر هذه البطون أبعد بطون مالك ارتحالا بالقفر .[1]

و " **عامر بن زغبة** "[2] ، تعرف ببطونها الثلاثة الشهيرة : أولاد يعقوب ، وبنو شافع ، وبنو حميد .ومن شافع فخذا : بني مطرف و الشقارة .

و لحميد أفخاذ وفصائل منها : بنو عبيد بن حميد ، منهم المحارزة بنو محرز بن حمزة ابن عبيد ، و العقلة بنو عقيل ابن عبيد ، و الحجز بنو حجاز بن عبيد.

و من الحجز حجوش و حجيش (هجيش) ، ومن حجوش حامد و رباب و محمد ، ومن محمد الولالدة بنو ولاد بن محمد .[3]

ومن حامد بنو رباب المعروفون في القرن الثامن هجري (8هـ) ، الذين خلفوا علاق من المحارزة في رياسة بني حميد بن عامر ، ومن رباب بنو علي .

وتولى رئاسة عامر بن زغبة أولاد يعقوب ، خاصة أول الدولة الزيانية بزعامة داود بن هلال بن عطاف بن رداد بن ركيش (كريش) ، الذي نافس معرف بن سعيد بن رباب بن حامد بن هجوش (حجوش) بن حجاز بن عبيد بن حميد. و ظهر الصراع و بلغت الفتنة ذروتها بين الحيين ، مما أدى إلى انقسام بني عامر على أنفسهم ، فبنو يعقوب بقيادة نفر معين و بنو حميد كذلك ، إلى أن تمكن بنو حميد من طرد بني يعقوب إلى المغرب الذين اختصوا بمحالفة بني مرين .

وكانت عامر كما مر بنا تتحالف مع بني يزيد ،خاصة في حادثة ألف غرارة بمساعدتها ضد رياح لاسترجاع وطنها ،وكل هذا يعطي صورة على استقرار عامر بن زغبة وأهم بطونه.[4]

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 65-66 . أنظر أيضا : مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 200-201. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 229.

[2]- عمر رضا كحالة ، معجم القبائل العربية القديمة و الحديثة ، ج2 ، ص 707.

[3]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 201.

[4]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص ص 230-231.

ليأتي في الأخير و حسب التصنيف الخلدوني " **عروة بن زغبة** " ، و حسبه فهم بطنان : النضر و خميس (حميس) .

و بطون خميس (حميس) ثلاثة : عبيد الله ، وفرغ ، ويقظان.

ومن فرغ بني نائل أولاد محيا من العمور ، وبنو جابر بن فرغ .

ومن يقظان أولاد عابد (عايد) .

وكل من يقظان وعبيد الله أحلاف لسويد يتبعونهم في الظعن والإقامة ، ورئاستهم لأولاد عابد (عايد) .

أما بطون النضر بن عروة منتبذون بالقفر يرتحلون برماله ، حتى يصلوا لأطراف التل في حماية الديالم والعطاف و حصين.

وليس لهم أقطاع بسبب العجز عن دخول التل ورفض بطون زغبة لها ، إلا جبل المستند مما يلي وطن رياح الذي يقيم به غمرة وزناتة ، فوضع عليهم النضر الإتاوة و صاروا خولا ورعية لهم ، بسبب تغلب العرب عليهم لسنين مضت ، وربما أقام منهم مع هؤلاء البربر من عجز عن الرحلة .

وهي : بنو خليفة ، والخماننة (الحماقنة) (الجماقنة) ، و شريعة (شريفة) ، السحاري (الصحاري) ، وذوي زيان ، وأولاد سليمان.

والرئاسة كانت في أولاد خليفة ، وهي في عهد ابن خلدون لمحمد بن زيان بن عسكر ابن خليفة .

والنضر كانوا أحلافا لزغبة في الحرب ، وبحكم مجاورة حصين لهم ، أو حلفهم مع بني عامر في صراعهم مع سويد ، وربما العكس إلا في الحالات النادرة .

وربما ناصروا رياحا بحكم مجاورتهم لبطني سعيد ومسلم منهم – أي رياح– ، وقد تقع بينهم الحروب في الصحاري والقفر تصيب دم الفريقين.[1]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 75–76. أنظر أيضا : مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 231. و مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 201–202. و عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 423.

و نلاحظ اختلاف أسماء البطون والأفخاذ خاصة في النضر ، بسبب ورودها في النسخة التونسية هكذا والاختلاف بين أصحاب المراجع التالية الذكر مما يلي مصدر ابن خلدون.

4/– جشم[*][1]:

رغم تصنيف ابن خلدون و أبو ضيف و ابن منصور فإننا نأخذ بمنهج تاريخي لتتبع الأحداث و إعطائها صبغة تاريخية ، فالفروع الرئيسية مرت معنا.

ولأنه كما تمت الإشارة فالعرب الداخلون هم بنو هلال و بنو سليم و أحلافهم من جشم وغيرهم (التي ألحقت بها) . وجشم هو ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن سعد بن منصور ، وكل هذه القبائل تلتقي في منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر إلا المعقل.[2] من باب إطلاق العام على الخاص – الهجرة الهلالية الكبرى –

فهذا ابن حزم يقول : هؤلاء بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وحين تحليل كلامه عند ذكر أهم الشخصيات التاريخية المرتبطة بجشم فإن له من الولد ثلاثة : غزية وعدي و عصيمة[3] .

ويؤكد القلقشندي على أنها بطن من بكر بن هوازن من العدنانية ، ويذكر نفس الأولاد من جشم و مساكنهم الأولى ، وعلى أن معظمهم انتقل إلى المغرب.[4]

والنويري له رأي آخر فيرى أن جشم بطن يعرف بأبي جشم من نهيك من هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية[5] . غير أن جل الكتب التاريخية و حتى المهتمة بعلم النسب ، تثبت أنه من بكر بن هوازن وليس أخ الأثبج ورياح وزغبة ، كما ذهب إليه النويري . و خير دليل على ذلك صاحب أشهر كتاب في النسب ابن كلبي ، الذي يؤكد كل هذا فولد جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن غزية و عديا و عيصمة و أهم بطونها [6].

ما يعطي صورة واضحة على أن جشم ألحقت بقبيلة بني هلال فيما يسمى (الهجرة الهلالية الكبرى) ، وليست من الفروع الرئيسية ، غير أن ما جعلها هكذا ربما عندما ألحقت بها بعض بطون بني هلال و هذا ما سنتطرق إليه.

---

[*]– بضم الجيم و فتح الشين .

[2]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 178.

[3]– ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ،ص 270

[4]– القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 214. القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، ص 115.

[5]– النويري ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ج2 ، ص 337.

[6]– ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، تحقيق و تصحيح محمود فردوس العظم و محمود فاخوري ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، د.ت ، ج2 ، ص67.

وأب هذا الشعب جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن[1] ، ومن أولاده السابقون دون أي شك جاء منهم بنو جشم الذين انتقلوا إلى إفريقية ، ولكن دورهم التاريخي يتضح جليا خلال عصر الدولة الموحدية خاصة بعد نقلهم إلى الغرب من طرفهم ، حين ظهروا كمؤيدين لبني غانية[2]. والملاحظ أن هذا القبيل اختص ببلاد المغرب الأقصى – ما سيتم التفصيل فيه لاحقا– ، واندرجت ضمنهم بطون عديدة كقرة و العاصم و مقدم وحتى الخلط ، الذين غلب عليهم اسم جشم حتى عرفوا به خاصة بعد تغلبهم على إفريقية فأذعنت لهم تلك القبائل العربية طوعا وكرها .[3] وهذا أيضا من باب إطلاق العام على الخاص.

وحسبما يظهر فإن أشهر بطونهم : سفيان و بنو جابر إضافة إلى الخلط و العاصم ومقدم من الأثبج ، وكانت الرئاسة في سفيان لأولاد جرمون طيلة عهد الموحدين ، بل وتعد عاملا من عوامل سقوطها بسبب سياسة الملوك الضعفاء و اعتمادهم على جشم الذين استبدوا بأمر الدولة .

و ظلت على نفس الحال و حتى بعد تغلب بني مرين على الموحدين ، والاستحواذ على فاس ، فكانت جشم بمثابة الحامية و مقاومتهم لهم عنيفة وشديدة بالاشتراك مع رياح ، إلى درجة أرغمت المرينيين على مصاهرة الخلط لاستئلافهم (بمثابة الزواج السياسي) ، وهكذا حدث أن انتقلت الرئاسة في جشم من سفيان إلى الخلط في بيت مهلهل طيلة عهد الدولة المرينية .[4]

وبالنسبة لفرقهم و أحيائهم فيشك ابن خلدون حين يتساءل في انتمائهم إلى جشم ، ممتدا ذلك السؤال إلى جشم نفسه ، وهل كان جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن المعهود أو غيره.[5]

ويظهر أن أهم بطونها سفيان وبنو جابر إضافة الخلط (التي ألحقت بها و عدت منها كما سيأتي معنا) . أما مقدم والعاصم ورد ذكرها في بطون الأثبج حتى و إن غلب عليها اسم جشم ، فما يهم هو البطون الثلاثة الأولى :

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1 ، ص 420.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 37.

[3]– ابن خلدون ، المصدر نفسه.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه . أنظر أيضا : مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص ص 240–241.

" **سفيان**" و كان من أشهر بطونها ، أولاد جرمون و أولاد مطاع [1] (مطاوع) وكانت الرئاسة فيهم لبني جرمون ، والتي منها الحرث (الحارث) و الكلابة (الكلابية) .
و أولاد مطاوع من الحرث اشتهروا بالرماية و لذلك تعتمد عليهم الدولة ، حتى أن السلطان يستقدمهم لإقامة العروض في المناسبات والحفلات.[2]

" **بنو جابر** " من أشهر بطون جشم ، يقال : أنهم من البربر من سدراتة أو لواتة إحدى فرق زناتة بحكم مجاورتهم لهم [3]. وكانت الرئاسة لهم في العصر الموحدي لأولاد عمار وأولاد يعقوب بن محمد بن قيطون ، واختصوا بمجاورة بربر صناكة ومحالفتهم لهم.
وفي العصر المريني كانت رئاستهم في ورديقة[*] من بطونهم لأولاد عنان حسين بن علي الورديقي[4] ، ويزعم كثير من الناس أن ورديقة ليسوا من جشم و أنهم من بطون سدراتة إحدى شعوب لواتة من البربر ، مستدلين بموطنهم المجاور لهم.[5]

"**الخلط**" [*]، الخلة [6]، وهم في عداد جشم و المعروف أن هؤلاء بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب ، وكانوا شيعة للقرامطة ، إلى أن استولى بنو سليم غلى البحرين بعد ضعف القرامطة ، إلى أن تغلب عليهم بنو تغلب بأمر الدولة العباسية ، فانتقل بنو سليم وبنو المنتفق (بنو عوف ومعاوية) المسمون بالخلط إلى إفريقية ، واشتهروا في عهد المنصور الذي أقطعهم المغرب و كان لهم عدد وقوة.[7]
وكانت رئاستهم طوال العصر الموحدي في بيت أولاد حميدان ثم أولاد علي بن أبي علي في آخر أيامها. إلى أن انتقلت إلى أولاد مهلهل بن يحي بن مقدم في عهد الدولة المرينية.[8]

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ،ص 420.

[2]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 241. كما يلاحظ أيضا اختلاف أسماء البطون وذلك تبعا لاختلاف النسخ في كتاب العبر لابن خلدون. أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص ص 37–39.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق، ص42.

[*]– في النسخة التونسية " ورديغة " . أنظر : عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 420.

[4]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 242.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 42–43.

[*]– بفتح الخاء و سكون اللام ، بطن من المنتفق بن عامر بن صعصعة من العدنانية ، والخلط حسب عبد العزيز الجرجاني النسابة : بنو عوف ومعاوية ابني المنتفق. أنظر : القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ص 131–132.

[6]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 241.

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 40.

[8]– المصدر نفسه ، ص 41.

5/- المعقل* :

يندرج هذا القبيل في جملة الفروع التي اندرجت ضمن الهجرة الهلالية الكبرى ، فهم دخلوا معهم في عدد قليل لم يتجاوز المائتين ، إلا أنهم كانوا من أوفر قبائل العرب عددا على عهد ابن خلدون [1]، و اختصت بطونهم بالمغربين الأوسط و الأقصى** وبعد هذا الانتقال لم يبق منهم إلا عدد قليل بالمغرب الأدنى (إفريقية) ، فاندرجوا في بني كعب بن سليم و صاروا وزراء ومعاونين لهم في السلطان.[2]

ووقع اختلاف في إيراد نسبهم لأنه ظل مخفيا و مجهولا ، فبني هلال أنفسهم يجعلونهم من بطونهم ، ويزعمون أن نسبهم في أهل البيت الذي يرجع لجعفر بن أبي طالب ، و هذا ليس بصحيح ، لأن ما ميز الطالبيين و الهاشميين أنهم لم يكونوا أهل بادية و نجعة من جهة .[3]

والراجح وحسب ابن خلدون أنهم يرجعون إلى عرب اليمن ، لاحتوائهما على بطنين يسمى كل منها المعقل ، فأحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير ، والثاني من بني الحرث بن كعب ابن عمرو ... من مذحج و اسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث ، وهم يرجعون إلى هذا الأخير الذي اسمه ربيعة ، فاعتبره الإخباريون ضمن بطون بني هلال الداخلين إلى إفريقية (المغرب الأدنى) ، فمواطنهم بالجزيرة العربية كانت قريبة منهم ، حتى أن ابن سعيد لما ذكر مذحج أشار إلى أنهم بجهات الجبال من اليمن ، وقال : أن بإفريقية منهم فرقة ترتحل وتنزل ، والراجح أن الذين ذكرهم المعقل الذين هم بإفريقية ، وهم فرقة ضمنت تواجدها بالمغرب الأقصى .[4] و هنا يزول ذلك الشك ليتم التأكد على أنهم من مذحج اليمنيين. و يصنفهم ابن خلدون كأعداء لبني هلال.[5]

---

*- بفتح الميم و سكون العين المهملة و كسر القاف ، بطن من بني الحارث بن كعب (إلا أنه وقع اختلاف في نسبهم -كما سيأتي-) . القلقشندي ، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، ص 74. أنظر : الملحق الخاص بالمعقل .

[1]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص 77.

**- بطن الثعالبة و ذوي عبد الله (المغرب الأوسط) ، ذوي منصور و ذوي حسان (المغرب الأقصى).

[2]- ابن خلدون ، المصدر نفسه.

[3]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص78. وعبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1 ،ص 424. و مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ،ص ص 235-236.

[4]- المصدر نفسه ، ص 79. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 236.

[5]- المصدر نفسه ، ص 30.

واعتمادا على النسابة لديهم فالمعقل جدهم لديه من الأولاد : سحير و محمد ، فمن سحير عبيد الله (ذوي عبيد الله) البطن الكبير منهم ، و ثعلب الذي منه الثعالبة.

ومن محمد : مختار و منصور و جلال وسالم وعثمان ، فمن مختار بن محمد : حسان و شبانة (ذوي حسان – وهو بطن كبير – ، الشبانات) . ومنهم بطنان : بنو ثابت و آل علي .

و من جلال و سالم وعثمان يوجد الرقيطات الذين ينتجعون مع ذوي حسان في مواطنهم.

ومن منصور مجموعة من الأولاد يطلق عليهم جميعا " ذوي منصور" ، و هو أحد أهم البطون الثلاثة المذكورة[1].

إضافة إلى هذه البطون ألحقت بالمعقل جملة من البطون : بنو مسلم و سعيد من رياح ، العمور و شظة من كرفة و المهايا من عياض وكلهم من الأثبج ، الشعراء من حصين ، والصباح من الأخضر و هؤلاء كما مر بنا من زغبة ، ومن بني أشجع بن وريث بن غطفان وبنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن وريث بن غطفان ، فبعد نزولهم ما بين برقة و طرابلس انتقلت منهم أحياء إلى المغرب الأقصى و اختلطت مع المعقل[2] .

وهنا نقطة مهمة وحساسة ينبغي التلميح إليها و هو اختلاط النسب و اندراج جملة من القبائل و البطون مع بعضها البعض ، بداية من بني هلال أنفسهم وصولا إلى المعقل الذين طغى اسم بنو هلال عليهم ، ومن جانب آخر دخول جملة من البطون تحت اسمهم .

و هذا ما يتضح من خلال كلام ابن خلدون أن بطونها الثلاثة الكبرى هي : ذوي منصور ، وذوي حسان ، وذوي عبيد الله[3] . فالثعالبة و حسب الميلي فنسبهم في جعفر بن أبي طالب صحيح ، هو جعفر أخو عبد الله الكامل الذي تملك أبناؤه متيجة في القرن الثالث ، وبقوا ملكهم هنالك إلى أن تغلب عليهم الثعالبة.[4]

و بالأخذ بالتصنيف الخلدوني يظهر أن أشهر بطونها " **ذوي عبيد الله** " ، اعتمادا على الانتشار الجغرافي ببلاد المغرب الإسلامي – المغرب الأوسط –

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص79.

[2]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص ص 237–238.

[3]– السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص 159. ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 79.

[4]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص 194.

وينقسم هؤلاء إلى بطنين كبيرين : الهراج (الهداج) و الخراج ، وهذا الأخير من ولد خراج بن مطرف بن عبيد الله ، و رئاستهم في أولاد عبد الملك[1].

وهي منقسمة في أواخر القرن الثامن هجري (8هـ) بين رحو بن منصور ابن يعقوب بن عبد الملك و بين طلحة بن يعقوب بن يغمور [2].

و يظهر أن لهم بطون كثيرة ، الجعاونة (جعوان بن خراج) ، و المطارفة (مطرف بن خراج) ، و العثامنة (بنو عثمان) ، والغسل (غاسل بن خراج)[3] وهم معروفون إلى اليوم بهذا الاسم[4].

ومعهم ناجعة يعرفون بالمهايا ينسبون تارة إلى المهايا بن عياض (من الأثبج) ، وتارة إلى مهايا بن مطرف ما يجعلهم إخوة المطارفة .

و الهراج من الهراج بن مهدي بن محمد ابن عبيد الله ، ورئاستهم في ولد يعقوب بن هبا بن هراج ، ومن أشهر بطونهم : أولاد مرين ، وأولاد مناد ، وأولاد فكرون[5].

و حسب التوزيع الجغرافي فذوو عبيد الله انتشروا بالمغرب الأوسط ، ومعهم " **الثعالبة** " الذين كانت رئاستهم في أولاد سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن سجير أيام الدولة الموحدية الذي ارتفعت وعلت مكانته ، ثم انتقلت إلى أولاد يعقوب بن سباع إلى أن آلت في حنيش بن حميد بن ثابت بن محمد بن سباع ، وهم على هذا الحال حتى عهد بني مرين فتم نقلهم إلى المغرب ، وتتبعهم بنو عبد الواد بالقتل و السبي والنهب إلى أن اندثروا[6].

و لعل أبرزها على الإطلاق وكما يشير ابن خلدون " **ذوي منصور**" ، وهم أشهر قبائل المعقل (أولاد منصور بن محمد) وما جعلهم هكذا كثرة عددهم . كما أنها تحوي أربعة بطون : أولاد حسين ، وأولاد أبي الحسين ، وهما أخوين ، والعمارنة (أولاد عمران) ، والمنبات (أولاد منبا) ، وهما أيضا أخوين ويقال لهما مجتمعين " الأحلاف" [7].

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 81.

[2]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 233.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 81 .

[4]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 427.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 81–82.

[6]- المصدر نفسه ، ص ص 84-85 . و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 234. و عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص424.

[7]– المصدر نفسه ، ص 85.

فأما أولاد أبي الحسين ، كانت مواطنهم بالصحراء لعجزهم عن الظعن والتنقل .
بينما أولاد حسين و كما عرفنا إخوتهم ، فكانت لهم العزة والكثرة في جمهور منصور ، ورئاستهم أيام الدولة المرينية في أولاد خالد بن جرمون بن جرار بن عرفة بن فارس بن علي بن حسين بن منصور ، وانتقلت بين مجموعة منهم إلى أن أصبحت ليوسف بن علي بن غانم لعهد ابن خلدون.
ولهم عدة وقائع تاريخية ذكرها نفس المصدر بشكل مفصل في علاقتها مع أهم دول المغرب الإسلامي .[1]

و أما العمارنة والمنبات المسمون بالأحلاف ، فقد كانت بينهم وبين أولاد حسين فتنة ووقائع كثيرة .
وكانت رئاسة العمارنة في أولاد مظفر بن ثابت بن مخلف بن عمران ، وتداولها الكثير من بعده ، و يرادفهم فيها أولاد عمارة.
أما المنبات فكانت رئاستهم على العهد الخلدوني لمحمد بن عبد بن حسين بن يوسف بن فرج بن منبا ، وكان لهم جمع كبير أوائل بني مرين (الدولة المرينية)[2]. كما يطلقون على أنفسهم اسم المنابهة .
وفي جملتهم كما تمت الإشارة العمارنة و المنبات يطلق عليهم " الأحلاف" ، و هو اسم تعرف به قبيلة بإقليم وجدة.[3]

و يضاف إلى هؤلاء أبناء مختار بن محمد : ذوي حسان و الشبانات و الرقيطات ، الذين منهم أيضا الجياهنة و أولاد أبورية (رية)[4].

و لعل أهمها " **ذوي حسان** " ، الذين كانت رئاستهم في أولاد خليل بن عمر بن عفير بن حسن بن موسى ابن حام بن سعيد بن حسان بن مختار.[5]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص ص 87–89.
[2]– المصدر نفسه ، ص 89.
[3]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص ص 425–426.
[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 91.
[5]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 240.

ويشير ابن منصور إلى أنهم أربعة أقسام : أولاد أحي ، أولاد وعيش ، و الترارزة ، و أولاد عبد الله أو البراكنة.[1]

و الشبانات ، أولاد شبانة بن مختار بن محمد بن معقل ، ينقسمون إلى بطنين كبيرين : بني ثابت و أولاد علي ، ولا يزالون معروفين بالاسم الأصلي ، في شعب يسمى الشراردة ، ولهم بقية بطون مندرجة في قبيلة تسمى الودايا[2].

6/- عدي و ربيعة :

هي من الفروع و البطون التي ذكرها ابن خلدون وسكت عنها ، فكانت أحياء هلال هؤلاء من جشم و الأثبج و زغبة و رياح و ربيعة وعدي في الصعيد.[3]

و يضيف نفس المصدر أن تلك الشعوب هي الداخلة إلى إفريقية مضيفا إليهم قرة ، وكلهم من هلال بن عامر . و ربما ذكر فيهم بنو عدي ، ولم نقف على أخبارهم و ليس لهم لهذا العهد (ق8هـ/14م) حي معروف.فلعلهم اندثروا و تلاشوا و افترقوا داخل القبائل وصاروا ضمنها. و كذلك ذكر فيهم ربيعة ، ولم يعرفوا أيضا لذلك العهد غير أنهم ربما يكونوا المعقل كما ورد في نسبهم[4]، لأن اسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث.[5]

والنويري يرى أن ربيعة بن هلال بطن من عامر بن صعصعة ، من هوازن من قيس عيلان من العدنانية[6] ، وبالتالي تبقى أخبارهم مجهولة عند الأخذ بهذا الطرح. و يذكر أحمد توفيق المدني عدي رفقة المعقل ، لكن دون الإشارة إلى بطونها لأنها جهلت أخبارها واندرجت ضمن القبائل و طغى اسمها عليهم ، وغالبا ما تذكر في التاريخ المحلي لسكان المسيلة. كما أن هناك إشارة إلى أنه تم هزيمة قبيلة عدي سنة 499هـ من طرف رياح التي انفردت برئاسة الهلاليين.[7]

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص ص 424-425.

[2]– المرجع نفسه ، ص 427.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 19.

[4]– المصدر نفسه ، ص 23.

[5]– المصدر نفسه ،ص 79.

[6]– النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ، ص 337. أيضا : عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج2 ، ص425.

[7]– محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ،ص 105.

ثانيا : التوزيع الجغرافي للقبائل الهلالية ومواطن الاستقرار :

أ/– بالمغرب الأدنى (إفريقية) :

إفريقية و هو أول أقاليم المغرب الحقيقي ، و أخذا العرب الاسم عن الرومان كما تعرف باسم أنطابلس أو طرابلس ، وأطلقوه على ما يلي طرابلس غربا حتى ساحل المحيط الأطلسي ، ثم أخذ لفظ إفريقية يضيق حتى اقتصرت حدودها على ما يلي مصر غربا حتى بجاية.[1]

ولعل أهم الفروع التي ضمنت استقرارها بالمنطقة هي **الأثبج** و **رياح** و بعض بطون **زغبة**[2] ، وحتى تتضح الصورة بشكل أدق فإن كل الفروع والبطون السابقة الذكر مرت بالمنطقة بحكم أنها اجتازت مصر وصولا إلى المغرب الأدنى (إفريقية) كمحطة أولى نظرا للقرب الجغرافي وليس من سبيل إلا العبور بالمنطقة.

و بقراءة المصادر والمراجع التاريخية التي اهتمت بدراسة التوزيع الجغرافي للقبائل الهلالية ، فإنها اكتفت بسرد نصوص ابن خلدون دون أدنى تعريف أو تلميح إلى مناطق قد تكون مجهولة.

و بداية بالأثبج فإنها استقرت بالمنطقة ما عدا العاصم و مقدم من بطونها التي ضمنت تواجدها بالمغرب الأقصى ، ومنه فكل من كرفة ودريد و عياض و الضحاك و لطيف كلها ضمنت تواجدها بالمغرب الأدنى.

ومواطن استقرار هؤلاء بعد تمكنهم من إخضاع صنهاجة ، كانت بجبال الأوراس الشرقية ، خاصة أثناء تغلب حسن بن سرحان من دريد على كرفة . إضافة إلى أنه تم نقل بطني العاصم ومقدم منهم ناحية المغرب الأقصى من طرف الموحدين ، ومنه تقوت شوكة رياح وسيطروا على قسنطينة مما جعل بقايا الأثبج تترك الظعن و تستقر بقرى الزاب.[3]
و هكذا يتحدد بأنها نزلت بالمثلث ، قسنطينة – الزاب – الحضنة[4].

---

[1]– أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص ص 21–22. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 28. رغم صعوبة التحديد الجغرافي فالمنطقة لم تبقى على حدود معلومة خاصة ما ارتبط منها بالمدة البحثية..

[2]– لأن معظم بطونها اختصت بالمغرب الأوسط .

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص 31.

[4]– محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ، ص 98. (يظهر هذا خلال العهد الحفصي أي القرن 7ه) .

و بذكر حسن بن سرحان فإن دريد قد ضمنوا استقرارهم بالمنطقة الممتدة في مجال خصب بين عنابة وقسنطينة إلى طارف مصقلة و ما يجاورها من القفر و الصحاري[1].

ولو أخذنا بدريد و بطنها أولاد سرور، وحسب التاريخ المحلي بمنطقتنا فهم مستقرون بالمغرب الأوسط ، غير أنهم استقروا بالمغرب الأدنى فهناك قبيلة قوية بتونس معروفة اليوم بالاسم الأصلي[2]. و أولاد عطية كانت لهم تلة ابن حلوف من أرض قسنطينة.[3]

و كرفة تم اعتمادها كحصن منيع من الجهة الغربية لمواجهة قبائل رياح ، خاصة على عهد الحفصيين ، فكان نصيبها الجانب الشرقي من جبل الأوراس و كثيرا من بلاد الزاب الشرقية ، ومع ضعف الدولة الحفصية نهاية القرن 7هـ/13م ، تغلبت عليها رياح و دحرت نفوذها نحو جبل الأوراس ، فاختصت السرحانية بالجزء الجنوبي الغربي منه " تهودا" ، وأولاد نابت الجزء الشرقي منه و بلاد الزاب الشرقية ، أما المراونة (بنو محمد و بنو مروان) ظلوا على الضعانة يكتالون من أهل الجبل[4]. ومواطن الحدلجات بجبل الأوراس مما يلي زاب تهودا[5].

و بعد أن تمكن يعقوب المنصور الموحدي من نقل بطنين من مشرف بن الأثبج ، وهما العاصم ومقدم إلى المغرب الأقصى ، ظلت منها ثلاثة بطون بإفريقية عياض و الضحاك ولطيف .

فعياض كانت إقامتهم ببادية المغرب الأدنى ، ثم غربوا و أنزلوا الجبل قرب قلعة بني حماد و تمكنوا من بسط نفوذهم على القبائل خاصة البربرية ، في خط أفقي من الشرق إلى الغرب بين ثنية غنية و القصاب إلى وطن يزيد بن زغبة[6]. وأولاد رحمة منهم هم من مثل آخر وطن الأثابج من الهلاليين حين جاوروا هؤلاء[7].

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1 ، ص 418.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 32–33.

[4]– محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 99.

[5]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص208.

[6]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ،ص 419.

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 33.

و الضحاك بن مشرف بن أثبج لما تغلب أحد بطونها كلب بن منيع على أبي عطية ، ارتحل إلى المغرب و استقر بصخر سجلماسة. وبصفة عامة كان تجمعهم ببلاد الزاب خاصة بعد تغلب الزواودة عليهم فعجزوا عن الظعن وصاروا في جملتهم ، و اتخذوا بالمنطقة المدن[1].

و أما لطيف الذين تنسب إليهم إمارة بني مزني ، فقد عجزوا عن الظعن و تغلب عليهم أيضا الزواودة حين قل جمعهم و افترق ملكهم ، نزلوا بلاد الزاب التي اتخذوا بها المدن : الدوسن و غريبوا و تهودة و بادس و تنومة ، و صاروا في خدمة أمير بسكرة[2]. وحتى أولاد جلال من اليتامى من لطيف من الأثبج[3].

و العمور القبيلة الملحقة بالأثبج ، نظرا لقلة عددهم و فقدانهم الرئاسة ، تخلوا عن الظعن و استقروا بالضواحي والجبال بين جبل الأوراس و جبل بني راشد من جهة و الحضنة والصحراء من جهة أخرى ، وبالتالي فهو إقليم ومجال أقرب إلى موطن القفر والجدب ، بعيد عن التل الذي احتكرته الدولة ، و يتحاشون هذه التلول خوفا من سطوتهم[4].

وبنو قرة أيضا و أهم بطونها أولاد فارس و أولاد عزيز و أولاد ماضي ، فكان موطنهم بسفح جبل الأوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب ، متصلين غربا إلى مواطن غمرة ، فكانوا في جوار ياح و خاضعين لسطلتهم خاصة الزواودة المختصة بهذا الإقليم والمجال. وخاضعين لسلطة إمارة بسكرة نظرا لحاجتهم إليه [5] ، فكانوا يجندون في عسكر بني مزني ويقومون بخفارة القوافل.

و بالتالي ما يقال عن الأثبج أنها فعلا كانت قوية خلال القرن5هـ/ 11م إلا أن عصبيتها ضعفت مباشرة في القرن الذي يليه ، جراء السياسة الموحدية بعملها على النقل القسري لأهم

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 33–34.

[2]– المصدر نفسه ، ص 34. أنظر أيضا : عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ،ص 418. و محمد حسن ، المرجع السابق ،ص 101.

[3]– اختصوا بمنطقة الزيبان (الزاب) بالشرق الجزائري ، وتوجد بلدة باسمهم بالوقت الحاضر جنوب غرب بسكرة. أنظر: محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية ، المجلد الأول ، ج1 ، ص1025.

[4]– محمد حسن ، المرجع السابق . أنظر أيضا : عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 419.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6 ، ص 35.

بطونها و الاعتماد على القبائل المنافسة لها كرياح للحد من تنقلاتها ، فتحولت إلى قبيلة غارمة ، وانتهى بها المطاف للنزول بالمثلث قسنطينة ، الزاب ، الحضنة[1].

وقبيلة **رياح** ضمنت استقرارها بكافة أطراف المغرب الإسلامي (الأدنى ، الأوسط ، الأقصى) ، وكانت من أكثر القبائل التي ألحقت الضرر أثناء حصار القيروان ، و في الفترات اللاحقة اختصت بالمغرب الأوسط مثل الزواودة ، إلى نقل منهم يعقوب المنصور قبائل قوية إلى المغرب الأقصى، وهذا عبر فترات مختلفة.

و ما يهم هو منطقة المغرب الأدنى (إفريقية) ، فقبيلة رياح و بطونها المتعددة كانت دائبة الحركة و التنقل بين أقاليمه من الجريد إلى القيروان إلى الزاب إلى المسيلة إلى ورقلة ، ولهم أقطاع بالحضنة و ناحية قسنطينة و بجاية[2].

و عبر فترات زمنية متباينة تتحدد مواطن استقرارها فقد استطاعت أن تسيطر على مناطق خصبة ناحية باجة سنة 443هـ/1051م ، حتى سنة 466هـ/1073م بعد أن تمكنت من هزيمة القبائل المنافسة نحو الغرب " الأثبج و زغبة " ، و " عدي " سنة 499هـ/1105م منفردة برئاسة بني هلال خلال القرن 6هـ / 12م نازلة بالسهول الخصبة[3]. وكان فيهم ملك العرب ببلاد المغرب[4].

فمرداس و أشهر بطونها كانت مواطنهم مجاورة لتوزر شط الجريد[5] ، فالزواودة من أشهرها على الإطلاق فقد كانت الرئاسة لهم في عصر الموحدين بإفريقية ، فاستقروا بضواحي قسنطينة وبجاية من التل و مجالات الزاب و ريغ و واركلي و ما وراءها من القفار ، كما استوطن أولاد مسعود و أولاد عساكر و أولاد سباع منهم بجبل أوراس و الزاب و بلاد الحضنة (نقاوس و مقرة و مسيلة) [6].

و ما أثبت أيضا تواجدها بالمغرب الأدنى أهم بطونها بنو علي التي منها بنو دهمان و فادغ فمن الأول أولاد جامع (إمارة بني جامع) بقابس ، ومن الثاني أولاد جبار ولاة مدينة سوسة

---

[1]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 102.

[2]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 212.

[3]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 105.

[4]- القلقشندي ، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، ص 267.

[5]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 421.

[6]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 212.

و هي أبرز المدن بإفريقية[1]. و كما تمت الإشارة فإن بطنين من **زغبة** اختصا ببلاد المغرب الأدنى (إفريقية) و هما يزيد و عامر.

و الأمر الملفت للانتباه أنها كانت من أول القبائل التي حلت بجهة طرابلس منذ سنة 429هـ / 1030م . و ضمنت تواجدها في الإقليم الممتد بين طرابلس و قابس إلى حدود سنة 580هـ/1184م بعد أن تغلبت على زناتة المغراويين ، وظلت من أبرز القبائل التي لم تساند حركة بني غانية أثناء ظهورها[2].فبنو يزيد نظرا لقوتهم و علو مكانتهم بين رياح أقطعهم الموحدين المناطق التلية الخصبة من أرض حمزة ناحية بجاية.

و ما يؤكد اختصاصها بإفريقية ما أورده ابن خلدون أن المراجعة (بنو جواب ، وبنو كرز ، وبنو مرجع) و هو أحد بطونها كانت خلال القرن 8هـ / 14م متواجدة بضواحي مدينة تونس[3].

وبنو عامر بن زغبة كانت مناطق استقرارهم في البداية في حدود إفريقية ، رغم أنها اختصت بالمغرب الأوسط بعد الانتقال إلى تلمسان ، إلا أنها كانت متحالفة مع بني يزيد لمحاربة رياح ، كما تم إقطاعهم و طن الكدراة من حمزة ، لأنهم كانوا يغلبون غيرهم على هذا الوطن إضافة للدهوس ، وذلك لميرة أقواتهم في الصيف[4].و استقرت بإفريقية بطون مختلفة من القبائل العربية التي جاورت رياح واندمجت فيهم ، مثل بنو رئاب بن حجير وينتسبون إلى بني ربيعة من سواءة بن عامر بن صعصعة ، بنو عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، بنو طرود بن فهم بن عمرو بن قيس ، وبنو شداد بن أشجع بن هلال بن عامر بن صعصعة المستقرون بضواحي بونة ، من بني سعد بن بكر بن هوازن استقرت بنواحي باجة و هم يعسكرون مع جند السلطان[5]

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 215.

[2]– محمد حسن ، المرجع السابق ، 102.

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص ص 57–55.

[4]– محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ص 103–105. أنظر أيضا : عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العربية ، ج2 ، ص ص 707–708.

[5]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 214–215. أنظر أيضا : القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، ص 130.

ب/- بالمغرب الأوسط :

ابتداء من القرن الخامس هجري (11م) ميز الجغرافيون العرب الأقاليم الغربية البعيدة عن المغرب الأدنى ، و أطلقوا اسم المغرب الأوسط على المنطقة الممتدة من بجاية حتى واد ملوية.[1]

إن فرع زغبة من أهم الفروع التي استوطنت المغرب الأوسط و بطونها المتعددة يزيد وحصين و مالك و عامر و عروة اقتسموا بلاد المغرب الأوسط[2].

يضاف إليهم بعض بطون رياح ، ولعل أهمها الذواودة (الزواودة) الذين اختصوا بالاستقرار بالمنطقة.

وكما تمت الإشارة فالمعقل و أهم بطونها ذوي عبيد الله و الثعالبة استقروا بالمنطقة ، وبعض بطون الأثبج و القبائل المضافة إليها العمور و بني قرة.

وبالاعتماد على الكتابات التاريخية سواء التي اعتمدت على ابن خلدون كمبارك بن محمد الميلي[3] و مصطفى أبو ضيف[4] ، والمهتمة بتاريخ المغرب الأوسط و الجزائر بوجه الخصوص ، محمد سليمان الطيب الذي يعتمد على المؤرخ يحي بوعزيز و كذلك أحمد توفيق المدني في كتابه الجزائر وحتى التاريخ المحلي بالمنطقة ، تعطي صورة على مواطن استقرار بطون بني هلال رغم أن المدة البحثية مرتبطة بالقرنين 5-7هـ/11-13م .

و **زغبة** الهلاليين عند تحالفهم مع الموحدين قاموا رفقة بنو بادين من زناتة بحماية المغرب الأوسط ، واستقروا ما بين المسيلة و قبلة تلمسان في الصحاري ، إلى أن سيطر الزيانيين على المغرب الأوسط انتقل هؤلاء إلى التل ففرضوا على أهله الضرائب و حالفهم الزناتيون (البربر)[5].

---

[1]- مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص28. رغم صعوبة التحديد الجغرافي فيما يتعلق بالمدة البحثية .

[2]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 55.

[3]- جعل كل بطون زغبة ورياح و المعقل (الثعالبة و ذوو عبيد الله) و العمور و بني قرة ، تحت عنوان " الهلاليون ومواطنهم بالجزائر" دون تمييز بين المغربين الأدنى و الأوسط. أنظر : الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص ص 192-202. (الخريطة ص 131).

[4]- يذكر زغبة و المعقل (الثعالبة و ذوي عبيد الله) ، و يستثني رياح إلا الذواودة دون ذكر العمور و بني قرة ضمن المغرب الأوسط . أنظر : مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص ص 224-234.

[5]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع نفسه ،ص 224.

و أهم بطون زغبة ، **بنو يزيد** الذين ورد ذكرهم ضمن البطون المستقرة بالمغرب الأدنى حسب محمد حسن ، إلا أنها استقرت بالمغرب الأوسط أيضا فكانت للدول عليهم عناية خاصة ومكانة مرموقة جعلتها من أول القبائل ، التي تختص بالتل و ضواحيه وذلك في عهد الموحدين و إقطاعهم أرض حمزة ناحية بجاية ، فجاوروا رياح و الأثبج من جهتهم الغربية.[1] وما إن ضعف الزيانيون حتى سيطروا على المنطقة و حصلوا على الجباية لأنفسهم.[2] و نظرا لمجاورتهم لرياح سلبتهم أرضهم من الدهوس عنوة ، مما اضطرهم للاستنجاد بأحلافهم بنو عامر لاسترجاعه لكن دون جدوى.

و بعد سيطرة بني عبد الواد على المغرب الأوسط و تركهم لوطنهم بالصحراء ، زحف إليها المعقل و أكثروا الفساد ، مما أجبر يغمراسن بن زيان إلى نقل بني عامر بن زغبة من جوار بني يزيد إلى صحراء تلمسان لمواجهة المعقل ، فارتحل رفقتهم بنو حميان بن عقبة بن يزيد[3] ، وصاروا ضمنهم فاستوطن بنو يزيد ببلاد الريف الخصبة.[4] و أشهر بطونها جواب[5] و كرز و موسى و المرابعة – المختصين بالمغرب الأدنى خلال القرن 8هـ/ 14م–
و انتقل فريق من عكرمة إلى جبل كريكرة قبلة السرسو.[6]

و **أولاد حصين بن زغبة** ، كانت مناطق استقرارهم غربي بني يزيد إلى جبل التيطري ونواحي المدية موطن الثعالبة الذين فرضوا عليهم إتاوات و صدقات.وبعد تغلب الزيانيين على بني توجين البربر أصبحوا من قبائلهم الغارمة ، وازداد حالهم سوءا بعد سيطرة بني مرين على المغرب الأوسط ، حتى حين ضعف الزيانيين ازدادت قوتهم و استولوا على التيطري (جبل أشير) و ملكوه وتحصنوا به[7]، لذلك لا يزال هذا الفريق يعرف باسمه

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 55.

[2]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 225.

[3] – وهم الشراقة و الغرابة و الشفعة وجنبة على حدود الجزائر مع المغرب و داخل منطقة وجدة بالمغرب الأقصى (منطقة الضاية و الهضاب العليا) . أنظر : محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية و تاريخية ، المجلد الأول ، ج1، ص 1030. و حسب التاريخ المحلي تتواجد بالمشرية و لاية النعامة.

[4]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 226.

[5] – توجد قرية بولاية المدية نسبة إليهم. وتتواجد هي ومربع و الخشنة حول مدينة سور الغزلان . أنظر : المدني ، كتاب الجزائر ، ص 139.

[6]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 200.

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 58–59.

الأصلي في المغربين الأقصى و الأوسط ، ففي الأخير يوجدون بحوز بجاية[1].ومن بطونهم جندل[*] وخراش الذين منهم أولاد فرج بن مظفر بن خراش[**][2] و رئاستهم في أولاد خليفة.[***]

و أما بطن **مالك بن زغبة** ، كانت مواطنهم جنوب (بالصحراء والتل) موطن بني توجين الممتد من سعيدة غربا إلى المدية شرقا. وقد استولت **سويد** من بطونها على بلاد توجين ما عدا جبل ونشريس ، و اعتبرت من أشهر البطون المتحالفة مع الدولة الزيانية بعد تملكها للمغرب الأوسط على سائر زغبة.[3] و بطون سويد : فليتة[****] وشبانة : منهم الحساسنة (بنو حسان) و أولاد ميمون[*****] وغفير و شافع و مالف ، وكلهم بنو سليمان بن مجاهر ، وبورحمة و بوكامل وحمدان بنو مقدر بن مجاهر ، الذين خلت مجالاتهم بالقفر من ظعونهم و ناجعتهم ، إلا أحياء من بطونهم قليلي العدد من جوثة و فليتة ومالف و غفير و شافع وغيرهم ، تغلب عليهم المعقل ، و أثناء محالفتهم لبني توجين ضد بني عبد الواد عجزوا عن الظعن و نزلوا بسائط البطحاء ، وسارت بطونهم السابقة الذكر نحو ضواحي وهران فوضعت عليهم الإتاوات و عدوا من الرعايا أهل الجباية.[4]

و بطن **الحارث الحرث** ، يضم ثلاثة أفخاذ غريب و العطاف و الديالم ، ومن غريب فصيلة بني منيع الذين منهم (بنو مزروع و أولاد يوسف)[******] ، و من العطاف[5] موطنهم قبلة مليانة فصيلة أولاد يعقوب ، ومن الديالم فصيلتان : العكارمة و أولاد إبراهيم بن رزق بن رعاية بن مزروع ، و إخوانهم بنو زياد بن إبراهيم.[*******][6]

---

[1]- عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1 ، ص 423.

[*]- وتواجدهم في جنوب مليانة وفي سهول الشلف . أنظر : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 139.

[**]- مستقرة في عين غراب و بوسعادة بالحضنة . أنظر : محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص 1030.

[***]- متواجدة بالشريعة قرب تبسة القريبة من حدود تونس ، وبالتالي اختصت بالمغرب الأدنى . أنظر : محمد سليمان الطيب ، المرجع نفسه ، ص 1028.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 59-61.

[****]- حاليا جنوب الأصنام . أنظر : المدني ، المرجع نفسه.

[*****]- الحساسنة : منطقة بولاية سعيدة حاليا ، نسبة إليهم . و أولاد ميمون : دائرة بتلمسان ، نسبة إليهم.

[4]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص 61.

[******]- من أشهر القبائل المتواجدة ببشار و تلمسان في المنطقة الحدودية مع المغرب الأقصى.

[5]- متواجدون في جنوب مليانة و سهول الشلف . أنظر : المدني ، المرجع نفسه.

[*******]- حسب التاريخ المحلي من أشهر القبائل المتواجدة حاليا بولاية البيض (قبلة الونشريس).

[6]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص 200.

واستقر بطن **بخيس** بضواحي وهران.[1]

وحتى يتضح موطنهم بشكل جلي ، فبداية من النصف الثاني من القرن 8هـ/14م ، ضعفت قوة زناتة بالمغرب الأوسط فازدادت قوة العرب ، فتملكت زغبة سائر البلاد بالإقطاع من الدولة طوعا وكرها ، وطردوا زناتة إلى ساحل البحر فاستولت سويد على بلاد توجين ما عدا جبل الونشريس لتوعره فتحصنت به لمة من توجين ، و سيطرت العطاف على سهول غرب مليانة ، والديالم على وزينة و قبلة الونشريس ، وبني عامر على تاسالة و ميلانة إلى صيرورة وكيدزه الجبل المطل على وهران ، واستقرت هبرة من بني مجاهر بن سويد بنواحي البطحاء بالضفة اليمنى من نهر مينة.[2]

ومع بطون مالك ناجعة يعرفون بصبيح ، نسبة إلى صبيح بن علاج بن مالك ، ولهم عدد وقوة جعلتهم يظعنون مع سويد و يقيمون معهم.

و الحرث بن مالك وبطنيه العطاف والديالم ، فموطن العطاف قبلة مليانة ، وكلهم حال بينهم وبين بطن سويد جبل ونشريس ، ولهم بلاد وزينة قبلة الجبل.

وهؤلاء العطاف و الديالم أقل عددا من سويد ، وكانت عليهم رئاسة من طرفهم و اعتزاز بالكثرة ، والملاحظ أن الديالم من أبعد البطون استقرار بالقفر ، ويحاذيهم في مواطنهم من جانب التل بطن غريب بن الحرث الذين منهم بني منيع (ذوي منيع).[3]

ولا غرابة في أن نجد منهم من ارتحل أو استقر بالمغرب الأقصى ، لأنهم يعرفون باسمهم الأصلي في المغرب الأقصى[4].

و بطن **عامر بن زغبة** ، مواطنهم الكبرى حول مدينة وهران (ضواحي وهران)[5]، فلما أراد يغمراسن مجابهة فساد المعقل "أعداء بني هلال"[6]، نقلهم بجوار بني يزيد ليتولوا ذلك واستقروا هناك يرحلون إلى صحرائها في الشتاء و يعودون إلى التل في الربيع والصيف. و بطونهم

---

[1]-- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 228.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 64.

[3]- المصدر نفسه ، ص ص 65-66.

[4]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص423.

[5]- المرجع نفسه . أنظر أيضا : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ،ص 139 والذي حدد موطنهم بين وهران وتلمسان. أحمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ،ص 1027.

[6]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 30.

كثيرة أولاد يعقوب و بنو شافع وبنو حميد ، فمن شافع(مطرف و الشقارة) ، ومن حميد (بنو عبيد و المحارزة) و غيرهم.[1]

و بحلفهم لبني يزيد كانوا كما ذكر من قبل في عهد الزيانيين قبلة تلمسان ، ولهم جبل تامالة و يتنقلون بين وهران والصحراء.[2]

وكان أن ظهرت فتنة بين بني يعقوب و بنو حميد و انقسموا على أنفسهم ، إلى أن تمكن بنو حميد من طرد بني يعقوب إلى المغرب [3]، فدخلت جماعات كبيرة إلى المغرب الأقصى.[4]

و أما البطن الأخير **عروة بن زغبة** ، فهما بطنان : **خميس** و **النضر**.

فخميس له ثلاثة بطون : عبيد الله ، فرغ ومنهم بنو نائل[5] أحلاف لأولاد محيا من العمور المستقرين بجبل راشد ، و بنو جابر بن فرغ ، و يقظان الذين اختصوا بحلف سويد يرحلون لرحيلهم و يقيمون لإقامتهم.

و **النضر بن عروة** منتبذون بالقفر يرحلون في رماله و يصعدون إلى أطراف التل ، في حماية الديالم والعطاف و حصين ، و ليس لهم أقطاع لضعفهم ما عدا جبل المستند (مما يلي وطن رياح). و لهم بطون كثيرة بنو خليفة و الحماقنة و شريعة (شريفة) و الصحاري[6] و بنو زيان و أولاد سليمان[7] بنواحي الصحراء.[8]

وكان النضر أحلافا لزغبة في حروبهم مع غيرهم ، ولبني عامر في صراعهم مع سويد وربما لرياح بحكم جوارهم لبطنيها مسلم وسعيد.[9]

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص230.

[2]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص 201.

[3]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص ص 230–231.

[4]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ،ص 423.

[5] – غير النوائل من ذياب بن سليم بن منصور ، من أشهر قبائل الصحراء الجزائرية سميت بهم جبال أطلس الصحراوية (جبال أولاد نايل) ، متواجدون بولايات الجزائر : الجلفة ، الأغواط ، بسكرة ، باتنة ، بوسعادة و المدية و بعض أحياء العاصمة . أنظر : محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص ص 1026–1027.

[6] – متواجدة بمنطقة ميزاب شرق الجزائر (من فخوذ عروة بن زغبة) . أنظر : محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص 1027.

[7]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 231.

[8]– أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 139.

[9]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 75.

و إذا تم الأخذ بامتداد حدود دولة بني عبد الواد من جبال سعيدة و وادي مينة شرقا إلى وادي ملوية و مدينة وجدة غربا ، يصبح **ذوو عبيد الله** و **الثعالبة** بني **المعقل** من عرب المغرب الأوسط.[1]

فذوي عبيد الله مجاورون لبني عامر ، فمواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر و منبعث وادي صامن من القبلة ، وتنتهي رحلتهم في الصحراء إلى قصور توات وتنطيت ، وربما يصلون إلى ذات الشمال من تاسابيت و توكرارين. و هذه كلها رقاب القفر إلى بلد السودان ، وكانت بينهم و بين بني عامر فتن وحروب ، وما إن لحق الدولة الزاينية الهرم استقروا بالتل فتملكوا وجدة وندرومة و بني يزناسن و مديونة وبني سنوس ، وصار معظم جبايتها لهم ، وضربوا على بلد هنين بالساحل ضريبة الإجازة منها إلى تلمسان.[2]

أما **الثعالبة** موطنهم بمتيجة جنوب الجزائر ، فكانوا يسكنون جبل التيطري (أشير) و لما تغلب بنو توجين على التلول طردوهم من تيطري إلى متيجة وحل محلهم حصين ، واستبد الثعالبة بمتيجة[3]، تحت حماية قبيلة ملكيش و تتبع ملوك بني عبد الواد هذه القبيلة بالسبي والنهب إلى أن اندثرت في نهاية القرن الثامن الهجري.[4]

و أما القبائل **الملحقة بالأثبج** ، فنلاحظ أن موطن **العمور** يمتد حتى المغرب الأوسط من جبل أوراس (الحضنة والصحراء) إلى جبل راشد المضاف إليهم ، ولم يختصوا بالتل ، ونزله أولاد شكر منهم – جبل راشد– ، ثم انتقل به أولاد محيا[5] وكردوا منه أولاد زكرير إلى جبال كسال غربيه (جبل يطل على البيض) .[6]

و **بني قرة** أغلبيتهم موجودة على الحدود الجزائرية المغربية ، مما يلي عين الصفراء وواحة فكيك.[7]

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ،ص 232.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 80–81.

[3]– المصدر نفسه ، ص 84. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 234.

[4]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 424. و أنظر أيضا : مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ،ص 194.

[5]– متواجدون ما بين الساحل و فرندة وسعيدة . أنظر : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 139.

[6]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 198.

[7]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 419.

و أهم البطون المتواجدة بالمغرب الأوسط من **الأثبج** ، أولاد حناش ابن المرتفع ابن عياض بن مشرف بن الأثبج. (الحنانشة) .

و أولاد سرور أبناء دريد بن الأثبج [1] ، و أولاد جرير بن محمد بن لقمان (اللقامنة) بن خليفة بن لطيف بن مشرف بن الأثبج[2] و المخادمة من ولد مخدم بن مشرف بن الأثبج.[3]

و أولاد عمو الذين يوجد باسمهم جبال عمور بالأغواط في الهضاب العليا من الأثبج.[4]

و نفس المرجع يعطينا صورة على مناطق استقرار بعض بطون **رياح** ، وكما تم ذكره فإن الذووادة (داود ابن مرداس) اختصوا بالمغرب الأوسط ، فمنهم أولاد يعقوب (الذواودة) بوادي زرقون بين البيض وجبال العمور في منطقة أطلس الصحراء .

وهناك أولاد ميمون بالهضاب العليا في الأطلس ، وهم ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف من رياح ، وأردافهم أولاد عيسى التواجدين بين بوسعادة و الجلفة ، وهو عيسى بن رحاب بن يوسف من رياح الهلالية ، من بطن سعيد السابق الذكر في رياح.[5]

حتى أن هناك قبيلة العمارنة من ذوي منصور من المعقل (الذين استوطنوا بالمغرب الأقصى) المستقرين بالهضاب العليا بين البيض و الضاية [6]. وهذا كله بسبب التواجد والتوطن الحدودي بين المغرب الأقصى و الأوسط

[1] – أولاد سرور جنبة ، منطقة الهضاب العليا الضاية و البيض ، وورد مصطلح جنبة هكذا في مدلوله التاريخي من الجانب الآخر ، أي الجهة الغربية ، فكما علمنا أن أولاد سرور من دريد بن الأثبج كانوا بالمغرب الأدنى . أنظر : محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ،ص 1033.

[2] – حسب التاريخ المحلي ، من أشهر القبائل المتواجدة بولاية بشار . أنظر: الملحق في الأخير.

[3] – محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص 1027.

[4] – المرجع نفسه ،ص 1030.

[5] – مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص 213.

[6] – محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص ص 1025-1033.

ج/– بالمغرب الأقصى :

لتحديد مواطن استقرار بطون بني هلال بحسب الأقاليم الجغرافية لبلاد المغرب ، وحسب الدراسة الدقيقة يتضح أن أهم من استقر ببلاد المغرب الأقصى من العرب ، إنما هي القبائل (الفروع) الملحقة و ليست الرئيسية من بني هلال ، على رأسها **المعقل** ببطنيها **ذوي حسان** و**ذوي منصور** ، و **جشم** ببطونها الرئيسية **سفيان** و **بنو جابر** و الملحقة بها **كالخلط** و**مقدم** و**العاصم** (الأخيرين من **الأثبج**) التي عدت منها.

وهناك بطني **مالك** و **عامر** من **زغبة** ، و بالتدقيق فإن العامل الجغرافي أثر بدرجة كبيرة بحكم مجاورتهم للمغرب الأقصى و وجودهم على حدود المغرب الأوسط .

كما أن بعض بطون **رياح** انتقلت و استقرت ببلاد المغرب الأقصى. ومنه فالفروع الرئيسية إن صح التقدير لم تختص بالمغرب الأقصى مثل الأدنى و الأوسط.

وحسب المصادر التاريخية ، فمن كانوا أوفر قبائل العرب و كانت مواطنهم بقفار المغرب الأقصى بجوارهم لعامر بن زغبة في مواطنهم قبلة تلمسان و ينتهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب[1] ، هم **بني المعقل** " عرب الصحراء من أرض المغرب"[2].

وعند دخولهم رفقة الهلاليين لم يتجاوز عددهم المائتين ، وتحيزوا إليهم منذ عهد قديم ، فنزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملوية و رمال تافيلالت ، فجاوروا زناتة في الصحاري المغربية حيث تكاثروا و أنبتوا في صحاري المغرب الأقصى ، خاصة بعد سيطرة زناتة على المغرب و مدنه و أمصاره ، فملكوا قصور الصحراء التي اختطها هؤلاء أنفسهم مثل السوس غربا ثم توات و تامنطيت ، ثم واركلان و تابسبيت و تيكورارين شرقا ، واعتبر كل منها وطنا منفردا اشتمل على قصور ذات نخيل و أنهار سكانها أكثرهم من زناتة ، وبينهم فتن و حروب على رئاستها فوضع عليها المعقل الإتاوات والضرائب ، وفيهم قبائل متعددة من غير نسبهم اندرجت ضمنهم .[3]

[1]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 77.

[2]– السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص 159.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 78.

وكان لهم طول عهد الموحدين و بني مرين من بعدهم إقطاعات وفيرة مما أدى بهم ، إلى عدم تعرضهم لأطراف الدولة بالغزو و قطع السابلة على القوافل التجارية من سجلماسة إلى بلاد السودان.[1]

ومواطن **ذوي منصور** تمتد من تاوريت إلى بلاد درعة[2] فيستولون على ملوية كلها إلى سجلماسة[3] وعلى درعة و ما يحاذيها من التل مثل تازي و غساسة و مكناسة و فاس و بلاد تادلا و المقدر. أما مواطن **ذوي حسان** فتمتد غربهم من درعة إلى البحر المحيط ، وينزل شيوخهم بلاد نول[4] قاعدة السوس فيستولون على السوس الأقصى و ما إليه ، وينتقلون كلهم بالرمال إلى مواطن الملثمين من كدالة و مسوفة ولمتونة[5]، في صحراء شنقيط.[6]

و باعتبار أن **أولاد منصور بن محمد** من أكبر العناصر المكونة للمعقل ، فمواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته بين ملوية ودرعة ، ويجاورهم وراءها إلى الجنوب إخوانهم ذوو حسان ، و هم أربعة بطون اختصت كل منها بمنطقة معينة[7] : فأولاد حسين ، سيطروا على الأراضي الواقعة خلف جبال الأطلس ما بين سجلماسة و سوس. و أولاد أبي الحسين : إخوانهم ، تميزوا بعجزهم عن الظعن رفقتهم فأقاموا بقصور الصحراء بين تافيلالت وتيكورارين (كورارة).[8]و بخصوص العمارنة و المنبات (المنابهة) المسمون بالأحلاف فمواطنهم مجاورة لأولاد حسين من ناحية الشرق ، ومجالاتهم بالقفر تافيلالت و صحرائها ،

---

[1]- ابن خلدون ، المصدرالسابق ، ص ص 77-78.

[2]- و يقال لها تيومتين و هي قاعدة درعة و تشتهر بوادي درعة و منبعه من جبل درن ، كما أنها آهلة وعامرة و بها جامع و أسواق و متاجر رابحة ، و النهر من قبليها مجراه من الشرق إلى الغرب ، و تقع على أربعة فراسخ من سجلماسة أي ثلاث مراحل ، وهي قرى متصلة و عمارات متقاربة تقع على نهر سجلماسة . أنظر : أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص 155. و مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 206. و الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 61.

[3] – من أعظم مدن المغرب ، وهي على طرف الصحراء ، بينها و بين البحر خمس عشرة مرحلة ، على نهر يقال له زيز ، كما أنها مدينة محدثة أقامها عبد الله بن درار سنة 140هـ ، واندثرت مع مرور الزمن ، ويسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان ليس لهم مدن وعمارة يأوون إليها إلا وادي درعة. أنظر : الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص ص 305-307 . مؤلف مجهول ،الاستبصار ، ص 201.

[4] – مدينة في جنوبي بلاد المغرب ، حاضرة لمطة فيها قبائل من البربر. من بلاد السوس الأقصى بالمغرب ، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشرة مرحلة ، فيها جزولة و لمطة ، كما أنها آخر بلاد السوس. أنظر : الحميري ، المصدر نفسه ، ص 584.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 78. و السلاوي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 159.

[6]- مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص 237.

[7]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 87.

[8]- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ،ص 425.

وبالتل ملوية و قصور وطاط و تازي و بطوية و غساسة ، ويفرضون على أهلها الضرائب و الإتاوات.[1]

أما **ذوي حسان بن مختار بن محمد** فهم عرب السوس ، إضافة إلى الرقيطات والشبانات الذين كانت مواطنهم بنواحي ملوية إلى مصبه في البحر ، رفقة إخوانهم ذوي منصور وعبيد الله إلى أن استصرخهم علي بن يدر الزكندري صاحب السوس من بعد الموحدين.[2]
فارتحلوا إليه بظعونهم و استقروا بمواطن سوس بعد كثرة المزاحمة و صارت مجالاتهم هناك ، فغلبوا جزولة وعدوهم ضمنهم ووضعوا الإتاوات على المدن والقرى الموجودة بها ، وببرية شنقيط.

و إن كان ابن خلدون قد أعطى صورة على موطنهم ، فقد دعمها ابن منصور بناءا على الاستقرار الحالي ، فأكثريتهم اليوم تتواجد بصحراء شنقيط ووادي الذهب و هم ينقسمون حسبه إلى أربعة أقسام : أولاد أحيي سكان أدرار ، أولاد وعيش يسكنون تكتن ، و الترارزة سكان القبلة الأراضي الممتدة من إكيدي و العقل إلى حدود السنغال ، و أولاد عبد الله أو البراكنة و هم متفرقون ، أولاد السيد يسطنون شمامة ، وأبناء أحمد أكيدي بين أمشتيل وأفطوط ، و أبناء هيبة و أنغماش يسكنون الرك.

حتى أن ال**شبانات** و **الرقيطات** ، كانوا بادية لذوي حسان ينتجعون معهم بإقليم السوس ، و الملاحظ أن الشبانات هم إخوان لذوي حسان ، ولايزالون يعرفون باسمهم الأصلي ، وفيهم بطون مندرجة في قبيلة الودايا بحوز فاس و أخرى بالصويرة و ناحية تادلة و الجديدة.[3]

و من أهم البطون التي استقرت بالمغرب الأقصى **جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن** ، و أصل هذا التوطن عند دخولهم للمغرب ، فتغلب الموحدون على إفريقية و أذعنت لهم هذه القبائل طوعا و كرها ، وحدث أن كانت فتنة ابن غانية فانضموا إليها وخرجوا عن الموحدين ، وشقوا عصا الطاعة لعهد المنصور فاضطره إلى نقلهم رفقة العاصم ومقدم من الأثبج ، وأنزلهم تامسنا[4] البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش في أوسط بلاد المغرب الأقصى ،

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص89.

[2]– ابن خلدون ، المصدر نفسه ،ص 91.

[3]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص ص 424-427.

[4] – إقليم تامسنا في بلاد المغرب الأقصى . أنظر : الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص129.

وأبعدها عن المناطق المفضية للقفر لإحاطة جبل درن بها ، واستقروا بالمنطقة فلم ينتجعوا قفرا و لا أبعدوا رحلة ، و أقاموا بها الأحياء.[1] فكانت رئاستهم في **سفيان** في أولاد جرمون سائر أيام الدولة الموحدية ، ونتيجة لوهن ملوكها استكثروا من جموع جشم ، تدخلوا في صراعاتهم و استبدوا بأمر الدولة فأكثروا الفساد مما جعلهم عاملا من عوامل سقوطها ، جعل المرينيين ينتصرون عليهم فتقدموا للاستيلاء على فاس و ضواحيها ، فلم تكن هناك حامية للمدينة أشد منهم رفقة رياح في مقاومتهم للمرينيين و التي كانت عنيفة ، أجبرتهم على مصاهرة الخلط منهم (زواج سياسي) ، وبالتالي انتقلت الزعامة من سفيان إلى الخلط ، حتى صاروا في آخر المطاف في عداد قبائلها الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان.[2]

و بداية **بسفيان** ، كان استقرارهم بأطراف بلاد تامسنا مما يلي أسفى ، و بعد أن ضغطت عليهم الخلط ، قام الحرث و الكلابية منهم بالرحلة شمالا إلى أرض سوس و قفارها يهاجمون ضواحي بلاد جاجة (حاجة) من المصامدة ن وبقيت فيهم لذلك شدة و بأس.[3]

و **الخلط** التي اعتبرت من البطون الملحقة ، فقد استقرت ببسائط تامسنا ، إلا أنها اندثرت نظرا لما أصابهم من الخصب و الترف على مائتين من السنين لذلك البسيط الأفيح [4]، بسبب فتنهم و حروبهم مع الموحدين و بني مرين بعدهم استقروا بآخره ، وهم الآن من بسيط الغرب قرب القصر الكبير مختلطين بقبيلة طليق.[5]

فأما **بنو جابر** ، كانت مواطنهم بسفح جبل تادلة يسهلون إلى البسيط تارة و يأوون أخرى إلى هضابه إذا أحسوا بتهديد ، فجاوروا زناتة من البربر حتى جعل البعض ينسبهم إليهم.

و أما **العاصم** و**مقدم** من **الأثبج** نزلوا مع جشم ، فكانت لهم عزة و استقروا ببسيط تامسنا بوادي أم الربيع.[6]

وعلى عهد المنصور الموحدي(ت 595 هـ / 1199م)قام بنقل مسعود بن سلطان بن زمام بن ورديغي بن داود زعيم عرب **رياح** بإفريقية ، إلى المغرب فيمن نقل من القبائل

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 37.

[2]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص ص 37-38. أنظر أيضا : مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 241.

[3]- المصدر نفسه ، ص 39. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع نفسه . عبد الوهاب ابن منصور ، المرجع السابق ، ص 420.

[4]- المصدر نفسه ، ص ص 40-41.

[5]- عبد الوهاب ابن منصور ، المرجع السابق ، ص 420.

[6]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 41. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق، ص 242.

العربية و أنزلت **رياح** ببلاد الهبط بين قصور كتامة (القصر الكبير) إلى ساحل المحيط ، وهذا في الدور الأول من استقرار هذا القبيل بالمنطقة ، وكان هناك دور انتقالي ثاني لها نتيجة صراعهم مع الحفصيين بإفريقية ، فانتقل و ارتحل بعضهم إلى بني مرين بالمغرب كأولاد محمد و أولاد تامري ، و قاموا بدعمهم في مد حدودهم إلى المغرب الأوسط وإفريقية.[1]

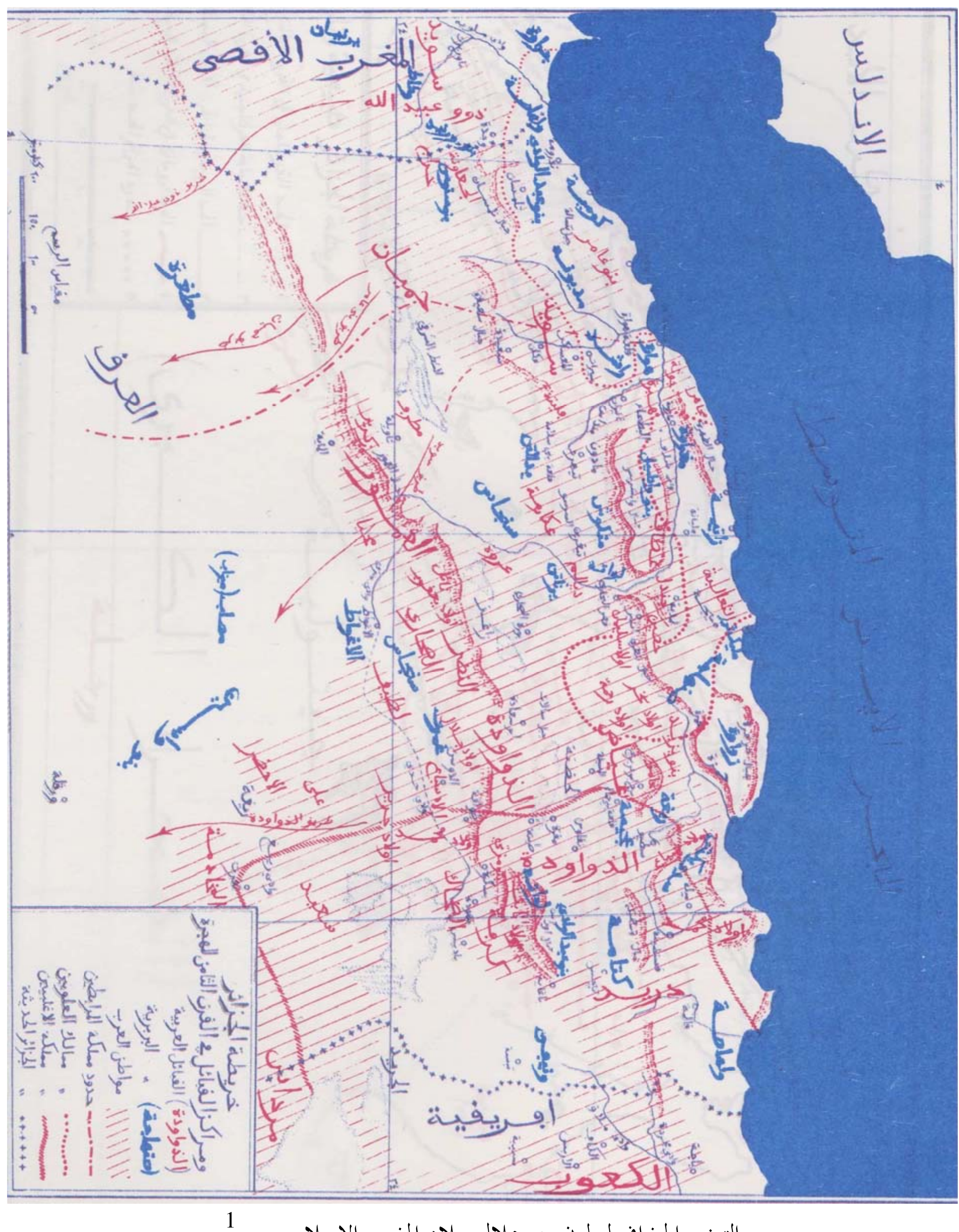
حتى أن هناك بطني **مالك** و **عامر** من **زغبة** ممن استقروا بالمغرب الأقصى ، و **مالك** لا يزالون يعرفون بالاسم الأصلي ، و مواطنهم فيه تقع بإقليم القنيطرة بسهول الغرب حيث تقع قريتا سوق الأربعاء و أحد كورت .

أما **عامر** فاسترقت قرب سلا و العرائش و طنجة و قرب فاس مع قبيلة سراكة[2] . و هذا راجع كما ذكرنا مسبقا إلى وقوع مواطنها بالمناطق الحدودية بين المغرب الأوسط و الأقصى (الحدود الجزائرية المغربية) .

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 243.

[2]– عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص 423.



التوزيع الجغرافي لبطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي [1]

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر... ، ج2 ، ص 511. بالرغم من التركيز على المغرب الأوسط. أنظر الملحق الخاص بالتوزيع الجغرافي لبطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي .

ثالثا: أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب .

1/- إمارة بني جامع (بقابس) :

إن من أبرز الأبعاد السياسية لتواجد بطون بني هلال (قدوم الهلاليين) إلى المغرب ، أنه قد تمكن بطن منهم من إقامة دعائمه و توطيد نفوذه بأبرز مدن المغرب الأدنى (إفريقية) و هي قابس* ، و ما لبث أن تحول هذا النفوذ إلى شكل سياسي متطور وصل إلى أن أقيمت دويلة محلية ، وبمعنى أدق إمارة عربية ، هي إمارة بني جامع.

الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة رياح الهلالية ، وكان فيهم ملك العرب القديم ببلاد المغرب[1] وهذا إن دل إنما يدل على أنها أقامت ملك لها حين استقرت بالمغرب الأدنى.

فمن بني دهمان أولاد جامع ولاة قابس [2]، و بتفصيل أدق فهم أولاد مكي بن دهمان من بني علي[3] ، في حين ينسبهم التجاني إلى بني فادغ من بني علي ، و كان ذلك بعد مخالفة قابس لتميم ابن المعز و رجعت لطاعة العرب فتولاها منهم مكي بن كامل بن جامع بعد الاختلاف الذي حدث بينهم.

و اعتمادا على النص التاريخي من نفس المصدر بوصفه لمدينة قابس :" ... فهناك موضع اسمه العروسين ، وكان من بناء بني جامع الهلاليين الذين كان لهم إمارة قابس فطوت أيدي الموحدين آثارهم و أخبارهم ، ... و من أبواب القصر نقش بالحجر نصه : { أمر بعمل هذا الباب الأمير الشهم رافع بن أمير الأمراء مكي بن كامل بن جامع في رجب سنة 500هـ ... } "[4]

ليتضح أنه لم يتم تحديد تاريخ دقيق لنشأتها ، بحيث أن تواجدها كان مع نهاية القرن 5هـ وبداية القرن 6هـ ، وكان أن أبادهم الموحدون بعد عجز رياح في الصمود أمام القوة

---

*- مدينة من بلاد إفريقية بينها و بين القيروان أربع مراحل ، وتعد من البلاد الجريدية بينها وبين طرابلس ثمانية أيام ، وبهذا فهي مدينة صحراوية بحرية ، ومن كلام بعضهم فقابس دمشق المغرب ، و يوجد بها قصر العروسين من البناءات المشهورة . أنظر : الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص ص 450-451.

[1]- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 267.

[2]- مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص 215.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 221.

[4]- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ص 94-97.

العسكرية الموحدية بقيادة عبد المؤمن بن علي في موقعة سطيف التي فتحت إفريقية أمام الموحدين في منتصف القرن 6هـ/12م بالضبط سنة 547هـ/1153م.[1]

وكان آخر من ملكها من بني جامع مدافع بن رشيد بن رافع بن كامل بن جامع ، ومن يده أخذها الموحدون ، خاصة بعد أن راسله عبد المؤمن بن علي في أبيات شعرية دون أدنى جواب ، فأغار عليه و جماعته و انهزم على يده ، فملك الموحدون قابس و فر مدافع بنفسه مستنجدا بأعراب طرابلس فأجاروه[2]. وبهذا كان الإطار الزماني لإمارة بني جامع بين نهاية القرن 5 هـ إلى منتصف القرن 6هـ.

و في خضم هذه الفترة أظهر بنو جامع نوعا راقيا من الحضارة ، و كان لهم نصيب في بعض النواحي السياسية و الثقافية و العمرانية و الاقتصادية ، كما ازدهرت قابس طول عهدهم.

فمن **الناحية السياسية** : كان النظام السياسي بالنسبة إليهم ، هو نظام الإمارات العربية فالأمير يتولى الوزارة بمساعدة حجاب ، قد يرتقون لمنصب وزير أو تابع للأمير ، ووجدت عندهم وظائف كتابية وبريد خاص بهم.[3]

ومن **الناحية العمرانية** : أقاموا قصر العروسين[4]– الذي تم ذكره مسبقا– فأهل قابس ينسبون بناءه لرشيد بن مدافع بن جامع أحد من تملكها منهم ، حتى أن أحد أبواب القصر التي وقف عليها الرحالة التجاني ذكر عنده من أهل قابس أن رشيد هو من قام ببنائه ، أما هذا الباب خصوصا أمر ببنائه رافع بن مكي ، فقد أخبره بعض الطلبة من سكانها أنه وقف لبعض المؤرخين على أن صنهاجة هم من ابتدأ ببنائه إلى قدر ثلثيه ، فأتمه بنو جامع من الهلاليين.[5] وربما يعطي صورة عكسية للوصف الذي أطلق على الهلاليين على أنهم عامل تخريبي بمنطقة المغرب ، إلا وكيف نفسر اهتمامهم بالتشييد والبناء.

---

[1] – محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ، ص105.

[2]– التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 100–101.

[3]– إلهام حسن دحروج ، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية ، رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 2000 ، ص60.

[4]– قصر بقابس من إفريقية مشهور ، بناه بنو رشيد ابن جامع من العرب الذين وجههم العبيديون إلى إفريقية للإفساد على المعز بن باديس ، وكان لهم ذكر في صنهاجة.. أنظر : الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص 410.

[5]– التجاني ، المصدر السابق ، ص 95.

ومن **الجانب الثقافي،** فقد اهتموا بالأدب و الشعر ، ومنه أن الأمير مدافع شجع الكثير من أمراء بني جامع ، وقد يقومون باختيار الشاعر كوزير مثل سلام بن أبي بكر بن فرحان[1] وكان أيضا أبو ساكن عامر الهلالي[2] من شعرائهم الموهوبين ، فهذا الأخير " كان بدويا أميرا سويا ، فلما فارق قابس بعد أن أخذها الموحدون عام الأخماس ، كان يعبر عن الأمة بالشعر كما كان ابن حمديس."

وهؤلاء الشعراء و غيرهم يعبرون على مدى ثقافتهم على طريقة أهل إفريقية (كما يذكر ابن خلدون) ، و كان بلاطهم في قصر العروسين يزخر بمجالس الأدب و الشعر.[3]

و أما **الناحية الاقتصادية** ، فأثبتوا وجودهم من خلال الاهتمام بالتجارة بوجهيها الداخلي و الخارجي[4] ، و أبرز ما ميزهم أنه في عهد رشيد بن كامل تم ضرب السكة الرشيدية[5] أي أنها سكت باسمه[6]

كما أولوا عناية بالغة بالنشاط التجاري من خلال الاهتمام ببناء السفن ، وهذا حتى يتكون لديهم أسطول تجاري و حربي في نفس الوقت ، كما فعل رافع عندما أنشأ بساحل قابس سفينة لرد الاعتداءات .

وكما هو معلوم أن قابس مدينة بحرية صحراوية ، لذلك وجب الاهتمام بتموين الصحراء وكذا المدن الإفريقية المرتبطة بها.[7]

و فيما يخص أخبارها و تصاريف أحوالها كإمارة عربية تؤسس ببلاد المغرب الأدنى ، فقد شهدت جملة من الأحداث ارتبطت بأمرائها و علاقاتهم المتعددة مع الدول المتواجدة في تلك الفترة .

---

[1]- وزير الأمير مدافع (وهو شاعر) قاتل عنه أثناء خروجهم من قابس إلى أن قتل . أنظر : التجاني ، المصدر السابق ، ص 101.

[2] – هو أبو ساكن عامر بن محمد بن مكي بن كامل بن جامع ، نجا يوم خروجهم وحط رحاله بدمشق و استوطن بها ، وله شعر يذكر فيه أيامهم بقابس . ولديه ابنه ساكن بن عامر الذي ورد إلى دمشق و كان موجودا بها سنة 591هـ. أنظر : التجاني ،المصدر السابق ،ص ص 102-103.

[3]- إلهام حسن دحروج ، المرجع السابق ، ص 60.

[4]- المرجع نفسه.

[5]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 222.

[6] – وجد دينار أطلق عليه رشيدي نسبة إلى رشيد بن يكن بن جامع ، أنظر : إلهام حسن دحروج ، المرجع نفسه .

[7]- التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 97-98.

فابن خلدون يورد أن مكن (مكي) بن كامل[1] و في موضع آخر أن بكر [*] بن كامل بن جامع أمير المناقشة من دهمان من بني علي إحدى بطون رياح الهلالية قام بأمر قابس ، واستبد بصنهاجة (أي الدولة الزيرية) على عهد تميم بن المعز (454-501هـ/1062-1108م) ، وظل على تلك الحال في إمارة قومه من دهمان إلى أن هلك (مات) بها.[2]
فتولى من بعده رافع ابنه (رافع ابن مكي " مكن") و كان هذا أواخر عهد تميم بن المعز ، الذي توفي ورافع متولي قابس .
ثم تولى يحي ابن تميم (501-509هـ/1108-1116م) الحكم ، وقام بمصالحة رافع وكان قد أمده بما يحتاج إليه عند إنشائه لسفينة على ساحل قابس[3] – قدم له الحديد والخشب اللازمين لبناء المركب ، ولم ينكر ذلك و توفي يحي قبل إكماله – [4]

إلا أنه مع علي بن يحي[5](509-515هـ/1116-1121م) اختلفت الأمور ، و أنف من ذلك فجهز سنة 511هـ/1118م أسطولا لمحاصرة قابس حيث قال :" لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوبني في إجراء المركب في البحر بالتجار."[6] ، لم يعجبه أن يوجد أسطول آخر في خليج قابس و سببه احتدام المنافسة التجارية و السبب العسكري خوفا من نفوذ بني جامع و سيطرتهم التجارية.[7]
وحدث أن استعان رافع بروجار صاحب صقلية ، و كان أن جهز علي ست حربيات و أربع شوان[8] و أمد روجار رافع بأسطول جملته 24 شينيا . لتأخذ المركب معها و تشيعه معها إلى صقلية لئلا تعترضه مراكب علي – وبهذا أراد الإطاحة بهما وتوسيع الهوة بينهما كما بدأت تظهر الأطماع الخارجية للإفرنج– ووضع لنفسه هدفا أساسيا منذ أن احتل صقلية وهو

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 212-213.
[*]– والراجح حسب المصادر التاريخية مكن أو كامل . وربما ورد خطأ في هذه النسخة.
[2]– المصدر نفسه ، ص 221.
[3]– التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 97-98.
[4]– النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص 134.
[5] – حيث كان عادلا في رعيته ضابطا لأمور دولته مدبرا لجميع أحواله ، رحيما بالضعفاء و الفقراء يكثر الصدقة عليهم و يقرب أهل العلم والفضل. أنظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص 161.
[6]– ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ص 169.
[7]– إلهام حسن دحروج ، المرجع السابق ، ص 61.
[8] – الشواني : نوع من المراكب العسكرية.

اتخاذها بداية انطلاق نحو الشواطئ الإفريقية للاستيلاء عليها و تحقيق هدفه الاقتصادي التجاري المنشود [1] ، ولما مر بالمهدية أخرج علي أسطوله الحربي ، فرجع أسطول روجار إلى صقلية و بقي علي يحاصر قابس ثم عادوا إلى المهدية بعد أن أفسدوا فيها.[2]
وتمادى رافع في مخالفة علي و التمسك بصاحب صقلية ، حين جمع قبائل العرب و توجه بهم لمحاصرة المهدية ، وكان رد علي عنيفا فحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فافترق الجنود و قتل منهم الكثير بينما قتل من جند علي رجل واحد فقط ، و أعادت الحرب رحاها بخروج عسكر علي نحو المهدية التي فر منها رافع نحو القيروان ، وأجهز عليه فيها راجعا أدراجه إلى قابس ، فتدخل جماعة من أعيان إفريقية[3] ومنهم ميمون بن زياد الصخري الذي توسط لرافع من أجل مصالحة علي ، فاستجاب لذلك بعد الاعتراض و انتظم بينهما الصلح و ارتفعت بينهما الفتنة .[4]

و خلف من بعده رشيد بن كامل بإمارة قابس ، الذي اختط قصر العروسين و ضرب السكة الرشيدية[5]. وكانت وفاة الأمير رشيد سنة 542هـ/1147م.[6] بعد أن ازدهرت الإمارة اقتصاديا و عمرانيا في عهده مما انعكس على الجانب الحضاري الثقافي بالمنطقة.

ليأتي دوره ابنه محمد في ولاية قابس (محمد بن رشيد)[7]، لكن حدث و أن تغلب مولاه يوسف على الإمارة بسبب صغر سنه نوعا ما ، وهذا يأتي بعد خروجه لحرب عدو له تاركا خلفه ابنه الصغير نائبا عنه. فقام يوسف بتنحيته واستبد بالحكم فنصب نفسه و أصبحت أمور قابس كلها في يده. ولم يتوقف عند هذا الحد بل أعلن طاعته لروجار و كان له أخ اسمه عيسى فر إلى صقلية مستنصرا لطاغيتها (روجار) .[8]

---

[1]– إلهام حسن دحروج ، المرجع السابق ، ص 61.

[2]– النويري ، المصدر السابق ، ص 134. أنظر أيضا : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 213–214.

[3]– ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص ص 169–170.

[4]– النويري ، المصدر السابق ، ص ص 134–135. أنظر أيضا : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 222.

[5]– ابن خلدون ، المصدر نفسه.

[6]– إلهام حسن دحروج ، المرجع نفسه.

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 222.. التجاني ، المصدر السابق ، ص100. غير أنه يذكر رافع ولا يذكر رشيد بعد مغادرته للقيروان تولى محمد بن رشيد.

[8]– التجاني ، المصدر نفسه . و ابن خلدون ، المصدر نفسه.

وما يذكره ابن الأثير رغم الاختلاف بين الروايات التاريخية ، أن يوسف مولى رشيد عمد للحكم لولده الصغير بدل الأخ الأكبر معمر حين قام بإخراجه ، فاستولى على الحكم مستغلا صغر سن محمد ... و كان أن اشتكت إمرأة من بني قرة لأخوتها ... إلى أن توجهت هي ومعمر بن رشيد إلى الأمير الزيري الحسن بن علي (515-543هـ/1121-1148م) فأرسل الحسن جيشا و دخل المدينة بمساعدة أهلها الناقمين على يوسف ، فتم القبض عليه و تعذيبه من قبل معمر بن رشيد و بني قرة وقتله ، و بمساعدة الأمير العربي محرز بن زياد الذي اشترك في الهجوم لاستعادة قابس استطاع معمر بن رشيد أن يعتلي عرش ولاية قابس.[1]

وهنا يظهر الاختلاف حول من خلف بعد محمد بن رشيد ، فابن الأثير كما نرى يذكر معمر بن رشيد ، إلا أن ابن خلدون[2] و التجاني[3] لهما كلام آخر ، فيعتبرون أن آخر من ملكها من بني جامع أخوه مدافع بن رشيد بن كامل وليس أخ محمد. ومن المحتمل أن يكون عين ابنه الصغير محمد بدل أخوه مدافع ، وهذا ما أعطى فرصة ليوسف للاستبداد بالحكم ، فلجأ مدافع للاستنجاد بالأمير الزيري الحسن و بالأمراء العرب ، حتى أن إعلان يوسف طاعته لروجار فتح المجال أمام النورمان و ألب القوى الإسلامية في إفريقية ضده ، وكان أن قام روجار بإرسال قوة بحرية لمحاصرة قابس سنة 542هـ/1147م ، إلى أن عجز عن فتحها.[4]

وفي فترة حكم مدافع استولى الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي على المهدية وصفاقس و طرابلس ، الذي بعث ابنه عبد الله إلى قابس ففر مدافع بن رشيد عن قابس وأسلمها للموحدين ، ولحق بعرب طرابلس من عرف عوف* فأجاروه سنتين ، ثم لحق بعبد المؤمن بفاس فأكرمه و رضي عنه ، وبالتالي انقرض حكم بني جامع في المنطقة.[5]

---

[1]- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص ص 346-347.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 222.

[3]- التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 100-101.

[4]- إلهام حسن دحروج ، المرجع السابق ، ص ص 62-63.

*- بنو عوف من بني سليم أبناء عمومة بني هلال.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 222.

والملاحظ أن من تملك الإمارة من بني جامع هم أربعة ولاة : رافع بن مكي(مكن) بن كامل بن جامع ، ورشيد بن كامل بن جامع ، وابنه محمد ، و آخرهم أخوه مدافع ، هذا مع صعوبة في تحديد الإطار الزمني الذي يظهر أنه بين نهاية القرن 5هـ إلى منتصف القرن 6هـ ، تزامنا مع الدولة الزيرية بداية بتميم بن المعز و صولا إلى الحسن بن علي.

2/- إمارة بني مزني (بالزاب) :

أقامها و أسسها الهلاليون عقب دخولهم لبلاد المغرب ، بحكم أنها عاشت قرن و نصف قرن[1] ، ولم يعرف الزاب عصرا كعصرها هناء و رغادة عيش ، لما كان عليه بنو مزني من حسن التدبير و الإدارة ، و الإطار الزمني لها ما بين 678هـ/1279م إلى 804هـ/1402م ، أي من القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ/15م غير أن الفترة الزمنية للموضوع مختصة بالقرن 7هـ ، وكان من حكمها في خضم هذه المدة الفضل بن علي وابنه المنصور . ليبقى أربعة منهم كانوا ما بين القرنين 8 و9هـ تاريخ نهايتها.[2]

وكان وحسب ابن خلدون أن بني مزني أمراء بسكرة و ما إليها من الزاب[3] وبهذا يحدد الموقع الجغرافي بدقة فبسكرة هو قاعدة الزاب لعهده ، وحده من لدن الدوسن بالمغرب إلى قصور تنومة و بادس في المشرق ، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاسم من المغرب إلى المشرق ، ذو ثنايا تفضي إليه من تلك الحضنة ، وهو جبل درن المتصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة... وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا يعرف كل منها بالزاب ، و أولها زاب الدوسن ، ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا و زاب بادس ، وبسكرة[4] أم هذه القرى كلها. و أما من كان يحكم بسكرة قبل قدومهم بعد الأغالبة والشيعة لعهد صنهاجة ملوك القلعة من بني رمان لكثرتهم وتملكهم لضياعها و بالضبط جعفر بن أبي رمان المشتهر فيهم.[5]

نقضوا الطاعة على عهد بلكين بن محمد بن حماد سنة 450هـ ، فهاجمتهم جيوش صنهاجة و قتلهم بلكين جميعا كعبرة لمن خلفهم ، وصار أمر الشورى لبني سندي منهم و في

---

[1]- حفناوي بعلي ، عبد الرحمن بن خلدون في ضيافة إمارة بني مزني قرن ونصف قرن من الحضارة و النضارة ، المجلة الخلدونية ، العدد11 ، الجمعية الخلدونية للأبحاثرو الدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001 ، ص 34.

[2]- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص ص 369-370.

[3] – من أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية شبيه لها في الهواء وكثرة النخيل ، وهو مدن كثيرة و عمائر متصلة فيها المياه و الأنهار و العيون ، التي منها المسيلة و نقاوس و طبنة و بسكرة وتهودة ، وأقرب ما للقلعة الحمادية من هذه البلاد المسيلة ، وبين الزاب والقيروان عشر مراحل. أنظر : الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص ص 281-282. و الاستبصار ، ص 171. وأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، البلدان ، مطبع بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، 1860 ، ص350 .

[4]- من بلاد الزاب بأرض المغرب ، وهي قاعدة تلك البلاد . أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 113-114. و أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 52 . و الاستبصار ، ص 173.

[5]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 585.

مقدمتهم عروس الذي فتك بالمنتصر بن خزرون الزناتي. وجلب إلى السلطان بقومه من مغرواة و عرب الأثبج وبني عدي[1] وبني هلال ، فمكر به السلطان ودس إلى عروس بالفتك به ففعل ، وانقرضت رئاستهم – بني سندي – بانقراض أمراء صنهاجة من إفريقية ، وجاءت دولة الموحدين و الكثرة و البيت لبني رمان و هنا وصلت طلائع بني هلال و أحلافهم بني مزني.[2]

بحيث أنهم وصلوا أحلافا لطوالع بني هلال منذ دخولهم في المائة الخامسة ، وكانوا لفقا من لفائق الأعراب ، أي أنهم لا يفترقون و هذا ما ميز هؤلاء الهلاليين .

ونسبهم بزعمهم في مازن من فزارة ، والصحيح أنهم في لطيف من الأثبج ، ثم من بني جرى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف ، واسم أبيهم "**مزنة**" بن ديفل بن محيا بن جرى ، وذلك حسب ما يلاحظ أن أهل الزاب كلهم من أفاريق الأثبج ممن عجزوا عن الظعن و نزلوا قراه ... و ينزعون عن هذا النسب إلى فزارة لما صار إليه أهل الأثبج بالزاب من المغرم و الوضائع ، فيستنكفون لذلك و ينتسبون لغرائب الأنساب[3] ، كمحاولة منهم للتميز عن الأثبج القبيلة الغارمة. وكان أول نزولهم بقرية من قرى بسكرة تعرف بحياس ، فتكاثروا و كان لهم نصيب وافر من امتلاك العقار و المياه رفقة أهل بسكرة[4] ، وبهذا يتحد نسبيا موطنهم الأول كإرهاصات لمقومات الدولة.[5]

وكان تطلعهم للحكم وفق مراحل تدريجية و بطرق سلمية استراتيجية ، حينما انتقلوا إلى البلد و استمتعوا فيها المنزل و الظلال و قاسموا أهلها الحلو والمر ، وانتظم كبارهم في أرباب الشورى من المشيخة.[6]

وهذا ما لم يستصغه بني رمان و لم يرق لهم بسبب قدمهم في البلاد ، فاستنكفوا من انتظامهم معهم و حسدوهم على ما آتاهم الله من فضله ، وحذروهم على أنفسهم فاضطرمت

[1] – و هي من الفروع التي قلنا بأن ابن خلدون سكت عنها ، و يذكرها في أحداث متفرقة و غالبا ما يقترن ذكرها بالأثبج التي اختصت في تلك المرحلة بالمغرب الأدنى ، و هذا ما يعطي صورة على استقرارهم برفقتهم أي بالمغرب الأدنى.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 585–586.

[3]– المصدر نفسه ، ص 586.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– سميرة السقا ، دولة بني مزني ببسكرة من خلال كتاب العبر لابن خلدون ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، ص ص 15–16.

[6]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 586.

بينهم نار العداوة و الإحن ، فالسكان الأصليين لم يقبلوا أن يتعايشوا مع الطرف الآخر الغريب عن بلدهم.[1] و إن كان بعض الدارسين يطلقون اسم الدولة بدل الإمارة ، إلا أن السياق التاريخي للأحداث لا يسمح بالتغيير أو التشويه ، خاصة إذا تم العلم أن هذه الإمارة كانت تفتقد لشرط السيادة خاصة في الفترة المرتبطة بالبحث ، إلا أنها تميزت وبرزت في الكثير من الجوانب.

فمن **الناحية الجغرافية** ، فقد امتدت الإمارة من المسيلة و نقاوس شمالا إلى ورقلة جنوبا ، ومن الدوسن غربا إلى بادس شرقا ، ودخلت مواطن عياض و سدويكش ضمن نطاق هذه الإمارة أيام المنصور بصفة خاصة – الذي سيرد ذكره–[2] هذا ما جعل المؤرخين و الدارسين لها يختلفون فيما بينهم حول الجانب السياسي لها.[3] هل كانت مجرد إمارة ، أم أنها وصلت لمصاف دولة ؟ إلا أن التمعن في الروايات التاريخية المعاصرة لها كابن خلدون ترى بأنها إمارة . و ما جعلها كذلك افتقادها لشرط و مبدأ السيادة، حتى و إن كانت ذات رقعة جغرافية محددة و سكان و حكام "أمراء".

فمن **الناحية السياسية** ، نجحت في أن تشكل كيانا سياسيا ذا حدود جغرافية معلومة في أبرز منطقة من أعمال إفريقية . والتي شهدت تطورات سياسية كثيرة على مر التاريخ **الزاب** وقاعدته المشهورة **بسكرة** ، حيث أنها برزت في عهدهم لتستمر قرن ونصف قرن من الزمن[4] من النضارة و الحضارة[5] ، متخذة كالإمارة السابقة نظام الإمارة ،فتولى حكمها جملة من الأمراء أبرزهم الفضل بن علي[6] ، ومن ثمة ابنه منصور الذي وطد دعائم الحكم سنة 693هـ،أي نهاية القرن 7هـ فاشتهر عصرها لما كانوا عليه من "حسن التدبير و الإدارة ".[7]

وبهذا فالحديث عنها لا يخرج عن إطار الدولة الحفصية ، فقد توالت عليها النزاعات بين أفراد أسرها الحاكمة من ناحية ، و ثورات الذواودة من العرب من ناحية أخرى ، مما ترك

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 586.

[2]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 366. أنظر أيضا : رضوان شافو ، وادي ريغ أيام إمارة بني مزني (1279–1402م) ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، ص 175.

[3]– رضوان شافو ، المرجع السابق ، ص ص 172–173.

[4]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 369.

[5] – حفناوي بعلي ، المرجع السابق ، ص 34

[6]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 586–588.

[7]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 369.

فراغا سياسيا في بعض مناطق النفوذ الحفصي ، قامت باستغلال الأمر حينما كانت من أبرز الأسر العربية المنتشرة ببلاد الزاب و الجريد وتبحث عن استقلالها الذاتي.[1]

و شهدت عدة مراحل ، التوطن في حياس (كمرحلة أولية لمقومات الإمارة) ، ثم التوسع والتنقل بين أطراف البلاد و مزاحمة بني رمان أصحاب المنطقة ، وتقرب كبارهم من أرباب الشورى من المشيخة[2] (وفق مراحل تدريجية و بطرق سلمية إستراتيجية). و حتى تتضح أحوال الإمارة من الناحية السياسية ، ارتبطت بعهدي الأميرين الفضل وابنه منصور بعد أن أصبحوا يتحكمون في زمام الحكم ، متخذين في ذلك خطة لا تقل إستراتيجية عن الأولى ، حين اعتمدوا على التمكين لإمارتهم بنواحي بسكرة والزاب ، على محالفة الذواودة زعماء عرب رياح كفرسان يحمون الإمارة بسيوفهم.

كانت بسكرة محل تنافس وصراع بين القبائل الساكنة فيها ، لاسيما بني رمان لقدمهم في البلاد و بني مزني من أول إنشاء الدولة الحفصية، ثم أمكن بني مزني أن يتغلبوا على بني رمان ، وينتزعوا منهم السلطة بالمنطقة ، منذ أن تولى أبو إسحاق إبراهيم الحكم ، وخلع يحي الواثق سنة 678هـ/ 1279م .

و يرجع سبب ذلك إلى أن أبا إسحاق إبراهيم المذكور ، لما فر من وجه أخيه المستنصر الأول التجأ إلى بني مزني فأكرموا وفادته ، وأعلنوا تأييدهم له بزعامة **فضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني** ، و أعلن بين أهل البلد طاعته و اتبعوه على كره.[3]

وعندما قدمت عليهم جيوش المستنصر و هزمتهم ، فر أبو إسحاق إبراهيم إلى الأندلس مصطحبا معه الفضل بن علي ،حتى إذا توفي المستنصر الأول وتولى أبو إسحاق الأمر بتونس عقد إليه و عينه واليا على بسكرة ونواحيها ،ولأخيه عبد الواحد بلاد الجريد ، فاستكان بنو رمان و انقادوا لأمر الدولة تحت إمرته ،فاضطلع بالولاية بأحسن تدبير.[4]

وبعد مهلك السلطان أبو إسحاق على يد الداعية بن أبي عمارة ، ثأر منه السلطان أبو حفص و استرد ما ضاع من ملكهم ، و كان يضع ثقة عمياء في إمارة فضل بالزاب و على

---

[1]- رضوان شافو ، المرجع السابق ، ص 175.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 586.

[3]- المصدر نفسه ، ص ص 586-587.

[4]- المصدر نفسه. ص 587. أنظر أيضا : حفناوي بعلي ، المرجع السابق ، ص ص35-36.

دراية بحسن عنايته و تدبيره، أدى إلى سخط بني رمان فاستغلوا تواجد أولاد جرير من لطيف من الأثبج ، حين كانوا مقيمين بقرية باشاش بعد عجزهم عن الظعن و التنقل ، و أغروهم بالانقلاب و الفتك بفضل بن علي و أخذ الإمارة من يده ، فأوقعوا به سنة 683هـ/1284م وتولوا أمر الزاب مما كان يتولاه ، إلى أن استبد بنو رمان ببسكرة والزاب و طردوهم فتفرقوا ببلاد ريغة ، و تحصل الذواودة من ورائه على بلاد الحضنة (نقاوس ومقرة والمسيلة).[1]

ليأتي الدور الآخر لابنه منصور (**منصور بن فضل بن علي**) ، الذي كان على علم بمهلك والده ، وكان بنو رمان مستبدين بالمنطقة فبعثوا إلى السلطان فاعتقل أيام السلطان أبي حفص.

وبعد استقلال الأمير أبي زكريا يحي بن إسحاق الحفصي بإمارة بجاية و قسنطينة و بونة ، انقسمت الدولة الحفصية ، تمكن منصور بن فضل من الهرب إلى بجاية ، بعد أن كاتبه أبو القاسم بن أبي يحي سنة 691هـ/1292م ، فلزم خدمته و ضمن له تحويل الدعوة بالزاب لأمره ، وعقد له أبو زكريا على ولاية الزاب وبسكرة و أمده بالجيش ، ووفد بنو رمان على السلطان ببجاية من أجل مبايعته فردهم على أعقابهم إلى عاملهم و أميرهم منصور " دلالة على أنهم أصبحوا تحت إمرته" و دخل البلد سنة 693هـ/1294م، وقام ببناء قصر وسور حول مدينة بسكرة لتحصينها ، و طرد بني رمان البلد فاستتب الأمر له و أحكم سيطرته وقبضته على إمارة الزاب ، وتولى الجباية و اتسعت مناطق نفوذه حين أضاف إلى الإمارة جبل أوراس و قرى ريغة و بلد واركلي و قرى الحضنة (مقرة ونقاوس و المسيلة) ، فعقد له السلطان على ذلك و دفعه لمزاحمة العرب في الجباية ، فاغتنت إمارة بسكرة و امتلأت خزائنها بالمال.

ولما توفي أبو زكريا تولى مكانه ابنه الأمير أبي البقاء خالد رأس المائة السابعة 699هـ/1299م ، وكان لمنصور علاقة خاصة به ، فعقد له على بلاد التل من أرض سدويكش و عياض فأضافها إلى إمارته.[2]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 587.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 587. أنظر أيضا : حفناوي بعلي ، المرجع السابق ، ص 36. و رضوان شافو ، المرجع السابق ، ص 176.

أما في النواحي الاقتصادية و العمرانية والثقافية لا يسعنا إلا الاعتماد على معلومات بسيطة ، وهذا للارتباط بالمدة البحثية القرن 5هـ و7هـ ، ففي هذه الفترة كانت تحاول تثبيت الحكم في يدها و كانت لا زالت في بداية ظهورها ، إلا أنه بعد هذه الفترة برزت في جميع الميادين خاصة الثقافية والعلمية منها (الحضارية) ، إلا وكيف نفسر تواجد مجموعة من الأعلام بأرضها وفي زيارة أمرائها (يدل على اهتمامهم الواسع بالحركة العلمية و العلماء ، و تشجيعهم من أجل نشر العلم بين الناس) وعلى رأسهم ابن خلدون الذي مكث لأزيد من خمس سنوات في بسكرة [1] و ابن الحاج النميري[2] من خلال رحلتيهما .

فمن **الناحية الثقافية و العلمية** ، لم تشهد المنطقة إلا ظهور شخصية دينية بارزة ماثلة في " الطولقي سعادة الرحماني" (601-705هـ/ 1204-1305م) الذي ظلت ولادته ونشأته و مسقط رأسه مجهولة ، ولم يتم تسليط الضوء على جوانب من حياة الرجل المجاهد، حتى و إن كان ظهوره أوائل القرن الثامن هجري (و هو من قبيلة رياح) ، ارتحل للمغرب من أجل الدراسة فرجع إلى قومه محملا بالفقه الصحيح و الورع الوافر ، فنزل طولقة (غربي بسكرة) فأنذر العشير و بث دعوته السنة السلفية ، التي تلقاها الكثير من أهل الزاب ووادي ريغ و كثير من البلدان فلقبهم بالسنة أو أهل السنة.

وكانت له حادثة مع منصور بني مزني أمير الزاب حين دعاه إلى إعفاء الرعية من الضرائب فهم بقتله ، وفر بنفسه بعد أن حال مريدوه (أتباعه) دون ذلك و بايعوه على إقامة السنة ، إلا أن الأمير منصور جاءه ثائرا مغاضبا مما اضطره للاستنجاد بخالد بن أبي زكريا

---

[1]- عندما انتقل إلى قفصة يترصد الطريق للذهاب إلى المغرب الأقصى ، فوفد إلى قفصة الشيخ الفقيه محمد بن منصور بن مزني أخو يوسف بن مزني صاحب بسكرة ، وارتحل إليها رفقته. و يذكر أنه انتقل إليها للصحبة التي جمعته معه إلى ابنه أحمد بن يوسف و أقام بها مدة طويلة. أنظر : عبد الرحمن ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا ، دار الكتاب اللبناني ، 1979 ، ص ص 68-88.

[2]- الذي كانت زيارته على عهد أبو يعقوب بن مزني ، حين استقبله أحسن استقبال و عرف أهل بسكرة بمكانة الشخص الزائر ... " فأتوا كأحسن ما أتت رعية إمامها و سلمت طبقاتهم كأفضل ما أسمعت سلامها و أظهروا الطاعة و استظهروا المحبة ." أنظر : ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، إعداد محمد شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990، ص 430.

أمير بجاية ، وخشي سعادة الإقامة في طولقة فقام ببناء زاوية[1] بضواحيها انتقل إليها بمريديه. وتوفي قرب مدينة مليلي[2] سنة 705هـ[3] على عهد علي بن منصور .[4]

أما من **الناحية الاقتصادية** و **العمرانية** ، فإنه مما لا شك فيه أن المنطقة عرفت الرخاء الاقتصادي ففي عهد منصور بن فضل بن علي ، حين تولى جباية السلطان ، وكان هو من أمره بذلك و انتهاش لحومها ، ووفر أموال الدولة و أنهى الخراج ، فأثرى و احتجز الأموال ورسخت عروق رياسته ببسكرة ، مما يدل على أن الإمارة اغتنت و امتلأت خزائنها بالمال .

وجباية الضرائب هذه شهدت ثورة دينية حادة من قبل سعادة الرياحي حين دعوته للأمير بإعفاء الرعية من المكوس والمغرم[5] ، و هذا إن دل إنما يدل على الاهتمام بالجانب الاقتصادي خاصة من الناحية المالية . وما يجعلها كذلك الموقع الجغرافي الصحرواي الذي يسمح بمرور القوافل التجارية.

و نفس الأمير يظهر مهتما بالبناء و بالعمران ، فقد ابتنى قصرا و سورا حول مدينة بسكرة لتحصينها " كادهم في بناء القصر لشيعته ، وتحصن العسكر بصوره".[6]

و بالتالي كان لهم نجاح باهر في العمران و تحصيل الثروات التي أغنت إمارة بسكرة

---

[1] – فتأسيس تلك الزاوية بطولقة ، يجعل مؤسسها سعادة الرياحي يختلف و يتميز عن غيره من المرابطين السابقين بالتمكن في الفقه و التحلي بالورع . أنظر : الطاهر بونابي ، حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف و الرباط ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، ص ص 66–67.

[2]– من أشهر مدن بسكرة و تعتبر من البنيان الأول . أنظر : أبو عبيد البكري ، المغرب ... ، ص 52.

[3]– كمال عجالي ، من علماء و أعلام دولة بني مزني ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، ص ص 50–51.

[4]– المرجع نفسه ، ص ص 48–49.

[5]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 587–588.

[6]– المصدر نفسه.

رابعا : علاقتها مع دول المغرب الإسلامي من ق5إلى ق7هـ.

1/- مع الدولة الزيرية:

إن التمعن في تاريخ الدولة الزيرية (361هـ-543هـ/972م-1148م) يبين أنها تمكنت من إقامة علاقات مع بطون بني هلال باعتبارها المتضرر الأول من هذا الزحف ، حين شهدت الدولة دخولهم و هجرتهم على عهد المعز بن باديس سنة 442هـ/1050م إلى غاية سقوطها على عهد الحسن بن علي سنة 543هـ/1148م.

وتظهر العلاقة بين بطون بني هلال وهذه الدول ، بالأخذ بمواطن التوطن و الاستقرار التي تعتبر عاملا مهما في تحديدها. و من خلال الأخذ بالبعد السياسي لبعض الفروع على مر التاريخ بتأسيسها لتلك الإمارات ، وعلاقتها الضمنية بالدولة الزيرية تتجلى في عدم التفريط في الملك الذي منح لها من قبل المستنصر و وزيره اليازوري ، الذي جمع أمراء بني هلال و أطلق أيديهم في أقاليم إفريقية[1]. حين قال لهم : " أعطيتكم المغرب و ما يملكه المعز بن باديس العبد الآبق."[2]

وحسب ما تورده الروايات التاريخية فإن أشهر الفروع التي ميزتها علاقة مع الزيريين ، الأثبج التي تضم بطنين هامين دريد و على رأسها حسن بن سرحان بن وبرة و أخته الجازية الهلالية الذائعة الصيت. وكرفة وعلى رأسهم سلامة بن رزق التابع لبطن بني كثير و شبانة التابعين لبطن بني عطية.[3]

إضافة إلى رياح وزغبة - كما مر بنا هي الفروع الثلاثة الرئيسية لقبيلة بني هلال- فقد ذاع صيتها حين أسند المستنصر ، القيروان و باجة إلى مؤنس بن يحي المرداسي ، وقسنطينة إلى حسن بن سرحان ، وطرابلس و قابس إلى زغبة وهو ما يثبت المحاولة اللاحقة لإقرار عمليات التملك.[4]

---

[1]- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ،ص 113.

[2]- ابن خلدون ، العبر، ج6 ، ص 25

[3]- الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ،ص 235.

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 26.

هذا ما دفع الدولة الزيرية منذ عهد المعز بن باديس ، أن تسعى جاهدة لإدخال العرب في خدمتها لإخضاع بني حماد لأنه كان كارها لإخوانه صنهاجة [1] ، و هو أيضا لم يعر الأمر أهمية بالغة و لم يشعر بالخطر الذي يواجهه و يهدد ملكه.[2]

و تدخل في هذا الصدد قبيلة رياح التي ميزتها علاقة خاصة بالدولة الزيرية ، خاصة منهم الأمير مؤنس بن يحي الصنبري المرداسي – من بطن مرداس– ، الذي حظي بمكانة خاصة ذلك أنه أول من دخل إفريقية من رؤساء العرب ، وكان أن استقدمه المعز لبلاطه وزجه بابنته وشاوره في اتخاذ بني عمه رياح جندا له[3] (زواج سياسي).

إلا أنه كان له رأي آخر فما يجمعه به علاقة برغماتية تملكية – عدم التفريط في ملك العبد الآبق – ، والتي تجسدت في حادثة البساط من خلال قوله : " هكذا اصنعوا ببلاد المغرب املكوها شيئا فشيئا ، حتى لا يبقى عليكم إلا القيروان ، فأتوها فإنكم تملكونها."[4]

وما يؤكد كل هذا باختصاص فرع رياح بمكانة خاصة على عهد الزيريين ، فقد تم استدعاء أمرائها "سادات رياح" من قبل المعز وهم : مطرف بن كسلان ، فرح بن أبي حسان ، زياد بن الدوينة ، فارس بن كثير و فارس بن معروف ، و أكرمهم و أحسن إليهم إلا أن هدفهم واضح عدم التفريط في المقدم لهم فشنوا الغارات على البلاد. [5] وبعد فترة وجيزة بدأت العلاقة تتوطد ، مع استمرار النفوذ العربي في المنطقة و اعتراف المعز بقوة العرب ، ففي سنة 444هـ/1052م رفع الحرب بينه وبين العرب وسمح لهم بدخول القيروان إلا أنهم قتلوا فيها الكثير بعد عدم قبولهم لسماع الشتائم من قبل سكانها المحليين.[6]

وفي سنة 446هـ/1054م كان حصار القيروان ، و أخذ فيها مؤنس بن يحي سلطان العرب مدينة باجة و أطاعه أهلها[7] – وكأنه بدأ يظهر نوع من الحكم الموازي للسلطة

[1]– ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج1 ، ص 289.
[2]– ابن الأثير ، الكامل في في التاريخ ، ج8 ، ص224.
[3]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 289 .
[4]– النويري ، المصدر السابق ، ص 114.
[5]– المصدر نفسه .
[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 293.
[7]– المصدر نفسه ، ص 294.

الفعلية- خاصة بعد أن تمكنوا من دخولها سنة 449هـ/1057م، حين انتقل المعز إلى المهدية.[1]

فانهارت السلطة المركزية ولم تعد قادرة على حماية السكان ، فاستجارت كل جماعة بقبيلة هلالية تحميها من غيرها مقابل إتاوة معلومة ، وشرع بعض الشيوخ يضربون السكة ويفرضون الجبايات إظهارا لاستقلالهم بالسلطة .[2]

ومع مرور الزمن بدأت تتوطد العلاقة مع بعض القبائل التي دخلت في خدمة الدولة الزيرية ، إلا أن فروع أخرى اختارت أن لا تتعاون مع الزيريين و دخلت في حروب ضدها ، ففروع الأثبج و عدي قامت بمساعدة حمو بن مليل البرغواطي صاحب سفاقس بعد خروجه عن الطاعة سنة 456هـ ، وكان أن دخلت رياح و زغبة في خدمة تميم حين تمكن من هزم حمو[3].

ونفس الأمر حدث سنة 457 هـ ، عند خروج الناصر بن علناس رفقة الأثبج و عدي في حربهم ضد تميم بن المعز رفقة رياح و زغبة . ليظهر بأن أهم الفروع الرئيسية انقسمت على نفسها فمنها من تعاونت مع الزيريين إلا أن الفروع الأخرى دخلت في صراع معها.[4]

وفي سنة 466هـ وقيل 467هـ بدأت تتقوى سلطة رياح بعد أن تمكنت من طرد زغبة من إفريقية و باعت القيروان من الناصر بن علناس[5] (و هي بهذا تكون قد ساهمت بدور كبير في صراع الصنهاجيين فيما بينهم " الزيريين والحماديين") ، وخلال سنة 491 هـ خرجت عدي من إفريقية أمامها [6] ، وتغلب الأخضر من بطونهم على مدينة باجة و ملكوها ، التي تصادفت مع وفاة تميم سنة 501هـ.[7]

كما لا يمكن إغفال ما جمع بطن دهمان بن علي من رياح الهلالية بالدولة الزيرية ، بعد أن قام مكي بن كامل بن جامع بإمارة قابس ثم ابنه رافع في أواخر عهد تميم بن المعز[8]،

---

[1]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 300.

[2]- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، ص 94.

[3]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 299.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- المصدر نفسه ، ص300.

[6]- المصدر نفسه ، ص 302.

[7]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 213.

[8]- ابن خلدون ، المصدر نفسه.

والذي جمعته علاقة خاصة مع ابنه يحي بن تميم (501هـ-509هـ) حين قام بمصالحته. ثم ما شهدته المنطقة على عهد علي بن يحي (509هـ-515هـ) حين قام سنة 511هـ بالهجوم على رافع بعد رفضه لما يقوم به ما استدعى رافع للاستنجاد بروجار صاحب صقلية.[1]

وفي عهد الحسن بن علي (515-543هـ/1121-1148م) ظهر الصراع داخل الإمارة و إعلان يوسف لطاعته لصاحب صقلية الذي دفع رشيد بن كامل للاستنجاد به و بالتالي جمعته علاقة خاصة مع الأمير الحسن ، ثم تراجع نفوذهم بعد تملك الموحدين إفريقية وتمكن عبد المؤمن بن علي من القضاء على الإمارة في عهد مدافع بن رشيد .[2]

وبهذا فإن أهم القبائل التي ميزتها علاقة خاصة مع الزيريين هي رياح ، والتي تمكنت في فترة وجيزة أن تتملك أجزاء كبيرة من المنطقة.

2/- مع الدولة الحمادية :

يرى الميلي أن الهلاليين أخذوا بمبدأ الحرية المطلقة فهم لا يعترفون باحترام القوانين الدولية فهي استرقاق و إذلال بالنسبة إليهم ، فظهرت بينهم الصراعات ، ولم تعد الدول قادرة على التحكم فيهم ، وما زادهم قوة ما كان عليه الصنهاجيون من الفرقة وخوفهم الوحيد من أن يتحدوا، لذلك أججوا نار الحقد بينهم ، و حتى الزيريين أنفسهم كانوا يثيرون العداوة بين قبائلهم و فروعهم .[3]

ومن المعلوم أن الدولة الحمادية قامت على أنقاض الزيريين على عهد حماد بن بلكين (405-419هـ/1014-1029م) ، إلا أن دخول بطون بني هلال يتزامن مع عهد ابنه القائد (419-446هـ/1029-1054م) و ظلت بعيدة عنها إلى أن أتى عهد بلكين بن حماد (447-454هـ/1055-1062م) ثم الناصر بن علناس (454-481/1062-1089) بصفة خاصة ، واستمرت إلى غاية عهد يحي بن العزيز (515-547هـ/1121-1152م) مع سقوط الدولة الحمادية.

---

[1]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص346-347.

[2]- التجاني ، رحلة التجاني ، ص 101.

[3]- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 247.

وكانت هي بعيدة عن الأحداث التي مست الزيريين ووقع الظن بأن تلك المصائب التي أصابت بني عمهم ستفيدهم ، لذلك عمد القائد بن حماد للرجوع إلى الدعوة الفاطمية (419هـ-447هـ) عندما أعلن المعز الدعوة لبني العباس.

اعتقادا منه أن الهلاليين سيقفون عند حدود الإمارة ، وهذا ما حدث في تلك الفترة بالفعل ، إلا أنه بوفاته انقسم البيت الحاكم على نفسه ووصل الناصر بن علناس لسدة الحكم سنة 454هـ/1062م[1] ، فلحق الضرر الدولة الحمادية ووقوعه في خطأ جسيم وتهوره في محالفة زناتة مع الأثبج وعدي من بطون بني هلال في حربه ضد تميم بن المعز ومن معه من رياح وزغبة و سليم والمعز بن زيري الزناتي (ودسوا للناصر المكائد في خطة لم يكن على علم بها حين تم الاتفاق بالغدر به بعد مراسلة رياح للهلاليين و المعز بن زيري لأبناء عمه الزناتيين) . وفي موقعة سبيبة[2] سنة 457هـ حملت بنو رياح على الهلاليين ، وانهزموا ووقع الغدر كما تم التخطيط له ، وبالتالي انهزم الناصر بن علناس بعد أن أبى الأخذ بنصيحة شقيقه الأكبر القاسم في عدم الخروج ، وكان جملة القتلى من صنهاجة و زناتة 24 ألف وعادت الغنائم كلها للعرب.[3]

ولم يتوقفوا عند قتل القاسم والاكتفاء بهذا القدر بل طاردت رياح الناصر إلى قسنطينة ، إلى أن وصلوا القلعة فخربوها و ما حولها من الأمصار كطبنة والمسيلة ولم تسلم حتى القرى و الضياع و المدن من ذلك ، و هجروا أمراء و ملوك إفريقية و المغرب وولاتهم إلى الأمصار و أجبروهم على دفع الضرائب كحق للتصرف بأوطانهم ، فكان أولهم الناصر بن علناس بانتقاله من القلعة و بنائه بالساحل مدينة بجاية.[4] وكيفما حدث فإن الأضرار الهلالية التي لحقت بالمغرب الأدنى لم تبلغ مبلغها بالجزائر (المغرب الأوسط) لأنها لم تكن مقصودة من الحملة أصلا.[5]

---

[1]- عبد الله العروي ، المرجع السابق ، ص 94.

[2] - ناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان.

[3]- النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص ص 122-123. أنظر أيضا : ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 300. و ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8،ص ص 372-373. و مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 248-249.

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 27. و عن بناء مدينة بجاية أنظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ص 373-374. و النويري ، المصدر السابق، ص ص 124-126.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 370.

وحسب روجي إدريس فإن تلك الهزيمة أقرت سيطرة بني هلال على كامل المغرب الأدنى و الأوسط ، فسيطر بنو رياح على إفريقية و الأثبج على المغرب الأوسط .[1]

حتى أن الدولة الحمادية أقرت أيضا بتفوق الأثبج على باقي القبائل الأخرى إلى آخر أيامها ، و إلى أن فقدت الأثبج مكانتها و اندثرت بذهاب دولتهم.[2]

وفي عهد المنصور (481-498هـ/10891105م) الذي لم تمض على ولايته ست (06) سنوات ، حتى ثار عامله بقسنطينة أبو يكنى بن محسن بن القائد بن حماد ضده ، إلا أنه انكسر و انتقل متخفيا بقلعة في جبل أوراس ، ونزل مكانه صليصل بن الأحمر من سادات الأثبج ، الذي صالحه المنصور على المنطقة مقابل مال يبذله و يقدمه ، ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن تملك عبد المؤمن البلاد.[3]

ولما خرج المنصور إلى تلمسان في حربه ضد المرابطين في شوال 496هـ/ جويلية 1103م ، لم تأب إلا أن تخرج معه الأثبج رفقة زغبة و رياح و المعقل[4] ، و هذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة التي تجمع الأثبج من بطون بني هلال بالدولة الحمادية.

غير أن الأحوال ما لبثت أن تغيرت في عهد العزيز بن يحي (498-515هـ/1105-1121م) بعدما أغارت بطون بني هلال على القلعة الحمادية سنة 512هـ/1118م فأوقعوا بسكانها و اكتسحوا المدينة ، فأرسل إليهم ابنه يحي و معه القائد بن حمدون ، وتمكنوا من إخضاعهم و عادوا إلى بجاية .[5]

وبالتالي يظهر بشكل جلي أن الأثبج كانت تجمعهم رابطة مع الحماديين دون الفروع الأخرى ، بإقطاعهم الكثير من أرض الزاب و الحضنة و ضواحي القلعة ، ومعهم زغبة لاستخدامهما في مواجهة زناتة .

إلا أنه رغم كل هذا الاختصاص كانت بين الأثابج حروب استمرت إلى أن افترق حالهم ، وظهرت دولة الموحدين وهم على تلك الحال.

[1]- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص 309.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 27-28.

[3]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 249. و عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص 374-375.

[4]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 249.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص 378.

وبسقوط الدولة الحمادية على عهد يحي بن العزيز ضعفت الأثبج بسبب تلك الفتن ، فأزال عبد المؤمن ما كان لهم من الامتيازات ، ونقل بعضهم إلى الأندلس ، و نقل أبناؤه بعض بطونهم للمغرب الأقصى ، إلى أن تغلبت رياح على مواطنهم.[1]

3/- مع المرابطين:

تاريخ هذه الدولة سجلته الكتابات التاريخية في مدة زمنية تتوافق مع دخول بني هلال ، والمتراوح بين 448 - 541هـ/1056-1146م . ذلك أن الدارس للتاريخ منذ النصف الثاني من القرن 5هـ/11م يلاحظ التشابه بين عرب بني هلال و بين المرابطين ، نظرا للتزامن التاريخي في دخول المنطقة و هم من الرحل ذوي البأس والمراس القادمين من أطراف الصحراء الذين كان لهم أثر في تاريخ الشمال الإفريقي و الأندلس لتلك الحقبة ، إلا أن هناك اختلافا بينهما فالمرابطون تمكنوا من إقامة زعامتين ، الأولى روحية ظهرت على يد عبد الله بن ياسين و الثانية سياسية موحدة تتجسد في الأمراء المرابطين و على رأسهم يوسف بن تاشفين (ت 500هـ/ 1106م) ، و تمكنوا بفضلها من توحيد الصف ، عكس الهلاليين الذين افتقروا لمثل هذه الوحدة ، فتفرقت صفوفهم مما جعلهم عرضة للاستغلال من قبل الأمراء و الدول التي ظهرت بالمغرب الإسلامي و من ضمنها دولة المرابطين.[2]

وبعد تمكن الهلاليين من القضاء على ملك بني زيري بإفريقية ثم تهديد الحماديين ، فتطلعوا للمغرب الأوسط و الأقصى ، و لكن قيام هذه الدولة بحاميتها القوية المتواجدة بتلمسان جنب المغرب الأوسط والأقصى لفترة وجيزة نفس مصير إفريقية و القبائل العربية.[3]

وبحكم أن تلك القبائل لم تكن قد وصلت إلى بلاد المغرب الأقصى ، لاهتمامها بنشاطها الحربي في إفريقية ، ومن جانب آخر فقيام دولة المرابطين حفظ المغرب الأقصى من تطلعهم لغزو المنطقة ، و حتى تلك الحامية القوية التي أقاموها بتلمسان حصنت المنطقة وقضت على آمالهم في مواصلة العملية و الاتجاه نحو الغرب .[4]

1- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 28.

2- أمين توفيق الطيبي ، بنو هلال و دورهم في الجهاد في إفريقيا و الأندلس إلى نهاية القرن 6هـ/12م (دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس) ، الدار العربية للكتاب ، 1997 ، ج2 ، ص 80.

3- حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 260.

4- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1956 ، ص ص 328-329.

إلا أن هذا لا ينفي أن يكون لعرب بني هلال علاقة جمعتهم مع المرابطين ، فهناك بعض المصادر أكدت على ذلك رغم ندرة معلوماتها .

فها هو ابن القطان يذكر إسهام عرب بني هلال في عملية الجهاد التي كان يقوم بها المرابطون في الأندلس ، ففي وقعة إقليش[1] سنة 501هـ/1107م والتي انتصر فيها المرابطون على النصارى ، شهدت استشهاد البعض من عرب إفريقية بالمعركة : " واستشهد في هذه الوقيعة الإمام الجزولي ، وكان رجل صدق ، وجماعة من الأعيان و العربان رحمهم الله تعالى."[2] و تؤكد الرواية مشاركة العرب في عملية الجهاد ، وربما يكونون من العرب المقيمين بالمغرب الأقصى ، غير أن الراجح أنهم من عرب بني هلال المتواجدين بإفريقية ومن المتطوعين الذين توجهوا للأندلس للمشاركة في الجهاد.[3]

وما يؤكد عملية تطوع العرب في جيش المرابطين ما أورده ابن أبي زرع في اشتراك المتطوعة العرب في الجيش سنة 513هـ/1119م : " و في سنة 513هـ تغلب العدو ألفونسو الأول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس و استولى على أكثرها ... فاتصلت هذه الأخبار بأمير المسلمين علي بن يوسف (ت 537هـ/1142م) ، فجاز إلى الأندلس برسم الجهاد و إصلاح أحوال بلادها وضبط ثغورها ، وهو جوازه الثاني فجاز معه خلق كثير من المرابطين و المتطوعة من العرب و زناتة و سائر قبائل البربر ."[4]

إلا أنه لا يمكن الجزم بالبطون الهلالية التي اختصت بإقامة علاقة مع دولة المرابطين ، فجل المصادر اكتفت بذكر كلمة العرب و على أنهم متطوعة ما يعطي تصورا على أنهم لم يضمنوا تواجدهم بعد ببلاد المغرب الأقصى .

---

[1]- حصن إقليش أو أقليج الذي دارت فيه هذه المعركة بين المرابطين والنصارى ، وهي الموقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة. ينظر: ابن القطان المراكشي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تقديم وتحقيق محمود علي مكي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1990 ، ص 63.

[2]- ابن القطان ، المصدر نفسه ، ص ص 63-66.

[3]- أمين توفيق الطيبي ، المرجع السابق ، ص 81.

[4]- علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، 1972 ، ص ص 163-164.

4/- مع الموحدين :

يظهر من خلال استقراء تاريخ الدول بالمغرب الإسلامي أن دولة الموحدين قامت على أنقاض دولة المرابطين في مدة تجاوزت قرنا من الزمن (541هـ-667هـ/ 1147م-1269م) كما أنها كانت من أبرز الدول التي جمعتها علاقات مع الهلاليين ، خاصة أنها تزامنت مع مرحلة التوسع السلمي لهم وهذا عقب نجاحها في إخضاعهم لسيطرتها، و على غيرها من الدول فإن جل بطون بني هلال جمعتها علاقة مع دولة الموحدين و هذا بحكم سيطرتها على كل أقاليم المغرب الإسلامي.

وظهروا على مسرح الأحداث في عهدهم إما صراعا ضدهم أو جنودا لهم في معاركهم ، وما تخلل ذلك من محاولات نقلهم إلى المغرب الأقصى إما بحد السيف أو بالترغيب والعطايا[1] ، بالرغم من أنها تمكنت من إخضاعها و استغلتها في خدمتها. وذلك وفق خطة اتبعها الأمراء الموحدون بعودتهم للنسب العربي ابتداء بعبد المؤمن بن علي (ت 558هـ/1163م) فكان يقول لمن يذكر عنده اسم قبيلة كومية البربرية التي ينتمي إليها وهي من بطون زناتة " لست منهم و إنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و لكومية علينا حق الولادة بينهم و المنشأ فيهم ، وهم الأخوال."[2] وحرص مؤرخو و شعراء هذا العصر على إثبات الأصل العربي فأصبح يكنى عبد المؤمن بالقيسي بدلا من الكومي ، مستغلين هذا النسب في استمالة القبائل العربية المتواجدة بإفريقية للاشتراك معهم في عملية الجهاد ضد المسيحيين ، حتى أن الشعراء يدعونهم بأبناء العم ويذكرونهم بصلة النسب ، وكان لهذه الدعاية أثر كبير في هجرة القبائل العربية إلى المغرب الأقصى.[3]

وارتكزت سياسة الموحدين على دعامتين :

الأولى : التخلص من ثورتهم بتهجيرهم من إفريقية إلى المغرب الأقصى، و الثانية : استخدامهم في عمليات الجهاد بالأندلس و ذلك ما أوصى به عبد المؤمن بنيه من بعده.[4]

---

[1]- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) ، ط1 ، مكتبة الخنانجي ، مصر ، 1980 ، ص 309.

[2]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 265.

[3]- مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في المغرب ، ص 70.

[4]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 310.

و أول من جمعتهم علاقة بالموحدين هم الثعالبة من المعقل – عرب الجزائر – بعد أن مر بهم المهدي ابن تومرت (ت 524هـ/1130م) في طريق عودته إلى المغرب ، فقدموا له حمارا يركبه بعد أن كان ساعيا على رجليه و قدمه بدوره لعبد المؤمن بن علي ، في إشارة على أنه من سيتولى القيام بأمر الدولة[1] كما يدل إهداء الثعالبة لذلك الحمار على مناصرة الدولة الموحدية.

و بعد تحرك عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/ 1130-1163م) نحو المغرب الأوسط سنة 541هـ/1146م ، كان أول من وفد عليه من العرب الأمير أبو الجليل بن شاكر من الأثبج و حباس بن مشيغر من جشم للمبايعة فتلقاهما و عقد لهما على رئاسة قومهما.[2] وواصل طريقه لفتح بجاية حتى تم له ذلك.[3]

فخاف العرب على حريتهم فتحالفوا مع صنهاجة إفريقية[4] مستغلين في ذلك الصراع الذي حدث بين القادة الموحدين يصلاسن ابن المعز و عبد الله بن وانودين صهر عبد المؤمن ، وبهروب الأول و انسحابه تركه منفردا في قلة من الجند فهاجمه العرب و تمكنوا من الأخذ بيده (قتلوه).[5]

فبلغ الأمر الخليفة عبد المؤمن استطالة العرب على إفريقية بالفساد و أنهم حاصروا مدينة القيروان ، و أن موسى بن يحي الرياحي المرداسي دخل مدينة باجة وملكها. [6]وهذا ما أثار غضبه ووجه لهم كافة الموحدين ، ولم يبق إلا مع الخاصة والسوقة [7] وكان الجيش بقيادة ابنه عبد الله [8] الذي بلغ تعداده ثلاثة آلاف فارس و معهم من أمراء العرب ديفل بن ميمون[9]. وهذا يدل على بداية دخول بطون بني هلال في خدمتهم و مناصرتهم لسلطانهم.

---

[1]– السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص90.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 27.

[3]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 322.

[4]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 72.

[5]– أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق ، أخبار المهدي ابن تومرت ، دار المنصور ، الرباط ، 1971 ، ص 74.

[6]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 315.

[7]– البيذق ، المصدر السابق ، ص 75.

[8]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 315.

[9]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 323.

ولما بلغ الخبر بطون بني هلال بإفريقية وهم الأثبج و زغبة و رياح و قرة عسكروا بظاهر باجة و تحالفوا لمحاربة عبد المؤمن فجمعوا نساءهم و أموالهم [1] و أراد روجار صاحب صقلية أن يمدهم بخمسة آلاف فارس فرفضوا ذلك آخذين بفكرة لا يستعان بكافر على مسلم.[2]

والتقى العرب و الموحدون قرب سطيف سنة 547هـ/ 1152م[3] فانهزم العرب بعد قتال استمر أربعة أيام و أسر عبد المؤمن الكثير منهم فوزع سبيهم في فاس ومكناس و سلا[4] فاحتفظ بالأولاد و النساء وعين من يحميهم حتى وصلوا إلى مراكش فأنزلهم المساكن الفسيحة و أجرى عليهم النفقات و أمر ابنه محمد أن يراسل أمراء العرب ليخبرهم بأن أولادهم و نساءهم في الحفظ والصيانة [5] فوفد عليه سلاطينهم ديفل بن ميمون و حباس بن الرومية و ابن الزحامس و غيرهم ، فضمن ولاءهم و صرفهم إلى بلادهم.[6]

ولما كانت سنة 553هـ/1138م[7] خرج لمحاربة بني خراسان و خلفائهم بني علي برئاسة محرز بن زياد من رياح الهلالية ، فتمكن من دخول مدينة تونس بسهولة و حاصر المهدية ، و أرسل ابنه للقضاء على الإمارات العربية المستقلة على الصنهاجيين فاستولى على قابس من بني كامل ، وقفصة من بني الورد ، وطبرق من مدافع بن علال و غيرها.[8] فافتتح جميع بلاد إفريقية و دخل في طاعته سكان المنطقة من برقة حتى تلمسان سنة 554هـ/1139م.[9]

و بعودة عبد المؤمن سنة 555هـ/ 1140م من إفريقية إلى المغرب نقل معه العرب وأحلفهم على مصحف عثمان بن عفان على السمع و الطاعة والسير معه للجهاد بالأندلس

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 315-316.

[2]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 322-323. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 72.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 27.

[4] - البيذق ، المصدر السابق ، ص ص 75-76. يحدد تاريخها سنة 546هـ.

[5]- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص ص 390-391. يذكر أن المعركة كانت في صفر سنة 548هـ.

[6]- البيذق ، المصدر السابق ، ص 76. أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 316. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 73.

[7]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب .. ، ص 198.

[8]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 317-318. و يحدد التاريخ على أنه سنة 555هـ.

[9]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 198.

، لكنهم خذلوه بالقرب من وهران و طالبوه بالعودة إلى حللهم فقرر نقل ألف من كل قبيلة بعيالهم إلى المغرب (وهم عرب جشم).[1]

وفي رواية أخرى أنه نقل معه في أتباعه من العرب من رياح و بني جشم و بني عدي قبائلهم ما يضيق بهم الفضاء على عدد الذباب و عدد الحصى [2] و هذا بهدف تقريبهم من العاصمة و إبعادهم عن إفريقية مستغلا شجاعتهم و حبهم للقتال للجهاد معه بالأندلس.[3]

وهذا ما يؤكده المراكشي فجعلهم بنواحي قرطبة ، والبعض الآخر في نواحي إشبيلية مما يلي مدينة شريش ، وهم على الحال تلك حتى سنة 621 هـ،وزاد فيهم أبو يعقوب و أبو يوسف يعقوب المنصور، فتكاثروا هناك فكان من زغبة و رياح وجشم حوالي خمسة آلاف فارس.[4]

و اعتبرت بهذا من أهم العناصر المكونة لجيش الموحدين في جهادهم ضد النصارى بالأندلس[5](وهذا ما سنبرزه في الفصل الأخير من الدراسة و اعتبارها كأهم نتيجة حضارية).

و كما مر بنا فإنه قد استمرت الأوضاع على حالها في عهد أبو يعقوب يوسف (558-580هـ/ 1163-1184م) الذي وفد عليه بمراكش أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحي سنة 577هـ في جيش عظيم من رياح برسم الخدمة .[6] (ما أثبت صحة ما ذكرناه مسبقا حين عدت عنصرا مهما في الجهاد بالأندلس ، وحتى نتأكد من أن الدولة الموحدية ربطتها علاقة مع كل بطون بني هلال و استغلتها في خدمتها) .

---

[1]- البيذق ، المصدر السابق ، ص 199.

[2]- عبد الملك بن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987، ص 90.

[3]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 74. مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 324.

[4]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 295 أنظر أيضا : حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996 ، ج2 ، ص 105..

[5]- عز الدين عمر أحمد موسى ، تنظيمات الموحدين و نظمهم في المغرب ، بيروت ، 1969 ، ص ص 256-259. أنظر أيضا : أمين توفيق طيبي ، بنو هلال و دورهم في الجهاد في إفريقيا و الأندلس ، ص ص 81-86. و مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 86-100.

[6]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ...، ص 212.

ثم عهد أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/ 1184-1199م) وكان أول من بايعه مشيخة زغبة من تلمسان ومن معهم بقصر مصمودة[1]،كما حضر سنة 588هـ/1192 عدد من عرب رياح للانضمام إلى جنود الخليفة المنصور الموحدي.[2]

ونلاحظ هنا الدور الكبير الذي ظهرت عليه رياح بسبب كثرتها و تعدد بطونها في دعم الموحدين ، وهذا ما أثبتته إحدى الرسائل الموحدية المؤرخة في منتصف شوال سنة 576هـ ، من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن ظاهر بن محشرة "... إلى الطلبة والموحدين و الشيوخ ... ، أن أشياخ العرب و أعيانهم من جميع قبائل رياح جمعوا و حرضوا على أن يكون لهم في نصر هذا الدين ما كان لسلفهم القديم من الآثار الكرام ، وعرفوا أن الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس ... ، ونفروا إليه بجملتهم من غير استثناء ... ولم يبق من جموع رياح كلها ، على اختلاف قبائلها و تعدد عشائرها و اتساع أفخاذها و عمائرها ، إلا من حضر ذلك من أعيانهم ..."[3]

إلا أن علاقة بطون بني هلال بالدولة ظلت مرتبطة بالأوضاع السائدة وما تمليه الظروف ، فلما كانت ثورة ابن غانية [4] سنة 583هـ/1187م انضمت إليها جشم و رياح والأثبج ، أما زغبة دخلت في خدمة الموحدين بقيادة المنصور الموحدي ، فردوا ابن غانية عن المغرب الأوسط ، فأقطعوا بني يزيد منهم أرض حمزة و استظهروا بهم على صنهاجة وزواوة من أجل الجباية بتلك النواحي .[5]

وفي ظل كل هذا تظهر أن علاقات بطون بني هلال تتباين من فترة لأخرى مرة في صراع مع الموحدين و مرة تدخل في خدمتهم ، و أشهرها رياح و جشم ، حتى اعتبر أبو

---

[1]- السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص 142.

[2]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 313.

[3]- مجموع رسائل موحدية ، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، اعتنى بإصدارها إ. لافي بروفانصال ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، 1941 ، الرسالة السادسة و العشرون ، ص ص 149-157.

[4]- هي في الأصل من قبيلة مسوفة الصنهاجية و من كبار المرابطين في الأندلس ، وعرفوا بذلك نسبة لأمهم غانية وكانت معروفة لدى قادتهم و كثيرا ما ينتسبون لأمهاتهم كابن عائشة أو ابن الصحراوية وغيرها ، و كانوا يحكمون ولاية دانية بالأندلس حتى امتلكوا جزر البليار ، واستقل بها محمد ابن غانية و أولاده من بعده معلنا دعوته لبني العباس ، ووفد عليه بقايا المرابطين بعد انهيار دولتهم سنة 541هـ. أنظر : عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ص 129-187. أنظر أيضا : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 28.

[5]- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 325. وابن خلدون ، المصدر السابق.

ضيف[1] أن ثورات العرب كان لها أثر في سقوط الدولة الموحدية – سيتم التركيز عليها في الفصل الأخير من الدراسة – ففي عهد الناصر لدين الله (595–610هـ/1199–1213م) الذي خلف والده ، انتكست صورة التحالف العربي الموحدي و أصبح صوريا بما يظهر خروجهم على طاعة الخليفة بمراكش ، وما يحفظ لهم استقلالهم الذاتي.[2]

كما أنهم شقوا عصا الطاعة وخرجوا على أمر المنصور سنة 584هـ/1188م خاصة جشم ورياح و بعض بطون الأثبج ، فقام بنفيهم إلى المغرب الأقصى فأنزل جشم بلاد تامسنا و رياح بلاد الهبط فيما بين القصر الكبير و ساحل المتوسط مما يلي سواحل طنجة وسلا ، ونزلت جشم رفقة العاصم ومقدم من الأثبج الذين اندرجوا ضمنها بتامسنا البسيط الأفيح ما بين سلا و مراكش أواسط بلاد المغرب الأقصى و أبعدهم عن الثنايا المفضية إلى الصحاري و القفار.[3] و لما كانت سنة 590هـ/1194م فر من المغرب أمير رياح مسعود ابن سلطان بن زمام الورديغي من بطن الذواودة الملقب بالبلط لشدته وصلابته.[4] حتى لحق إفريقية فاجتمع إليه بنو أخيه عساكر و انضم إلى ابن غانية ، و بعد وفاته خلفه ابنه محمد الذي كان بنفس مكانة والده وواصل على نهجه عندما انضم إلى ابن غانية في صراعه مع الموحدين ، فقتل ابنه عبد الله و ابن عمه حركات بن أبي الشيخ بن عساكر و أمير من قرة سنة 606هـ في إحدى المعارك ، و نجح في إدخال الضحاك و لطيف الظواعن من الأثبج في خدمته ، وصار يتراوح في تلك المنطقة ما بين القيروان و الجريد إلى الزاب و الحضنة ، حتى مات يحي بن غانية سنة 631هـ/ 1233م، و بدأ نفوذ الحفصيين يظهر في المنطقة[5] وكان بمثابة الإعلان عن نهاية تحرك هذه القبائل البدوية عامة.[6]

وبهذا نرى بأن رياح كانت من أشهر بطون بني هلال في تلك الفترة بحكم استقرارها بكافة المناطق خاصة بعدما نقلهم المنصور الموحدي إلى المغرب الأقصى فكان فيهم ملك العرب

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 100.

[2]– المرجع نفسه ، ص 84.

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص ص 28 و 37. أنظر أيضا : حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، ص 314.

[4]– المصدر نفسه ، ص ص 43–44.

[5]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 325–326.

[6]– محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ،ص 106.

فعلا[1] . وتعددت علاقاتها مع الموحدين الذين أحكموا سيطرتهم على كافة بلاد المغرب الإسلامي التي عملت بإتباع سياسة محكمة في إخضاع بطون بني هلال و توجيههم لخدمتها ، لأن كل بطون بني هلال سواء الفروع الرئيسية أو حتى الملحقة استقرت بالمغرب الأقصى أين كانت تتواجد عاصمة الدولة الموحدية ، ليظهر فعليا أن هذه السياسة أتت أكلها بداية عصر الموحدين لكنها ما لبثت أن فشلت خاصة مع ضعف الخلفاء الموحدين بداية بالناصر لدين الله ، و ظهور بعض الثورات و التمردات من قبل عرب بني هلال .

[1]– القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 267.

5/- مع الحفصيين و بني عبد الواد وبني مرين:

أ/- مع الحفصيين :

تعتبر من أبرز الدول التي تأسست بالمغرب الأدنى (إفريقية) وعاشت ما يفوق القرنين من الزمن (625هـ/893هـ) ، لكن ما يهمنا في كل هذه الفترة الحكام السبعة الأوائل من عهد أبي زكريا يحي الأول الذي حكم سنة (627هـ/1129م) إلى عهد أبي البقاء خالد الناصر الذي تقلد الحكم سنة (699هـ/1299م) أي خلال القرن 7هـ/13م .حتى و إن كانت الدولة الحفصية جزء من الدولة الموحدية في بداية عهدها ، ويرجع هذا لتاريخ 603هـ/1206م بعد تولية الخليفة الموحدي محمد الناصر أمر إفريقية إلى وزيره وصهره أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص [1] وهو إيذان باستقلال إفريقية عن الموحدين ، وكان أن حدث الانفصال الرسمي على يد أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص سنة 626 هـ – 627هـ- [2]

والمثير للانتباه أن التوزيع الجغرافي يعد عاملا مهما في تحديد العلاقة بين بطون بني هلال و الدولة الحفصية ، و من أشهرها على الإطلاق الأثبج و رياح . كما ارتبطت بالبعد السياسي مثل إمارة بني مزني التي سبق الحديث عنها (ظهرت على عهد الدولة الحفصية)[3]

وحتى ندرس العلاقة بشكل واضح فإنه بعد النقل القسري لبطون بني هلال جشم و مقدم والعاصم و قرة على عهد المنصور الموحدي إلى المغرب الأقصى ، وظهرت على مسرح الأحداث رياح خاصة الزواودة منهم باستيلائهم على ضواحي قسنطينة – أي حلت محل تلك البطون– و اضطر الأثبج للاستقرار بقرى الزاب.[4]

وحتى تتمكن الدولة الحفصية من دحر نفوذ رياح المتزايد بقوة الزواودة عمدت إلى إتباع طريقة محمكة حين شجع أبو زكرياء توسع الكعوب ومرداس من بني سليم بإقامتهم في

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماخور ، ط2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص ص 17–18. أنظر أيضا : أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن الشماع ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق و تقديم الطاهر بن محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، 1984 ، ص ص 49–50.

[2]- أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن القنفد ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي ، دار الكتاب التونسية ، تونس ، 1968 ، ص ص 104–105.

[3]- المبحث السابق : أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب – إمارة بني مزني –

[4]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 31.

الجنوب الشرقي[1] ، وصاروا حلفاء لهم ضد رياح وتمكنوا من طردهم من شرق إفريقية إلى غربها.[2]

كما اصطنع الحفصيون بطون كرفة من الأثبج و أقطعوهم بادس الزاب الشرقي و جباية أوراس الشرقي ليوقعوا رياح بين نارين[3]، لكن أثناء فترة ضعف الدولة الحفصية مع نهاية القرن 7هـ/13م تغلبت رياح على كرفة و ملكت مجالاتها و دحرتها إلى جبل أوراس.[4]

إلا أنه مع وفاة يحي ابن غانية سنة 631هـ استغلظ نفوذ الحفصيين و انقطع ملكهم[5]، وهذا الملك بعد أن عجزت الضحاك و لطيف من الأثبج و العمور الملحقة بها عن الظعن وانضوت تحت لواء رياح ، و أثروا و كثروا و اعتزوا على الدولة الحفصية لبعدهم عن عاصمتها.[6]

ويحدثنا ابن خلدون على أن رياح انقسمت على نفسها في عهد الحفصيين (البعض دخل في طاعتها و الآخر تحيز عنها) ، فلما هلك محمد بن مسعود تولى الرئاسة من بعده ابنه موسى و كان ذائع الصيت و ذا اعتزاز على الدولة التي شهدت هي الأخرى وفاة يحي بن عبد الواحد و مبايعة ابنه المستنصر سنة 647هـ/1249م[7] ، الذي خرج عليه أخوه إبراهيم و لحق بالزواودة و بايعوه بقسنطينة و اتفقوا على تقديمه. ونهض إليه المستنصر سنة 666هـ / 1267م فانقسموا على أنفسهم و تحيز إليه بنو عساكر بن سلطان ، ورفضوا طاعة إبراهيم و انتقل إلى الأندلس بجوار الشيخ ابن الأحمر.[8]

و بعد مهلك موسى بن محمد تولى من بعده ابنه شبل ، الذي استطال بأمر الدولة وكثر فساده ، فخرج عليه المستنصر إليه بعساكره من الموحدين و من بني سليم و أولاد عساكر إخوانهم وفي مقدمته الشيخ أبو هلال عياد بن محمد الهنتاني ، فاستقدم مجموعة من

---

[1]- روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، ج1 ، ص59.

[2]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 120.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 31 و ص 45. أنظر : مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 356.

[4]- محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ،ص 99.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 31.

[6]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 357.

[7]- بويع في 03 رجب 647هـ و عمره 22 سنة بحكم أنه ولد سنة 625هـ ، وسمي بالأمير و لم يتسم بالأمير إلا في أواخر سنة 650هـ. أنظر : ابن القنفد ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص 117.

[8]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 45. و ابن القنفد ، المصدر السابق ، ص 118. الذي يحدد التاريخ بسنة 651هـ .

رؤسائهم شبل بن موسى و أخوه يحي و سباع بن يحي وغيرهم ومعهم شيخ أولاد نابت من كرفة ، و بعث بهم إلى المستنصر الذي قتلهم و صلب أبدانهم وضرب على أعناقهم حين قدومهم ، فانسكروا أمامه وفروا إلى أن تبعهم إلى آخر الزاب.[1]

وعادت رياح فملكت ورقلة ووادي ريغ و تقدموا إلى الزاب ، فهزموا عامله عثمان بن محمد بن عتو ، وملكوا أوراس أيضا وقتلوا موسى بن ماضي أيضا و أخذوا الحضنة ، ووافق السلطان أبو إسحاق (678هـ-683هـ / 1279م-1284م)على ما تغلبوا عليه وأقطعهم إياها.[2]و في أواخر القرن 7 هـ / 13م ظهرت الأثبج على مسرح الأحداث من خلال أهم بطونها لطيف الذين تمكنوا من تأسيس إمارة بني مزني بمنطقة بسكرة و الزاب ، و جمعتهم علاقات متعددة مع سلاطين الدولة الحفصية لذلك العهد أبو حفص عمر بن أبي زكرياء (683 هـ- 1284م) إلى غاية عهد أبي البقاء خالد الناصر الذي حكم سنة 699هـ / 1299م .[3] وهنا يظهر أن الأثبج و رياح ظلت من أهم القبائل الهلالية التي ربطتها علاقات عديدة بدول المغرب الإسلامي.

و شهدت الأحداث التاريخية ببلاد المغرب الإسلامي و في عهد الدولة الحفصية بالضبط مجموعة من الاعتداءات المسيحية التي تعرضت لها عاصمتها تونس ، و كان لبطون بني هلال دور في مجابهة تلك الاعتداءات (فبعد مشاركتها في الجهاد بالأندلس على عهد المرابطين و الموحدين ، نلحظ الدور الحضاري لهذه البطون في رد الاعتداءات المسيحية والذود في المدافعة عن الدين الإسلامي). وتتكون تلك الصورة أن بني هلال كان تأثيرهم ذا وجهين سلبي و إيجابي.

و هذا التدخل و المشاركة في صد العدوان الصليبي يرجع بشكل كبير لاستقرار تلك القبائل العربية بإفريقية ، و تصدت بالمقاومة لحملة لويس التاسع التي وجهت بهدف الانتقام لهزيمة الفرنسيس بالمنصورة سنة 648هـ/ 1250م إلا أنها تحولت إلى تونس و التي تعددت أسبابها ، وحدثت في عهد المستنصر بالله الذي قيل بأنه تناول مسيرة لويس التاسع

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 45-46. أنظر أيضا : ابن القنفد ، المصدر السابق ، ص 129.

[2]- مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 359.

[3]- أنظر : المبحث السابق : أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب الإسلامي (إمارة بني مزني بالزاب).

بالاستهزاء مما اضطر الأخير إلى تحويل طريق الحملة من مصر إلى تونس [1] والتي دخلها النصارى بسبعة من الملوك وكثرة العدد و الجيش سنة 668هـ/1270م[2] ، فاشترك العرب الهلالية مع المسلمين و أرسلوا رجالهم كفدائيين ، حتى تمكن المستنصر من حشد قواته البالغ عددها 40 ألف من الرماة فقط ، ومما لا شك فيه أن جلهم من القبائل الهلالية بإفريقية لشهرتهم في استخدام ذلك السلاح.[3]وهذا ما يلخصه ابن خلدون ، في أن المسلمين سلكوا طريقا في البحيرة و أتبعهم العرب فأصابوا غرة في العدة ، وحصلوا على الغنائم و كلفوا بحراسة البحيرة و أرسلوا فيها الشواني بالرماة و منعوا طريقهم ، و بعث السلطان في تلك الأثناء في طلب النجدة فأتاه المدد من كل ناحية ، ومنهم أبو هلال صاحب بجاية ، وأتت جموع العرب و سدويكش و غيرها ... إلى أن توفي طاغيتهم الفرنسي و تمكنوا من هزيمتهم ، وبعث المشيخة لعقد الصلح سنة 699هـ .[4] ومنه فقد أسهمت بطون بني هلال بدور كبير في رد الاعتداء المسيحي رغم عدم ذكرها بالتفصيل و الاكتفاء بكلمة (عرب إفريقية) ، ومدى الثقة الممنوحة لهم من قبل الدولة الحفصية ، و إن كانت بعض البطون كما مر معنا قد دخلت في صراع معها.

ب/- مع الدولة الزيانية (بني عبد الواد) [5]:

تأسست هذه الدولة بالمغرب الأوسط و دامت أكثر من ثلاثة قرون (633-962هـ/ 1236- 1554م) ، لكن حتى تبقى الدراسة في سياقها التاريخي لتحديد علاقة بطون بني هلال معها ، هذا لا يقتصر إلا على فترة حكم الأميرين أبو يحي يغمراسن بن زيان ، الذي تمكن من إقامة الدولة سنة 633هـ/1236 ، ليأتي الدور على أبي سعيد عثمان بن يغمراسن ، الذي تقلد الحكم سنة 681هـ/ 1283م.

---

[1]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 122-124.

[2]- ابن القنفد ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص 131-132. أنظر أيضا : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 427.

[3]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 124.

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 428-429. وعن تفاصيل الاعتداء أنظر : الزركشي ، المصدر السابق ، ص ص 69-72.

[5]- وهي تنتمي إلى قبائل زناتة التي كانت ترتاد جبال و صحراء المغرب الأوسط ، ولما تمكن الموحدين من السيطرة على المنطقة كانوا عونا لهم في تحقيق ذلك ، فنالوا ثقتهم و حصلوا منهم على إقطاعات كثيرة بأحواز تلمسان فاستقروا فيها منذ ذلك الزمن.

وكانت تمتد من البحر المتوسط شمالا إلى صحراء المغرب الأوسط جنوبا ، ومن جبال سعيدة ووادي مينة شرقا إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا ، غير أنها كانت تتوسع و تضيق بحكم جوارها للحفصيين من الشرق و المرينيين من الغرب . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 72.

و نؤكد هنا أيضا على دور العامل الجغرافي في تحديد العلاقة ، لأنه عند دراسة مناطق توزيع القبائل الهلالية و فروعها تعرفنا على أن زغبة والمعقل (الثعالبة وذوي عبيد الله) اختصت بالمغرب الأوسط. وبالتالي كان هاذان البطنان من أهم البطون التي شهدت علاقات متعددة مع دولة بني عبد الواد ، وهي بدورها سيطرت على المغرب الأوسط .

و يبدأ هذا منذ تمكن الدولة الزيانية من التغلب على أمصار المغرب الأوسط وحالفت القبائل العربية خاصة زغبة ، الذين أدخلوهم التل و أصبح لهم حق الجباية فهذا ما يجمعهم بزناتة البداوة و عصبية الحلف.[1] وذوي عبيد الله المجاورين بني عامر بن زغبة من إقطاعات الزيانيين بالقرب من تلمسان[2]، حتى أن المعقل سيطرت على مجالات زغبة بالقفر و تغلبوا على من خلفهم بعد إخلائهم .[3]

حتى أن يغمراسن بن زيان عند خروجه في بعض حروبه يستخلف مكانه عمر بن مهدي من بطن سويد بن مالك بن زغبة ، على تلمسان و ما يجاورها من ناحية الشرق[4] (يدل على المكانة الكبيرة التي وصلت إليها زغبة في عهد الدولة).

وبعد تلك الحادثة حين جر المنصور الموحدي الكثير من القبائل العربية من إفريقية إلى المغرب الأقصى و منهم المعقل – ولم يتجاوزوا المائتين– فتكاثروا في صحرائه ، ثم حالف هؤلاء المعقل زناتة خاصة بني مرين إلا ذوي عبيد الله فحالفوا بني عبد الواد لمجاورة مجالاتهم و الاشتراك معهم في الحدود – مواطنهم ما بين تلسمان ووجدة–[5]

وبعد تمكن بني عبد الواد من تأسيس ملكهم بتلمسان ألحقوا عرب المنبات من الأحلاف من ذوي منصور من المعقل في خدمتهم.[6]

إلا أن عيثهم كثر بالمنطقة و حدث أن نقل يغمراسن بن زيان بني عامر من زغبة إلى جنوب تلمسان للحد من ذلك ، الذين تبعهم حميان و صاروا ضمنهم . وخشي يغمراسن على

---

[1]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 54.

[2]– المصدر نفسه ، ص 80.

[3]– المصدر نفسه ، ص 54.

[4]– المصدر نفسه ، ص 61. أنظر أيضا : مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 153.

[5]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 154.

[6]– السلاوي ، الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، ج3 ، ص 36.

دولته من زغبة فجرهم بالصحراء و أذلهم بالضرائب و المغرم و جندهم في جيشه ، واستمروا على ضعفهم المالي و السياسي مدة عظمة الدولة .[1]

وقبل كل هذا فإن أبا ضيف يعتبر أن بطني يزيد و عامر من زغبة كان لهم دور كبير في قوة الدولة و استمرارها ، وحسبه فإن بطون زغبة انقسمت على نفسها و كانت تلك البطون قد أخلصت في خدمها ، و البعض الآخر ناصر كل من عاداها .[2]و حسبنا فإن نفس الأمر ينطبق على بطون المعقل حتى و إن كانت من البطون الملحقة ببني هلال ، فإن فيها من أخلص في خدمتها ، خاصة ذوي عبيد الله و منصور – هؤلاء أقاموا بالمغرب الأقصى – ، و الأخرى وقفت مع من عاداها مثل الدولة المرينية التي قامت بالمغرب الأقصى وهي كانت من ضمن القبائل المستقرة هناك كذوي حسان عرب السوس الأقصى.[3]

وبالحديث عن بني يزيد من زغبة ، فإنه خلال العصر الموحدي تم إقطاعها بلاد حمزة وبني حسن من أوطان بجاية لحمايتها من بربر زواوة وصنهاجة ، خاصة عقب عجز الجنود النظاميين على جباية الضرائب ، و حين أحكمت الدولة الزيانية قبضتها على المغرب الأوسط ، تمكن هؤلاء من اقتطاع أوطان حمزة من نواحي بجاية ، وصارت من أملاكهم ، وتمكنوا من الاستقلال بها و توزيع جبايتها على بطونها ، خلال فترة ضعف الدولة [4](رغم عدم ارتباط الزمن بافترة الدراسةإلا أنه يؤكد ضمنيا دور ذلك البطن على عهد الزيانيين).

وبنو عامر بن زغبة فمواطنهم في آخر موطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسان مما يلي المعقل ، ولكنها كانت قبل ذلك مما يلي المشرق حين تغلبوا على غيرهم في مواطن حمزة والدهوس وبني حسن لميرة أقواتهم في الصيف ، ولهم على بني يزيد أبناء عمومتهم ضريبة من الزرع متعارف عليها بين أهلها.

وكان أن نقلهم يغمراسن إلى مواطنهم بمحاذاة تلمسان ليكونوا صدا منيعا بين المعقل و بين وطنها ، فيجوبون أطراف صحرائها في الشتاء ، و يتقلبون بين تلها في الربيع والصيف.[5]

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 374.

[2]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 155.

[3]– السلاوي ، الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص 159.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 55-57.

[5]– المصدر نفسه ، ص 68.

ج/– مع بني مرين :

تعتبر الدولة المرينية من أهم الدول التي نشأت بالمغرب الإسلامي – الأقصى– باعتبارها قامت على أنقاض دولة الموحدين ، في إطار زمني سجله التاريخ (668–869هـ/1269–1465م) ، و ما يهم في كل هذه الفترة عهد الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656–685هـ/ 1258– 1286م) الذي تمكن من إخضاع القبائل المتحالفة مع الموحدين سنة 666هـ/1267م ، وكان له أن سيطر على الحكم سنة 668هـ/1269م بانتصاره على الخليفة الموحدي أبي دبوس وكانت من أبرز القبائل المتحالفة عرب المعقل[1] –ومنه فإن للعامل الجغرافي دورا كبيرا في تحديد العلاقة بحكم استقرار أغلب بطونها بالمنطقة –ولكن بني جابر هم من انقلبوا على الموحدين و انضموا إليهم وساعدوهم في تحقيق ذلك الانتصار.[2] كما أنهم دخلوا في خدمة السلطان يعقوب بن عبد الحق في مد نفوذه بالمغرب الأوسط عندما غزا تلمسان رغم فشله بسبب شدة المقاومة.[3]

أما أهم فترة تعددت فيها علاقات بطون بني هلال مع المرينيين كانت على عهد السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر بن يعقوب (685–706هـ/1288–1307م) خاصة عندما سير جنده لغزو عرب بني المعقل بصحراء درعة سنة 686هـ/1287م لقطعهم طريق سجلماسة و إلحاقهم الأضرار بالعمران و إفساد الطرقات ، ومر عليهم بمجموعة من الفرسان من بني مرين[4] مارا ببلاد هسكورة [5] معترضا جبل درن للوصول إلى بلاد درعة ، فأدركهم هناك وتمكن من هزيمتهم.[6]

كما أن من أهم البطون الذين جمعتهم علاقة بالدولة المرينية على عهد السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر ، والتي تعتبر سويد من أقوى بطونها الذين حالفوهم ، وقد خلف طعون بن سويد عثمان بن عمر الذي ترك من الأبناء ميمون و سعيد و يحي ، فخلفه أبو

---

[1]–علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، الرباط ، 1972 ، ص ص 114–118.

[2]– السلاوي ، الاستقصا ، ج2 ، ص 128.

[3]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 345.

[4]– المصدر نفسه ، ص 378.

[5]– هسكورة : تقع بالمغرب الأوسط قرب تلمسان ، وهي من قبائل صنهاجة استوطنت المناطق الخصبة المجاورة لجبل درن في المحيط غربا ، وجنوبا إلى وادي السوس . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص ص 252–262.

[6]– ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 378.

الحكم ميمون ثم تغلب عليه سعيد الذي وفد على السلطان بوشاية ، ولما أراد السلطان قتله بسبب ذلك هرب سعيد إلى قومه ، و أثناء انشغال السلطان بحرب تلسمان انتقل سعيد إلى التلول و سيطر على السرسو و جبل كركير.[1]

يضاف إليها قبائل رياح الذين رفضوا إلا أن يدخلوا في خدمة السلطان ، حين وفد على السلطان عثمان بن سباع بن يحي بن دريد بن مسعود البلط سنة 701هـ/1301م ، أثناء حصاره لتلمسان يحرضه على ملك بجاية ، فرحب السلطان ببني رياح أحلافا له وجعل عثمان بن سباع و قومه كمرشدين لجيوش السلطان إلى بجاية .[2]

وبهذا تظهر فعلا رياح على أنها أشهر بطون بني هلال بحكم أنها جمعتها علاقات مع جميع الدول التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي ، و زغبة و أشهر بطونها سويد حين أثر العامل الجغرافي بدرجة كبيرة في أن تكون من أهم البطون المتحالفة مع بني مرين.

كما لا يمكن أن نستثني بعض بطون الأثبج وهما العاصم و مقدم ، الذين سكنوا مع جشم و ألحقوا بهم ، فكانت رئاستهم على عهد الدولة المرينية في عياد بن أبي عياد .[3]

خاصة عندما شاركت العاصم مقدم مع السلطان حين تقدم للاستيلاء على تلمسان[4] ، كما شاركت العاصم بقيادة عياد بن أبي عياد ضمن القوات المرينية للجهاد في الأندلس ، والذي أظهر شجاعة و دهاء كبيرين في حروبه ضد الصليبيين في شريش عندما نصب كمينا على أبواب المدينة وقعت فيه الحامية المسيحية المعسكرة بالمدينة.[5]

فالعامل الجغرافي أثر بدرجة كبيرة في تحديد علاقة بطون بني هلال مع جميع دول المغرب الإسلامي ، و تميزت تلك العلاقة بالتباين من فترة لأخرى حسب النظام القائم والذي فرضته بعض الدول على بطون بني هلال ، و حين نتتبعها بشكل دقيق فإنه عند دخولها في بداية الأمر كان دورها سلبي لكن ما لبث أن أصبح لديها دور إيجابي في بلاد المغرب خاصة عندما دخلت في خدمة بعض الدول.

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ،ص ص 298–300.

[2]– المرجع نفسه ، ص 284.

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 68.

[4]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 345.

[5]– المصدر نفسه ، ص 343.

الفصل الثالث :

آثار تواجد بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي (ق5-ق7هـ)

أولا : الآثار السلبية لتواجد بطون بني هلال .

1/- سياسيا.

2/- اقتصاديا.

3/- اجتماعيا.

4/- حضاريا و ثقافيا.

ثانيا : الآثار الإيجابية لتواجد بطون بني هلال .

1/- سياسيا .

2/-اقتصاديا .

3/- اجتماعيا.

4/- حضاريا و ثقافيا.

إن التمعن في الدراسات التاريخية التي اهتمت بدراسة الهجرة الهلالية ، تدفعنا للخوض في غمار جدلية تاريخية ميزت الكثير من المؤرخين ، و يظهر ذلك حتى في المصطلحات المستعملة ، تحت إشكالية الهجرة أو الغزوة الهلالية.

ومن أشهر تلك الدراسات التاريخية المهتمة بالموضوع ابن خلدون و ابن عذارى و ابن الأثير ، بالإضافة إلى الكتب الجغرافية للبكري و الإدريسي و الحميري وصاحب كتاب الاستبصار ، وكلها تقريبا لم تعاصر حدث الدخول للمنطقة غير البكري.

فابن خلدون مثلا و الذي يعتبر أهمها على الإطلاق حين اهتم بذكر تفاصيلها ، يحمل عرب بني هلال و غيرهم ما حدث لإفريقية ، ولكن بدراسته للأدوار المتقدمة لها يظهر لنا بأنه تحدث عن الآثار الإيجابية لتلك القبائل ، حتى وصفه البعض بأنه متناقض في بعض كتاباته ، وهو الذي أخذ عنه الكثير من المستشرقين فوصل بالبعض منهم من أطلق على تلك الهجرة اسم الكارثة الهلالية كمصطلح تاريخي يدل على آثارها السلبية بالمنطقة. و لا يقل أهمية عن المصدر الخلدوني " العبر " كتاب ابن عذارى المراكشي " البيان" ، الذي اعتمد من خلاله على كتابات ابن شرف و ابن رشيق القيرواني الذين عاصروا الأحداث (كحادثة دخول القيروان).فابن عذارى و الدراسات الأخرى التي أوردناها تسير على النهج الخلدوني في تحميل العرب الهلالية ما حل بمنطقة المغرب الإسلامي خاصة أثناء الدخول.

و إذا أخذنا أيضا بما تناولناه في دراستنا ، خاصة عند الحديث عن بطون بني هلال ومناطق استقرارها و أبعادها السياسية بالمنطقة ، تبين لنا أن الهجرة الهلالية حملت في طياتها آثار متعددة ، فهي فعلا كانت سلبية غير أنها لم تخل كذلك من الآثار الإيجابية ، وكان هذا في الكثير من الجوانب السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الحضارية.

أولا : الآثار السلبية لتواجد بطون بني هلال .

1/– سياسيا :

يظهر من خلال تناول الفصلين الأول و الثاني أن بطون بني هلال في هجرتها و أثناء دخولها للمغرب الإسلامي ، خلفت الكثير من الآثار السلبية بمنطقة المغرب الإسلامي سواء عند الدخول ، أو حتى في المراحل الأخرى والتي ترتبط في دراستنا بالفترة الممتدة بين القرن 5 و7هـ / 11 و13م .

وسنذكر هنا بعض الجوانب السلبية في المجال السياسي ، فأثناء دخولها للمغرب الإسلامي و بداية بالمغرب الأدنى (إفريقية) خلال القرن 5هـ /11 م ، تم التعرف على أنها انشقت على نفسها و دخلت في صراع مع الدولتين الزيرية و الحمادية (أبناء عم ومن صلب قبيلة صنهاجة) سواء في صراعها ضدها ، أو التدخل في صراعهما مع بعضهما خاصة خلال القرن 6هـ / 12م .

يضاف إليها أيضا قيامها بالاستنجاد بالأجانب مثل النورمان و إثارة تطلعاتهم للمنطقة التي بدأت في مرحلة الضعف. وقيامها مثلا بالدخول في ثورة ابن غانية في عهد دولة الموحدين و التي كانت ضدهم ، حتى أن تعدد ثوراتها أسهم في سقوط تلك الدولة والتي اعتبرت أكبر دولة تتأسس بالمغرب الإسلامي في تلك الفترة.

ما يعطينا صورة على أنها لم تتمكن من المحافظة على النهج الذي سارت عليه تلك الدول سواء التي عاصرتها أو حتى التي كانت قبل دخولها ، حين ظهرت كحواضر اهتمت بمختلف مجالات الحياة ، وهي بكل بساطة لم تتمكن من إقامة كيان سياسي مستقل و إن كانت قد أسست بعض الإمارات إلا أنها كانت مرتبطة ببعض دول المغرب الإسلامي هذا من جانب وافتقارها لشرط السيادة من جهة أخرى .

و سنحددها بالتفصيل و التدقيق من خلال هذا التقسيم الذي يتماشى مع الترتيب الزمني.

أ/- تدهور الأوضاع السياسية (كثرة الحروب و التمردات) :

إن كانت منطقة المغرب الإسلامي عاشت ذلك الاستقرار و الأمن[1] ، و ارتباطه بدوله في المغرب الأدنى الدولة الزيرية و المغرب الأوسط الدولة الحمادية ، إلا أن الأمر أصبح مختلفا بعد دخول بطون بني هلال المنطقة ، لأنهم كما ذكرنا يختلفون عن عرب الأجيال الأولى التي قامت بالفتوحات الإسلامية ، ولم تكن هذه القبائل جيوشا نظامية ، ذات هدف ديني أو قومي معنوي واضح ، وإنما كانوا بدوا لطول إقامتهم في البوادي ، وتعاقب الدول عليهم هذا فضلا عن إخراجهم من نطاق حضاري ، فظلوا على بدويتهم فهم يتحركون ويتصرفون جماعيا ، ويتعصبون لقبائلهم أكثر مما يتعصبون لشيء آخر[2]. وخاصة بعد إطلاق أيديهم للتصرف بالمنطقة من طرف الدولة الفاطمية ، ورغبتهم في عدم التخلي عن الملك الممنوح لهم من قبل خليفتها ووزيره، وقد كان دخول بني هلال بعد القيام بمجموعة من الحروب وما انجر عنها من ثورات ، والتي وصل عددها إلى خمسة في مدة لم تتجاوز الثلاث سنوات ، بداية بموقعة حيدران سنة 443هـ/ 1051م[3] وصولا إلى حصار القيروان سنة 446هـ/ 1054م[4] ، وبهذا تم لهم اقتسام البلاد و تصرم الملك من المعز.[5] أي أن السلطة المركزية بدأت تضعف و الحالة السياسية تتدهور مع مرور الزمن ، فلم تمر ثلاث سنوات أخرى حتى انتقل المعز من مركزه السياسي بالقيروان إلى المهدية سنة 449هـ[6] والتي ستظل عاصمة للدولة الضعيفة إلى غاية سقوطها على يد النورمان ، و لكن من نفس السنة تمكنت بطون بني هلال من إحكام السيطرة على ذلك المعلم السياسي الحضاري[7] ، و بداية دور جديد في المنطقة والتقهقر النسبي للدولة الزيرية .

---

[1]- هذا ما تم التطرق له في الفصل الأول ، الأوضاع السياسية قبل الهجرة الهلالية.

[2]- حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطمين في مصر بدول المغرب ، ص 262.

[3]- ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص ص 290-291. و ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 21. النويري ، نهاية الأرب ... ، ج24 ، ص 119. وابن غلبون ، التذكار ، ص 26.

[4]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 293 - 294. أنظر في تفصيل الحروب : الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص ص 254-266.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 22.

[6]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 294.

[7]- النويري ، المصدر السابق ، ص 120. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص 297. ابن عذارى ، المصدر نفسه.

حتى أن سجال تلك الحروب لم تتوقف بين بطون بني هلال و المعز إلى حين وفاته سنة 454هـ.[1]

ولم تمض سنة أو سنتين حتى انقسمت بطون بني هلال على نفسها ، فقد تقف في صف ولده تميم أو تكون ضده متحالفة مع من يحقق أهدافها ، فحدث ذلك التمرد عندما انضمت عدي و الأثبج مع حمو بن ومليل البرغواطي الثائر بمدينة سفاقس حين زحف إلى المهدية سنة 456هـ/ 1063م[2] ، فخرج إليه تميم بن المعز و معه أيضا من العرب زغبة ورياح عند وصوله إلى سلقطة ، فهزم حمو ومن معه و أخذتهم السيوف و نجا بنفسه و تفرقت جيوشه.[3]

و لكن هذا الانتصار جعل بطون بني هلال و من معها توسع من طموحاتها فتطلعوا إلى أراضي المغرب الأوسط وعدم الاكتفاء بإفريقية .[4] حتى و إن ظلت الأضرار نسبية ليست بحجم ما تعرضت له إفريقية ، يضاف إلى هذا أن المنطقة لم تكن مقصودة من الحملة الهلالية.[5]

وهنا تضاف حرب أخرى لا تقل أهمية عن تلك الحروب و هي موقعة سبيبة سنة 457هـ/1064م ، حين ظهرت تلك الخديعة بين بطون بني هلال للإطاحة بالناصر بن علناس الذي تهور في ذلك ولم يأخذ بنصيحة أخيه القاسم الذي لقي حتفه هو و أربعة وعشرون ألف من جيوش الناصر الذي انهزم.[6] و لم يكتفوا بهذا و لحقوه إلى غاية قسنطينة فاستولوا عليها والمناطق المجاورة لها القلعة و المسيلة و طبنة فتركوا الديار خرابا.[7]

وبتتبع المسار التاريخي لهذه الحروب – حيدران و سقوط القيروان[8] و موقعة سبيبة – وهي أهمها على الإطلاق لأنها أسهمت في كثرة الضحايا و القتلى إضافة إلى أنها أدت

---

[1]– النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص 121.

[2]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 299.

[3]– ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 363. غير أنه يحدد التاريخ سنة 455هـ و يذكر الشخصية على أنه حمو بن مليك.

[4]– عزي بوخالفة ، تغريبة بني هلال بين التاريخ والرواية الشفهية ، ص 81.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 370.

[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 299. و النويري ، المصدر السابق ، ص ص 122–123. و الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص ص 305–307.

[7]– عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص 369–370.

[8]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 294.

إلى تراجع ذلك العهد – الذي ذكرناه بالمغرب الأدنى و الأوسط أين ساد الأمن و الاستقرار –وبالتالي تدهورت الأوضاع السياسية بالمنطقة.

وحدث أن ظهرت مجموعة من التمردات لتلك البطون ، فتوزعت السلطة بين رؤسائها ومشائخها وكل واحد منهم يدعي الإمارة و يزاحم الآخر في السلطة والنفوذ ، فأصبح المتأخرون من بني زيري القابعون بالمهدية أو من بني حماد اللاجئون إلى بجاية في مستوى هؤلاء القواد و المشايخ لا يمتازون عنهم في أي شيء ، و لا يكفون عن محاربة بعضهم البعض مستظهرين بهم ، و ازداد نفوذهم في شؤون الحرب والسياسة.[1]

وهذا ما حدث في عهد علي بن يحي ، عندما توجه سنة 511هـ/1118م لمحاصرة إمارة بني جامع بقابس و أميرها رافع بن مكي الذي استنجد بروجار صاحب صقلية.[2]

و استمر يخالفه و يتمسك بصاحب صقلية و توجه بمجموعة من القبائل لمحاصرة المهدية ، ثم في عهد محمد بن رشيد بن كامل استبد يوسف مولى والده بالحكم و حالف روجار – فتح المجال أمام النورمان للتطلع للمنطقة – فكان أن أرسل روجار سنة 542هـ /1147م قوة بحرية لمحاصرة قابس.[3]

وتشجعوا فيما بعد هم ونصارى جنوة حين كان بينهم و بين بني هلال تحالف ضمني[4] (التمرد على السلطة). وهذا ما أدى بسقوط المنطقة في أيدي النورمان .[5]

وحسب حسين مؤنس فإن الغزوة الهلالية عاصفة قوضت دعائم الدولتين– الزيرية والحمادية – جميعا. [6]

وفي ظل هذا كله ستظهر دولة الموحدين بفعل سيطرتها على المغرب الإسلامي ، خاصة بعد هزيمتهم في معركة سطيف سنة 555هـ[7] – وهي حرب تضاف إلى الحروب الأخرى – بحيث أدخلت تلك البطون في خدمتها و نقل أعدادًا كبيرة منهم إلى مراكش ، غير أنها هي

---

[1]– عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، ص 96.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 213–214.

[3]– ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص ص 346–347. أنظر أيضا ، إلهام حسن الدحروج ، المرجع السابق ، ص ص 62–63.

[4]– عبد الله العروي ، المرجع السابق ، ص 96.

[5]– أنظر المبحث الموالي – انحطاط الدول و سقوطها –

[6]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 175.

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 28.

أيضا لم تسلم من تمردهم على السلطة خاصة عند محالفتهم لثورة ابن غانية سنة 583هـ/1187م ، و كانت من أشهر تلك البطون كما مر بنا جشم وعدي و الأثبج ورياح.[1] مما اضطر المنصور الموحدي إلى تجهيز حملة كبيرة فأخضع تلك القبائل الثائرة ونقل الكثير من العرب إلى المغرب الأقصى سنة 584هـ/1188م .[2]

وبعد تولية الناصر صرف كل جهوده في فترة زمنية امتدت ست سنوات 596هـ/1199م إلى سنة 602هـ/1205م في سبيل القضاء على بني غانية في إفريقية ومن انضم إليها من بطون بني هلال و قد نجح في ذلك .[3]

فما ميز حكم الموحدين كما يظهر هو اشتغالهم بالحروب والمعارك ضد بطون بني هلال ، منذ أن تولى عبد المؤمن بن علي الخلافة حتى عهد الناصر حين ازداد فتيل هذه المعارك بعد أن أقبلت الكثير من بطون بني هلال للإقامة بالمغرب الأقصى ، أين تتواجد عاصمة الدولة الموحدية ، وتفاعلها مع الأحداث السياسية والعسكرية .

وبعد أن أصبحت قريبة من المركز السياسي عاصمة الدولة الموحدية ، ازداد خطرها بالمنطقة و قامت بالعديد من الثورات و التمردات ، خاصة بعد أن أصبحت الدولة تعيش آخر أيامها.[4]

وقلنا بأن سياسة الموحدين في محاولة إخضاع تلك القبائل و نقلها إلى المغرب الأقصى من أجل توظيفها في خدمتها أتت أكلها ، إلا أنه انقلبت الأمور و اختلفت بعد أن أصبحت تلك البطون كعامل ساهم في ضعفها (الثورات و التمردات) و سقوطها بعد أن كانت أكبر دولة تظهر ببلاد المغرب الإسلامي .

وبالتالي فبطون بني هلال أثرت بطريقة أو أخرى في تدهور الأوضاع السياسية ببلاد المغرب الإسلامي ، بداية من هجرتها سنة 442هـ/ 1051م إلى غاية سقوط دولة الموحدين سنة 668هـ/ 1269م ، وهذا ما سنحاول تدعيمه بشكل دقيق من خلال المبحث القادم .

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 244. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 81.

[2]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص 217.

[3]- وذلك لما خرج عليه يحي الميورقي في جيش عظيم من العرب و صنهاجة و زناتة فاقتتلا قتالا شديدا ، انهزم فيه الميورقي في ربيع الأول 604هـ / 1209م . أنظر : ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 232-233.

[4]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 100-117.

ب/- انحطاط الدول .

إن أهم ما ينبغي الإشارة إليه و حتى تتضح الصورة بشكل جلي ، فإن بلاد المغرب بجناحيها الشرقي و الغربي تعرضت في زمن واحد تقريبا لحملتين قامت بهما قبائل بدوية ، واحدة من الجهة الشرقية و هي حملة بطون بني هلال و ما ألحق بها من العرب – كما أشرنا – سنة 443هـ/ 1051م[1] ، و الأخرى من الجنوب الغربي قامت بها قبائل بدوية أخرى هي القبائل اللمتونية[2] الصنهاجية سنة 445هـ / 1053م[3] ، فنلاحظ التقارب في الزمن و الطابع البدوي الذي جمع القبيلتين الهلالية و الصنهاجية ، و عاشت قبل تلك الهجرة حياة شاقة في أرض قاحلة مجدبة ، لكن يظهر الاختلاف واضحا في آثارهما بالمنطقة ، إذ تمكن اللمتونيون من إقامة دولة عظيمة الشأن تميزت بحضارتها الإسلامية المشرقة و امتدت إلى الأندلس[4] ، بينما اكتفى الهلاليون بالظعن عبر البراري و القفار في إفريقية و المغرب الأوسط[5] ، ولم تتمكن في المقابل من إقامة أي دولة على طول مدة استقرارها بالمنطقة، بل بالعكس فإنها ساهمت بصورة أو أخرى بإلحاق الضرر بأهم دول المغرب الإسلامي ، و أبرز المؤشرات الدالة على ذلك أنه حدث على مراحل مختلفة أثناء هجرة تلك البطون ببلاد المغرب الإطاحة بعواصمها كمؤشر تاريخي على ضعف الدول القائمة آنذاك .فأول دليل هو تمكن بطون بني هلال من إحكام السيطرة على القيروان في أوائل رمضان من سنة 449هـ / 1057م[6] ، وانتقال المعز بن باديس قبلها إلى المهدية في أواخر شهر شعبان من نفس السنة [7]. و إن دل هذا إنما يدل على بداية ضعف السلطة المركزية خاصة بالمناطق الداخلية و انتقالها إلى السواحل أين ستصبح عرضة للتدخلات الأجنبية.

---

[1]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 20.

[2]- لمتونة وهي من أكبر قبائل الملثمين بالصحراء وتصنف في الطبقة الثانية من قبائل صنهاجة البربرية ورئاستها كانت فيهم (الملثمين) ، وكان إسلامهم بعد فتح الأندلس بحكم أنه كانوا على المجوسية ، وكانت رئاستهم في بني ورتانطق... ، وعظم أمرهم في القرن 5هـ ، وصعدوا إلى الأقاليم الشمالية سنة 445هـ واختطوا مدينة مراكش و أسسوا الدولة المرابطية. أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 241-243.

[3]- ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص ص 124-126. ابن خلدون ، المصدر السابق ، 243.

[4]- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس عصري المرابطين والموحدين ، ص ص 53-55.

[5]- بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ والهجرة و الاستقرار) ، ص ص 28-29.

[6]- ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 294. النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص 120.

[7]- المصدر نفسه .

وهذا ما حدث في فترة ليست ببعيدة لم تزد عن ثماني سنوات في موقعة سبيبة سنة 457هـ[1] بالمغرب الأوسط أين تم السيطرة على عاصمة الدولة الحمادية القلعة و ما جاورها من مناطق من قبل بطون بني هلال ، وبالتالي لم تعد قادرة على حماية السكان و انتقال الناصر بن علناس إلى الساحل و أسس مدينة الناصرية التي انتقل إليها سنة 461هـ/1068م ، وأصبحت قاعدة الإمارة سنة 498هـ/ 1104م[2] (وكنتيجة حتمية حدثت أن تقلص نفوذ تلك الدول من الناحيتين السياسية وحتى الجغرافية) ، وكما ذكرنا أن المغرب الأوسط لم يكن مقصودا أصلا من الحملة الهلالية ، وحتى حجم الضرر الذي تعرضت له المنطقة لم يكن بذلك الشكل الذي تعرضت له الدولة الزيرية (المغرب الأدنى) وهو يرجع لأهم رابط تاريخي سياسي في محاولة المستنصر بالله ووزيره اليازوري تأديب التابع المتمرد عن السلطة السياسية و كذا الدينية.

و لأنهم ساعدوا في إسقاط أسرة بني زيري بإفريقية ، فإن الأعمال التي تناولت هذه الظاهرة انحصرت في تونس.[3] و يؤكد عبد الله العروي على أن القوة الوحيدة التي استفادت من هذا الوضع المزري هم النورمان (أسماهم ببدو البحر) وبعد مهاجمتهم لجزيرة صقلية ونزعها من يد المسلمين دون أن يحرك الفاطميون أو الزيريون ساكنا بدافع الانشغال بالمشاكل الداخلية ، وهذا ما شجعهم رفقة نصارى جنوة وطرقوا موانئ إفريقية كما لو كان "بينها و بين بني هلال تحالف ضمني" [4] ، فاقتحموا المهدية سنة 480هـ/1087م [5]
و هذا يتضح بشكل جلي عندما أثارت تطلعات النورمان للمنطقة من خلال الاستنجاد بروجار صاحب صقلية خاصة من قبل أمراء بني جامع أو الموالين لها في أوائل القرن 6هـ / 12م ، إلى أن تمكن هؤلاء الروم من التغلب على مدينة المهدية سنة 543هـ/1148م التي خرج منها صاحبها الحسن بن علي بن يحي كآخر أمراء الدولة الزيرية ، وبفعلته هذه

---

[1]- النويري ، نهاية الأرب ... ، ج24 ، ص 122 . أنظر أيضا : ابن عذارى ، البيان ،ج1 ،ص 299.

[2]- عبد الله العروي ، المرجع السابق ، ص 95.

[3]- محمود أحمد أبو صوة ، تاريخ العرب الاجتماعي و الاقتصادي في العصر الوسيط قراءة مغايرة ، دار الهدى للطبع و النشر ، الجزائر ، 2002 ، ص 28.

[4]- عبد الله العروي ، المرجع السابق ، ص 96.

[5]- ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 301.

أعلن على أن الدولة الزيرية قد انقرضت ، فظلت المنطقة بأيديهم إلى أن تمكن الموحدون من التغلب عليهم.[1] ومنه أنها أسهمت في تقويض دعائم الدولة الزيرية والحمادية.[2]

و كما ذكرنا و ما أكده بوزياني الدراجي على أن انتشارهم بالمغرب الأقصى يعود لعبد المؤمن بن علي حين نقل بعض أحيائهم إلى المنطقة ، بغرض الاستعانة بهم في حروبه وتأديب الخارجين عن طاعته ، ولكنه لم يعلم أن انقراض دولته – بعد فترة من الزمن– سيكون بفعلهم ، وبذلك تسببوا – إلى جانب أسباب أخرى – في بث الهوان و التفكك في أوصال الدولة الموحدية حتى سقطت في نهاية الأمر و انقسمت إلى دول ثلاث ، والتي لم يحد قيامها من نفوذ بطون بني هلال بل أضحت تقدم خدمتها لتلك الدول التي ترغب في وراثة الموحدين ، ودخلت في حلف كل منها في صراعهم ضد بعضهم البعض.[3]

إلا أن الأمر الملفت للانتباه أن العرب الذين أسهموا في سقوط دولة الموحدين تقريبا من القبائل العربية الملحقة ببني هلال ، لأنه طغى عليهم اسم الهلالية و كانت من الفروع غير الرئيسية كما أشرنا لذلك عند إيراد نسبهم (جشم و الخلط وسفيان) . وهذا التفسير انطلاقا مما تم ذكره في الكتب التاريخية (المصادر) المهتمة بالدولة الموحدية .

وكل هذه الأحداث تظهر بشكل واضح آخر أيام الموحدين ، ففي عهد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن 620-621هـ/1224م اتسم عهده بالفوضى و تفرق أمر الموحدين ، حين استقل أبو محمد عبد الله بن يعقوب بأمر الأندلس ، وبتأييد من بعض أعيان المغرب تم خلع عبد الواحد و قتل بعد عدة شهور من ولايته ، ليتم استدعاء أبو محمد من الأندلس ، فاستعان بشيوخ جشم و عرب الخلط و سفيان لتقوية جيوشه لدخول مراكش ، غير أنه عانى الأمرين من الغرب المستقرين بين سلا ومراكش ، وتخلي عرب الخلط عنه و إغارتهم على نواحي مراكش ، فأرسل إليهم قواته للقضاء عليهم والتي منيت بهزائم حين حالفت قبائل هسكورة و بعض الموحدين من أجل خلعه ، و قاموا بمهاجمة مراكش و اقتحموا عليه قصره

---

[1]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 313-314.

[2]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 175.

[3]– بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 30.

ونهبوه و قتل خنقا سنة 624هـ/1127م.[1](بداية الانحطاط والضعف بعد المساس بالعاصمة)

وبعد مبايعة الموحدين ليحي بن الناصر 624-627هـ/1127-1230م دخل مراكش ، حينها قامت الخلط بقيادة أميرها هلال بن حميدان بن مقدم بمبايعة منافسه بالأندلس إدريس المأمون بن المنصور.[2]

ولم تتمكن الدولة الموحدية من كسر شوكة العرب الذين أخذوا في شن الحملات على أطراف مراكش ، وقطع الطرق على أهلها منزلين بالموحدين هزائم متكررة فاضطرب المغرب الأقصى و انتفضت البلاد بالثورة.[3]

وفي ظل غياب المأمون عن مراكش بسبب محاصرته لأخيه أبي موسى عمران سنة 629هـ/1232م هاجمها يحي بن الناصر – الذي أخرج منها – و أحلافه من عرب سفيان بقيادة أميرهم جرمون بن عيسى ، وهدموا كنيسة النصارى التي أقيمت بها و قتلوا يهودها وسبوا أموالهم. و لكن بعد عودة المأمون إلى مراكش توفي بالطريق سنة 630هـ.[4]

و في أواخر عهد الدولة استفحل دور هؤلاء العرب – حتى و إن كانت من القبائل الملحقة ببني هلال– ، ففي سنة 652هـ/1242م ثار عرب بني جابر بقيادة يعقوب بن محمد و وزيره ابن مسلم ببلاد تامسنا.[5]

و بدأ الخطر المريني يهدد المنطقة ، ففي سنة 655هـ/1257م تمكنوا من الاستيلاء على سجلماسة بمساعدة عرب المعقل ، وازداد في السنوات الأخيرة بعد أن تقدموا للاستيلاء على سهول تامسنا ، فخرج إليهم الموحدون و تواجهوا بوادي أم الربيع فانهزموا بفعل غدر بني جابر بهم و التحق عيسى بن علي شيخ الخلط ببني مرين.[6]

---

[1]– السلاوي ، الاستقصا في لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص 207.

[2]– السلاوي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 208-209.

[3]– المصدر نفسه ، ص 209.

[4]– المصدر نفسه ، ص ص 214-215.

[5]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص 42.

[6]– المصدر نفسه ، 259.

و كان أن حالف عرب جشم أبا دبوس ضد الخليفة المرتضى (646-665هـ) وهو أحد أقاربه و الذي تولى الحكم بعده (665-668هـ) ، وهذا التأييد لم ينقذ الدولة من الانهيار أمام بني مرين الذين استولوا على العاصمة مراكش سنة 668هـ/1269م .[1]

وهنا يظهر أن العرب الملحقين ببني هلال من جشم و الخلط و سفيان ساهموا بشكل أو آخر في سقوط أكبر دول المغرب الإسلامي – دولة الموحدين– ، وحتى لا يكون الحكم قاسي على بطون بني هلال كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين .

[1]– ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية ، ص ص 117-118.

2/– اقتصاديا :

حسب السيد عبد العزيز السالم فإنه نتج عن ذلك الدخول فترة من الاضطراب السياسي و الاقتصادي في إفريقية و المغرب الأوسط ، فخرب العرب – أي بطون بني هلال وغيرهم– العمران و أتوا على المعالم الحضارية بإفريقية من زراعة وتجارة و منشآت ، وهنا يتحدث نقلا عن أحد المستشرقين ، اكتسحت كل بلاد إفريقية من طرابلس حتى حدود المغرب الأقصى موجة عاتية من الدمار تركت البلاد قاعا صفصفا.[1]

فأغلب المصادر التاريخية العربية التي تتحدث عن الهجرة الهلالية تعتبرها زحف جراد ، حلت ببلاد المغرب ، أوهنت اقتصاده ... و أوقعته في هوة سحيقة.[2] مثل ما ذكره ابن خلدون :" سارت قبائل ذياب و عوف وزغب و جميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث و أربعين وأربعمائة ".[3] ويضيف نفس المصدر : "أنه قد اضطرب أمر إفريقية وخرب عمرانها و فسدت سابلتها"[4] ، في إشارة إلى التخريب الذي لحق المغرب الأدنى في الميادين الحضارية والاقتصادية خاصة الزراعية منها ، وكان هذا أثناء دخول تلك القبائل للمنطقة .

و عند الحديث في الدراسة السابقة عن الأوضاع الاقتصادية التي كانت تعيشها المنطقة دلت على رخاء و ازدهار المنطقة في جميع الأنشطة الاقتصادية الزراعة و الصناعة والتجارة ، نلاحظ من خلال الكلام السابق أن الأوضاع قد اختلفت بمجرد دخول بطون بني هلال و غيرها إلى بلاد المغرب الإسلامي ، حتى و إن كانت الآثار التي سنتحدث عنها قد مست المغرب الأدنى (إفريقية).لأنهم ساعدوا في إسقاط أسرة بني زيري بإفريقية ، فإن الأعمال التي تناولت هذه الظاهرة – الغزوة الهلالية– انحصرت في تونس.[5] مع وجود بعض الدراسات التي تحدثت عن انتقال ذلك الضرر إلى المغرب الأوسط.

---

[1]– السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999 ، 586.

[2]– محمد الشريف ، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة (المغرب والأندلس دراسات في التاريخ و الأركيولوجيا) ، ص91.

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 20.

[4]– المصدر نفسه ، ص 16.

[5]– محمود أحمد أبو صوة ، المرجع السابق ، ص 28.

أ/- الزراعة :

إن تراجع النشاط الزراعي حسب أحد المستشرقين يرجع لبطون بني هلال ، ذلك أن الأرض الزراعية قد انكمشت حول المدن التي أصبحت وسط حقول مقفرة ، مستندا على ما ذكره ابن خلدون : ... و أنظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه ... وبدلت الأرض فيه غير الأرض ... والشام لهذا العهد كذلك و إفريقية والمغرب لما أجاز إليها بنو هلال و بنو سليم منذ عهد المائة الخامسة ، وتمرسوا بها ثلاثمائة وخمسين من السنين.[1]

وصاحب كتاب الاستبصار الذي ذهب إلى أكثر من ذلك :" في أن القوافل إذا خطرت بين قصور قفصة والقيروان تكم إبلها و دوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على ذلك الطريق ، وهي اليوم خربة لا أنس بها من وقت دخلت العرب بلاد إفريقية ."[2] وهو يذكر هذا على أنه تزامن مع ثورة ابن غانية الذين وجدوا في العرب أنشط المساعدين لتعطشهم للسلب.[3]

و إذا ارتبط ببطون بني هلال ما سمي بالبدو فإنهم بحاجة إلى المراعي ، والتي كانت محدودة بأرض المغرب ، وعليهم كوافدين أن يطردوا من سبقهم ، و هذا ما حصل لزناتة المغرب الأوسط الذين طردوا و لجأوا إلى ما وراء نهر ملوية ، فأصبح الاقتصاد الرعوي يضايق الزراعة والغرس ، وتحول الحقل إلى مرعى ومنه تقل الأشجار و الغطاء النباتي ، وتتعذر العودة إلى الإنتاج الزراعي ، وهو ما حدث في القسم الجنوبي لإفريقية و هضاب المغرب الأوسط و شرق المغرب الأقصى ، ومع انحطاط الإنتاج الزراعي تترتب عنه عواقب وخيمة سواء على الثروة العامة أو التجارة و حتى سكان المدن ، و اندس البدوي بصفة مستمرة في البنية الاجتماعية و استغل استغلالا منتظما اقتصاد البلاد ، فأرغم من تبقى من المزارعين على دفع قسط مهم من إنتاج الحبوب و الزيت والتمر ، ووظف لمصلحته ما تبقى من التجارة.[4]

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق المستشرق أ. م . كاترمير ، المجلد الأول ، مكتبة لبنان ، طبعة باريس ، 1858 ، ص 272.

[2]- مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 154.

[3]- جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ص ص 241-242.

[4]- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، ص 95-96.

ويرى أحدهم في دراسته لظاهرة المرابطين لدى القبائل الهلالية ، كانت بدايته من النشاط الحرابي الذي شنته بطون الأثبج و رياح بمنطقتي الزاب و الحضنة منذ نهاية النصف الأول من القرن 5هـ/11م ، حيث تمكنوا في الطرق الواصلة بين مدن هذا المجال و أتلفوا الزراعة في البوادي و فحوص المدن.[1] و هذا النشاط التخريبي لبطون بني هلال استمر خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م ، في الزاب و مليانة وزواوة وقسنطينة و قلعة بني حماد وتسببت في تراجع النشاط الزراعي.[2]

وهو ما يدعمه الإدريسي بالإشارة إلى انعاكاسات الانتشار الهلالي و أضراره في النصف الأول من القرن 6هـ/12م ، فأورد أن أيدي بطون بني هلال ألحقت الأضرار في الطريق الواصل بين قلعة بني حماد و بجاية ، و أنهم كانوا يتحكمون بأحواز مدينة ميلة ووطن زواوة.[3] في إشارة ضمنية إلى آثار تلك البطون بالمغرب الأوسط.

وفيما تناقلته بعض الدراسات الاستشراقية مثل الفرنسي ليسيان غولفان الذي حمل القبائل الهلالية مسؤولية الانحطاط الذي حدث ، من خلال قطع الطريق و تخريب المزارع. وكذلك اتهم روجي لوتورنو بطون بني هلال بطرد سكان البربر من أراضيهم ، وقيامهم بتحويل النشاط الاقتصادي من زراعي إلى رعوي.[4] كما يذهب جورج مارسيه عند إشارته إلى أهم مدن المغرب الأدنى إفريقية في تغيرها عما كانت عليه من الجانب الزراعي ، فالمهدية- عاصمة الزيريين الجديدة- كانت في أحسن وضع كبقية مدن الساحل الشرقي من إفريقية ، إلا أن بساتين ضاحيتها اختفت ، و أن سهل باجة الخصب جذبت إليها أطماع بني هلال فتحولوا إلى أسياد المنطقة و أصبح البربر يزرعون الأرض و الواحات التي يمتلكونها.[5]

---

[1]- الطاهر بونابي ، حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف و الرباط ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، ص 59.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري الأندلسي ، كتاب الجغرافيا ، المجلد 11 ، تحقيق محمد حاج صادق ، نشرية الدراسات الشرقية ، دمشق ، 1968 ، ص 200.

[3]- الشريف الإدريسي ،المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ص 118-121.

[4]- علاوة عمارة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الجزائر ، 2008 ، ص 14.

[5]- جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 243. مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 161.

ب/- التجارة :

وفي هذا الجانب يكشف لنا صاحب كتاب الاستبصار أن السكان البربر كانوا يستخدمون الطريق من القيروان إلى قلعة أبي طول وهي قلعة حماد ... وبه مدن كثيرة خربتها العرب عند دخول بلاد إفريقية [1]، فتم قطع الطريق ولم تعد آمنة .

و دائما ما تكون التجارة بحاجة إلى الأمن والاستقرار ، وفي ظل الصراع الدائم بين بطون بني هلال فيما بينها مع بداية هجرتها ، تمخض عنه سوء الأحوال العامة وهجرت مسالك وطرق تلك المدن ، وتكسد التجارة في ظل تراجع الإنتاج الزراعي و تناقص الغلات[2] - كما تمت الإشارة إليه مسبقا-

و لأن ذلك النشاط الحرابي الذي وضعته بطون الأثبج ورياح بالفضاء الواسع بالزاب والحضنة مع نهاية القرن 5هـ/11م مكنها من السيطرة على الواصلة بين مدنه و ساهموا بهذا في تعطيل التجارة.[3]

وهذا ما أكده أحد الدارسين في أن سيطرة بطون بني هلال على الطرق البرية في المغرب الأوسط ، انجر عنه تراجع الأمن بالمنطقة وهو ما أدى إلى تفعيل حركة النشاط البحري في البحر المتوسط لصالح القوة العسكرية المسيحية ، و أصبح البحر مجالا خصبا لنشاط التجار المسيحيين الإيطاليين ، بإحكام سيطرتهم على جزء كبير من النشاط التجاري بالبحر المتوسط.[4] وإن كان ذلك في البدايات الأولى ، فإنه مع النصف الثاني من القرن7هـ/13م وحسب ما نقله العبدري عن الحالة المتردية للطرق و المفازات في طريقه إلى المشرق مرورا بالمغرب الأوسط سنة 668هـ/1269م ، ونوه إلى خطورة المفازة بتلمسان [5] تأكيد لما نقله التجاني في رحلته على أنهم لا يحترمون قرار الدولة و يتمردون عليها و يعيثون فسادا في الأرياف ، و يسلبون القوافل. [6]

---

[1]- مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 161.

[2]- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، ص 96.

[3]- الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 59.

[4]- المرجع نفسه ، ص 60.

[5]- أبو عبد محمد العبدري ، الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968، ص08.

[6]- التجاني ، رحلة التجاني ، ص 128.

3/– اجتماعيا :

أ/– البداوة :

والتي اعتبرها البعض نتيجة حتمية مست المنطقة ، باعتبارها تحوي العنصر الآخر الحضر ، إلا أنه بتحليل الأوضاع الجتماعية في الجزء الأول من الدراسة تأكدنا من الطبقية الاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع المغربي ، لكن الأوضاع السياسية و الاقتصادية أثرت على الجانب الاجتماعي و أصبح المجتمع يتمتع بالحضارة إن صح التعبير ، وكانت النتيجة الحتمية المذكورة ظهور البداوة في المنطقة وتفشيها . معتمدة على ما نقله ابن خلدون الذي يقول : " أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب ، لأن طبيعة وجودهم – يقصد البداوة– منافية للبناء الذي هو أصل العمران ، والسبب في ذلك أنها أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش و أسبابه فيهم ، فصار لهم خلقا وجبلة ، وكان عندهم ملذوذا ... وطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس ، و أن رزقهم في ظلال رماحهم ، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه ، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه.[1]

و الإدريسي الذي يذهب إلى نفس القول فيذكر على أنهم عرب لا خلاق لهم ولا يحفظون أحدا من الناس إلًّا و لا ذمة.[2]

ومما ذكر يظهر أن أبرز المدن التي تضررت من ذلك الزحف هي القيروان – سيتم التركيز عليها في الآثار الحضارية – فسيطرت عليها من الجانب الاجتماعي البداوة ، وهو ما يلتمس حين يقول العبدري : أنها وضعت في سبخة قرعاء لا ماء بها و لا مرعى ، وأن أهلها جفاة الطباع – أي بدو– ما لهم من رقة الحضارة باع ، و عربانها استوى لديهم الصالح و الطالح.[3] وهي نفس الصورة التي تحدث بها المراكشي[4] على أن البداوة سيطرت

---

[1]– ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الأول ، ص ص 270–273.

[2]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 115.

[3]– العبدري ، الرحلة المغربية ، ص 64.

[4]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب ... ، ص 502.

على المدينة من الناحية العمرانية مدعما ذلك بأثر العنصر البشري المتسبب في ذلك" فهي خراب إلى اليوم فيها عمارة قليلة ، يسكنها الفلاحون و أرباب البادية ." حتى و إن رأى الإدريسي أن البداوة مست المنطقة منذ البداية ، و كأن بطون بني هلال ومن معها كانت نقمة من الله :" فسلط الله سبحانه عليها العرب ، وتوالت الحوائج عليها حتى لم يبق منها إلا أطلال دارسة و آثار طامسة ."[1] مما يجعل طبعهم البدوي منافيا للعمران تأكيدا لنظرة ابن خلدون السابقة الذكر.

فكانت حسب أحدهم موروثة عن الإنسان البدائي المحتقر للأعمال و الحرف و الفلاحة ، فكانت وسيلتهم الأزلية النهب على ممتلكات الغير و شن الغزو على من يمتلك الثروة ، وزاد على ذلك أن جل بطون بني هلال ظلت على تلك الحالة – البداوة – ثابتة عليها رافضة للاستقرار محتقرة للحضارة بلينها و طراوة عيشها[2]. وعلى هذا النهج سارت الكثير من الدراسات الاستشراقية في تفسير الطابع الاجتماعي لبطون بني هلال معتمدة في نفس الوقت على النظرية الخلدونية و الكتب الجغرافية السابقة الذكر.

و إذا كان تحليل أسباب ومراحل انحطاط الدولة في إفريقية يطابق الأمر الواقع ، فهم لا يكتفون بالوصف بل يتجاوزونه إلى حدود الاتهام بقولهم هذا ما يفعله البدو بل يزيدون على ذلك ، ويؤكدون أن العرب هم من يفعلون ذلك . رغم علمهم المسبق أن ابن خلدون و غيره يذكر العرب و يعني بهم الأعراب أي البدو ، و إن كانوا أصلا من جنس آخر ، وهذا بدا جليا فيمن ترجم مقدمة ابن خلدون (دوسلان) فيضع كلمة عرب بدل أعراب أو بدو أو رحل ، لترسيخ فكرة أن العربي مخرب بطبعه . وظهرت الأحكام السلبية ، وتم حصرها في لفظة الأعراب بدلالاتها المختلفة البدو ، الرحل ، الرعاة مهما كان جنسهم .[3] و أصبحت حسبهم

---

[1]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 110.

[2]– بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص ص 27–29.

[3]– عبد الله العروي ، المرجع السابق ، ص 97.

بلاد المغرب الإسلامي تعاني مما أسماه أحدهم مأزق البداوة .[1] وأدخل الهلاليون و نشروا بإفريقية بعد غزوتهم النظام القبلي الحربي ، وفي نفس الوقت حياة البدو الرحل القائمة على تربية الحيوانات فتقلصت الحياة الحضارية ، وانكمشت بصورة عامة حياة الاستقرار المحصورة في مناطق محظوظة (تونس وقابس)[2]

ب/– العصبية القبلية :

تعتبر العصبية القبلية من أهم الآثار الاجتماعية التي تركت صدى واسع بفعل دخول بطون بني هلال لبلاد المغرب الإسلامي ، ولا زالت مخلفاتها متواجدة إلى اليوم .

وهي **في المعنى اللغوي** ، مشتقة من العَصْبْ والعَصَبُ هو الطي والشد ، وعَصَبَ الشيء يَعْصِبْهُ عَصْبًا ، طواه ولواه ، وقيل شده و التعصب المحاماة و المادفعة . والعَصَبَةُ : الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه و يعتصبون بهم ، وعَصَبَةُ الرجل يعتصبون له ، و العُصْبَةُ و العِصَابَةُ جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين.[3]

وهي في **المعنى الاصطلاحي** ، وحسب ابن خلدون : " النعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ... و من هذا الباب الولاء و الحلف إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه و حلفه."[4]والتي يرى بأنها استغلت سلبا من قبلهم ، فالرعايا تبقى في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم ... من أن وجود الملك خاصة طبيعية للإنسان لا يستقيم وجودهم و اجتماعهم إلا بها ...وهم أيضا متنافسون في الرياسة ، وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره و لو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل و على كره من أجل الحياء ، ويتعدد الحكام منهم والأمراء و تختلف الأيدي على الرعية في الجباية و الأحكام. [5]

---

[1]– محمود أحمد أبو صوة ، المرجع السابق ، ص 19.

[2]– محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس ، تعريب محمد الشاوش و محمد عجينة ، ط1 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 ، ص50.

[3]– ابن منظور ، لسان العرب ، ص ص 2965–2966. كما وردت العصبة في القرآن الكريم في العديد من الآيات ، قال تعالى : " إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِين." (سورة يوسف/ الآية 08) . و قوله تعالى :" قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُون ." (سورة يوسف / الآية 14) .

[4]– ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الأول ، ص 138.

[5]– المصدر نفسه ، ص 272.

و إذا كانت البداوة شعار العصبية ، فإن العصبية في هذه الحالة تأخذ شكلا يتميز بالتخلف المضاد للحضارة.[1] وبعد دخول بني هلال و غيرهم لبلاد المغرب تلاشت سلطة الملك ، وسادت بدلا منها سلطة القبائل و العشائر ، وهكذا أصبحت القبيلة هي المهيمنة على المجتمع الغربي آنذاك فنشأت دويلات هنا وهناك . وأن ذلك الاجتياح قد دمر كل شيء ، فأنهى حياة الدولة ، وخنق حضارتها في مهدها ، و العبرة من ذلك الزحف لبطون بني هلال ، فيما يمكن أن تسببه العصبية القبلية في دمار و اندثار المعالم الحضارية بشكل عام.[2] بحكم أنه لم يكن لهم هدف ديني أو قومي واضح ، و إنما كانوا بدوا لطول إقامتهم بالبوادي ، وتعاقب الدول عليهم ، و ثبتوا على ذلك وهم يتحركون و يتصرفون جماعيا ، ويتعصبون لقبائلهم أكثر مما يتعصبون لشيء آخر.[3] وهذا ما يمكن استخلاصه في الموقعة التي هزم فيها بنو هلال جيش الناصر بن علناس – والتي تضم بطونا منها أيضا– إلا أنها تحالفت ضده... فأنفذوا شيخين سرا إلى بني هلال الذين صاروا مع الناصر فقالا لهم :" كيف وقعتم في هذا و أردتم تلاف ملككم ... فإذا وطئ – أي الناصر – بلدنا بصنهاجة و زناتة قاصدا تميم بن المعز ، وهو في حصن منيع بالمهدية لا يقدر عليه ، فعندها يملك بلاد إفريقية ويخرجنا و إياكم عنها." فرد عليهم مشايخهم من الجهة المقابلة : " والله ، لقد صدقتم ، فإذا التقينا فقاتلونا فإنا ننهزم و نرجع عليهم..." . ولما تراءى الجمعان حملت بنو رياح على بني هلال ، فانهزم بنو هلال كما وقع الاتفاق.[4] و بالتالي فهم يتعصبون لقبائلهم أكثر من أي شيء آخر. وظلت العصبية القبلية من جانبها السلبي تحكم المنطقة لمدة زمنية طويلة تجاوزت القرن من الزمن (443–555هـ) ، إلى أن ضعفت و أصبحت دون فاعلية في المجتمع المغربي و هو ما يقترن بالعصر الموحدي ، بعد أن مني بنو هلال و غيرهم بسلسلة من الهزائم العسكرية (سطيف و القرن وتاجرا).[5]

---

[1]– بوزياني الدراجي ، العصبية القبلية و أثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (من القرن6هـ إلى القرن 9هـ) ، بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة الجزائر ، ص 88.

[2]– المرجع نفسه ، ص ص 187–188.

[3]– حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 262.

[4]– النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص 123. ابن عذارى ، البيان ج1 ، ص 299. ابن خلدون ، العبر ،ج6 ، ص 27.

[5]– أحمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ، ص 662.

4/–حضاريا :

أ/– اندثار المعالم الحضارية :

عند الحديث في الفصل الأول عن الأوضاع الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي ، ظهرت مجموعة من المدن كمعالم حضارية بارزة سواء في المغرب الأدنى أو الأوسط ، و لعل أهمها القيروان ببلاد المغرب الأدنى و في المقابل القلعة (قلعة بني حماد) ببلاد المغرب الأوسط.

و انطلاقا من النظرية الخلدونية التي تظهر بأن طبيعة بطون بني هلال منافية للعمران ، وهي لا تختلف على نظرة ابن عذارى في وصفه للحدث. كما أن جل الكتب (المصادر الجغرافية) تظهر الدور التخريبي لبطون بني هلال ، وهو ما حصل للقيروان و القلعة ... وكأنهم قرروا تدمير ما شيده عرب الفتح ، امحت آثار الحضارة (الحركة في المدن والأمصار من داخل المغرب) ، خاصة تلك المنطقة المسماة اصطلاحا بالمغرب الأوسط ، والذي كان تمدينه أكبر مكسب للإسلام في جل القطر ، وقد حدث أن انحصرت الحضارة بعدئذ إلى مدن الشاطئ كما كان الأمر أيام الرومان .[1]

وها هو ابن خلدون حسب نظريته يذكر:" أن خروجهم – هنا لا يحدد العرب من أي جنس و لكن في الأخير سيذكر بطون بني هلال– عن الحكم وعدم الانقياد له طبيعة منافية للعمران ... وغايتهم الرحلة والتقلب و ذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له ، فالحجر مثلا حاجتهم إليه نصبه أثافي للقدور فينقلونه من المباني و يخربونها ... و الخشب إنما حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم و يتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف لذلك فصارت طبيعتهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران ... و أنظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه ... وبدلت الأرض فيه غير الأرض."[2]

[1]– عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ص 96.

[2]– ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الأول ، ص ص 270–272.

وهنا يحدد بطون بني هلال لما جازت هي و بني سليم منذ عهد المائة الخامسة وتمرسوا بها ل 350 من السنين قد لحقا بها و عادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان و البحر الرومي كله عمران تشهد به ذلك آثره .[1]

وهذا جزء من كلامه في مقدمته الذي هو جزء من تاريخه العبر ، والذي يذكر فيه:" أنهم نازلوا المعز بن باديس **بالقيروان** و حاصروها سنة (446هـ) فهلكت الضواحي و القرى بإفسادهم و عيثهم ، ولما فر أهلها إلى سوسة وتونس عم النهب و العيث في البلاد"[2]، حين شرعوا في هدم الحصون و القصور ، وقلع الثمار ، وتعمية العيون ، وخراب الأنهار.[3]

ولما كان دخولهم للبلد سنة 449هـ استباحوه و اكتسحوا المكاسب و خربوا المباني وعاثوا في محاسنها ، وطمسوا من الحسن و الرونق معالمها ، و استصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها و شملوا بالعيث و النهب سائر حريمها.[4] وكان ذلك حال مدينة القيروان عندما انتهبت العرب أمصارها و خربتها.[5] وكان من أسباب جلاء أهلها إضافة إلى ذلك التخريب.[6]

وهو ما يذهب إليه المراكشي:" على أن الأعراب انتهبت المدينة وخربتها ، وهي حسبه كذلك خراب إلى اليوم (581–621هـ) فيها عمارة قليلة و يسكنها الفلاحون و أرباب البادية "، كما يضيف أنها كانت دار العلم بالمغرب – فقد فاقت في قيمتها العلمية مصر و بغداد حسب سكانها ، و عدت من رابع الحواضر الإسلامية بعد البصرة والكوفة و دمشق[7]– منذ الفتح إلى أن خربتها الأعراب.[8] والتي يرجعها ابن حزم إلى قبيلة رياح بإفسادهم لإفريقية.[9]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 272–273.

[2]– المصدر نفسه ، ص 21.

[3]– النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص 121.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 22. النويري ، المصدر السابق.

[5]– ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 294.

[6]– ابن أبي دينار القيرواني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص 83.

[7]– يوسف بن أحمد حوالة ، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن 5هـ ،ج1 ، ص ص 150–151 . ويحدد التاريخ بمنتصف القرن الخامس هجري و هو نفسه تاريخ دخول بطون بني هلال و أحلافها من العرب المنطقة.

[8]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص 441.

[9]– ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص 275.

حتى أن بقايا و آثار المدينة عادت مهددة بالاندثار ، فهناك سور تعرض في العهد الحفصي عديد المرات للترميم و الإصلاح ، بتدخل بعض المتطوعين من مالهم الخاص ، أو مال الأوقاف المحبوسة عليه .

وكان أن زارها المنصور الموحدي سنة 583هـ فأبدى تعجبا لما حل بها من طمس وتراجع.[1]

وهذا ما تناقلته كتب التاريخ عن حال المدينة و اندثار معالمها الحضارية ، وهو نفس ما ذهبت إليه جل الكتابات الجغرافية سواء المعاصرة للحدث أو المتأخرة.

فالبكري (ت 487هـ) يذكر أن القيروان سنة اثنين و خمسين سبيت و أخليت ، ولم يبق فيها إلا ضعفاء أهلها.[2]

وهذا ما أكده الإدريسي على أن دخول العرب (بطون بني هلال و أحلافها) كان بمثابة النقمة " فسلط الله سبحانه عليها العرب و توالت الحوائج عليها ، حتى لم يبق منها إلا أطلال دارسة و آثار طامسة ."[3] وفيه تلميح إلى اندثار المعلم الحضاري.

و العبدري ينقل لنا من خلال رحلته بأن:" المدينة وضعت في سبخة قرعاء لا ماء بها ولا مرعى ، و أن أهلها جفاة الطباع ليس لهم من رقة الحضارة باع ."[4]

ويشير صاحب كتاب الاستبصار المجهول على أن:" الطريق بين قصور قفصة و القيروان ، لا أنس بها من وقت دخلت العرب إفريقية."[5]

و يذهب الحميري إلى أكثر من هذا فهي حسبه :"كانت دار ملك المغرب ، وشهدت العديد من فترات الملك و تعدد الدول ، وحل بها الفقهاء و العلماء و الصالحون، ما لم يكن مثله في قطر الأرض ، إلى أن حلت بها محنة العرب و الفتن ، فخلت من الناس و ذهبت نضرتها و محاسنها(أي أنها اندثرت و تقوضت)".[6]

---

[1]– أحمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج1 ، ص 212.

[2]– أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص 26.

[3]– الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 110.

[4]– العبدري ، الرحلة المغربية ، ص 64.

[5]– مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 154.

[6]– الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص 487.

وهذا في إشارة إلى أكبر معلم حضاري بالمغرب الأدنى (إفريقية) ألا وهو القيروان ، ونفس الأمر حدث لمعلم حضاري لا يقل عنه أهمية ببلاد المغرب الأوسط **القلعة** – أو **قلعة بني حماد**– ولم يختلف مصيرها كثيرا عن مصير القيروان.

فبعد هزيمة بطون بني هلال للناصر بن علناس في موقعة سبيبة سنة 457هـ[1] الذي فر إلى قسنطينة ورياح تلاحقه ، و ما أن وصل القلعة نزلوا بها و خربوا جنباتها و أزعجوا ساكنيها ، وعطفوا على المنازل والقرى و الضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن و أوحش من جوف العير ، وغوروا المياه و احتطبوا الشجر و أظهروا في الأرض الفساد ، فهجروا ملوكها و لم يزل ذلك دأبهم بالقلعة إلى أن هجرها الناصر و اختط بالساحل مدينة بجاية.[2] في وصف تاريخي يوحي بدرجة تخريب المعلم الحضاري المتواجد بالمغرب الأوسط .

وبعد بناء مدينة بجاية و تعميرها انتقل الناس إليها ، ولم تزل القلعة تنقص إلى أن استولى عليها الخراب[3] ، في إشارة إلى الدور التخريبي لبطون بني هلال ومن معها إذا حلل النص الجغرافي جيدا فالمدينة لم تبن إلا بعد هزيمة الهلاليين للناصر بن علناس.

ولم يتوقف حجم الضرر عند هذا بل تعداه ، عندما أطلقت العرب يدها على الطريق الواصل بين القلعة وبجاية.[4]

والحال نفسه من الجهة الشرقية لمدينة القلعة ، فالطريق من القيروان إلى قلعة أبي طول و هي (قلعة حماد) ، مما يلي بلاد الصحراء مدن كثيرة خربتها العرب عند دخولهم البلاد.[5]

أي أنها لم تكتف بالمعالم الحضارية القلعة و القيروان بل حتى المدن والقرى المجاورة لها. وبالتالي تغيرت حال المدينتين منذ دخول بطون بني هلال و أحلافها إلى بلاد المغرب.

---

[1]– النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص ص 122–124. و ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 299.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 27. عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 370.

[3]– الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص 470.

[4]– الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ص 118–121.

[5]– مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 161.

ب/– طغيان الأدب (الشعر) على العلوم الأخرى:

وهذا الجزء من الدراسة يرتبط ارتباطا وثيقا بما حدث للمعالم الحضارية السابقة الذكر كالقيروان والقلعة ، حتى أن القيروان عُدَّت من رابع الحواضر الإسلامية و أن العلوم بها فاقت مصر و بغداد [1]، وهذا قد تم التطرق إليه في الفصل الأول – الأوضاع الثقافية ببلاد المغرب قبل الدخول الهلالي– ، و انطلاقا مما ذكره الحميري أنه نزل بها العلماء و الفقهاء و الصالحون ، ما لم يكن مثله في قطر الأرض لكنها تعرضت للخراب والفتن والمحن.[2] ومنه تراجعت و تدهورت الحياة العلمية بالمنطقة.

وهو ما أثبته أحمد حسن حين أورد أن الحديث أصبح عن القيروان المختصرة خاصة بعد هجرة سكانها ، والتي تنكرت حتى لعلمائها تاركة منازلهم خارج السور.[3]

وقد اهتمت بالشعر و الذي لم يرق إلى المستوى المطلوب – إلا أنه سيبلغ ذروته في فترات لاحقة – فيما يسمى بالشعر العربي البدوي ، لأنه لا يلتزم بعلم العروض المتعارف عليه ، وعلى الإعراب المتعارف عليه.[4]

وحتى و إن ظهرت تلك الحركة الدينية فإنها تأخرت حتى لنهاية القرن السابع هجري وبداية القرن الثامن هجري مع ظهور سعادة الرياحي العالم بالسنة [5]. ما جعلها لا تولي عناية بالغة بالعلوم بمختلف أشكالها ، و إنما اهتمت بذلك الشعر الذي قلما يقال عنه أنه يلتزم بعلم العروض و الإعراب ، وظهور ما يسمى بالقصص الشعبي.[6]

وما يهما يكن من أمر وعند البحث في كل المصادر أو المراجع التي اهتمت بتلك الهجرة و انتقالها إلى أرض المغرب و حتى بعد استقرارها ، فلم يرد أي شيء يتعلق بالحركة العلمية سوى ما يسمى بملحمة أبي زيد الهلالي[7] أو ما يعرف بالشعر البدوي.

[1]– يوسف بن أحمد حوالة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 150–151.

[2]– الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص 487.

[3]– أحمد حسن ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 211–212.

[4]– بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ و الهجرة و الاستقرار) ، ص 33.

[5]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 51 –53.

[6]– عبد الحميد يونس ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي ، ص ص 106–111.

[7]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص ص 168–169. حتى و إن كانت من بعض الآثار الإيجابية .

ثانيا : الآثار الإيجابية لتواجد بطون بني هلال .

إن دراسة الجوانب السلبية لتوطن بطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي ، لا ينفي أن تكون تلك القبائل قد تركت آثار إيجابية .

وهو ما سيدفعنا لدراسة الآثار المترتبة على هذه البطون بعيدا عن تأويلات المدرسة الاستشراقية ، التي استمدت أفكارها من بعض الكتب التاريخية و الجغرافية المهتمة بالموضوع ، ولعل أبرزها ابن خلدون سواء في كتابه المقدمة الذي هو جزء من تاريخ العبر.

والذي يظهر في كثير من الأحيان وحسب بعض الدارسين متناقض في كتاباته التاريخية[1] ، فمن خلال مقدمته يورد المساوئ في (أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط)[2] ، ثم في أن (العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب)[3].

و ما ينفك في ذكر إيجابياتهم في أن (البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر)[4] ، وبعد ذلك (البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر)[5] ، وفي أن (الأمم الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها)[6].

و بالرغم من دقة ملاحظاته و أهميتها و التي لا تتحدث عن البدو في المطلق بل ما كان عليه أعراب المغرب في عهده ، لذلك وجب مراعاة الوضع النفساني الذي كان عليه (الاعتكاف بقلعة بني سلامة) ، و بالتالي حالته النفسية هي التي تفسر إخفاقه في تحديد العربي الذي يصف ، فبعد وصفه للعربي بالمتوحش يرجع و يؤكد على قدرته على الاستفادة من النظم والحضارات التي تعامل معها ... و بالتالي فإن الغزوة الهلالية أثرت سلبا و إيجابا على كامل بلاد المغرب.[7]

[1]– خالد كبير علال ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة (دراسة نقدية تحليلية هادفة) ، ط1 ، دار الإمام مالك ، البليدة – الجزائر– ، 2005 ، ص ص 76 –80 . في الجزء الذي أسماه موقف ابن خلدون من العرب.

[2]– ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الأول ، ص 269.

[3]– المصدر نفسه ، ص 270

[4]– المصدر نفسه ، ص251

[5]– المصدر نفسه ،ص228

[6]– المصدر نفسه ، ص225.

[7]– محمود أحمد أبو صوة ، تاريخ العرب الاجتماعي و الاقتصادي في العصر الوسيط ، ص ص 26–28.

وهو في إطار هذه النظرية العامة بحديثه عن علاقات البدو والحضر ، و التي لم تتضح إلا بعد ثلاثة قرون من الزمن من تاريخ قدوم بطون بني هلال لبلاد المغرب ، فهو إذن لا يعبر عن الحقيقة كاملة بقدر تلك المواقف المتباينة لأهل عصره تجاه الأعراب ، لا تخلو من الإعجاب تارة و الإدانة تارة أخرى ، فقد يشيد ببأسهم و سجيتهم و علو أخلاقهم كما لم يمنعه من وصفهم بوحشية لا مثيل لها.[1]

وباعتبار ابن خلدون من أبرز المؤرخين الذين تحدثوا عن تلك الهجرة ، ولا ننسى أن جل المصادر التاريخية التي أوردت الحدث لا تختلف عن نظرة ابن خلدون فتعتبرها بمثابة زحف كارثة حلت بالبلاد المغرب ، فتركته يعيش هوة سحيقة بإضعاف اقتصاده و المساهمة في اندثار معالمه الحضارية ، وهذه النصوص التاريخية مستمدة من الروايات المعاصرة للحدث كشعراء القيروان ومؤرخيها مثل الحصري و ابن شرف و ابن رشيق و أبو الصلت ، أما المصادر الأخرى جاءت متأخرة كالإدريسي ، ابن الأثير ، ابن عذارى ، التجاني و آخرهم ابن خلدون.[2]

والتي خلفت لوحات مقتضبة و أحيانا مضطربة ربما حتى من حيث توقيت الحدث ، وتصفهم بالمخربين ، محملة إياهم فساد أمنها و اقتصاد المغرب ، خاصة الأدنى وبدرجة أقل الأوسط ثم الأقصى .

فوجدت الكتبات الاستشراقية ضالتها في تلك النصوص خاصة ابن خلدون ، مما جعلها تغض عن بعضها الآخر الطرف بحكم أنه يقوّم ويحدد مدلولها و نسبيتها و تصمت عنها ،فهناك نص يثبت نصيب الأمير الزيري المعز في صنعه ، ليس من سوء تدبير الانشقاق عن الفاطميين و قتل شيعتهم ، فإنه سعى منذ بداية مع بطون بني هلال من رياح إلى استمالة أحد أمرائهم يحي بن موسى الصنبري ، عندما صاهره و قام بمفاوضته في استدعاء العرب للاستغلاض على نواحي بني عمه[3] ، وحمل بسوء سياسته العرب على تنفيذ ما

---

[1]- محمد الهادي الشريف ، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية ، ص 91.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 20.

رسمهم لهم المستنصر ووزيره من تملك المناطق[1] وهو في حد ذاته لم يكن يعني بالعرب إلا الأعراب ، فهؤلاء رحل و أهل بداوة ، و أن الآخرين بناة عمران ودول.[2]

وكما أشرنا سابقا فإنها تجاوزت حدود الوصف إلى حد الاتهام و إلصاقها بالعرب – بطون بني هلال و غيرهم– مثلما فعل أحدهم عندما غير كلمة بدو ، رحل ، أعراب ، رعاة بكلمة عرب لترسيخ فكرة أن العربي مخرب.

وكلها وحسب بعض الدارسين[3] أوغلت و تجاوزت حدود الاتهام بتأويل النصوص التاريخية متناسية أخرى . مثلما يذكره ابن خلدون أو حتى ابن عذارى في أن المعز كان كارها لأبناء عمه من صنهاجة محبا للاستبدال و حاقدا عليهم [4]، فهي أدخلتها في صراعها بعد ذلك الانقسام ، وهو ما حدث بين ابنه تميم و ابن عمه الناصر بن علناس و وظفتهم في ذلك الصراع[5] . فأمراء تلك المناطق أسهموا بطريقة أو أخرى في المساهمة في ذلك التخريب الذي لحق بالمنطقة.

ولماذا تتناسى تلك الدراسات الاستشراقية ما ذكره ابن عذارى نفسه فيما حل بالمنطقة من كوارث طبيعية (رياح ، عواصف ، جدب ...) قبل تلك الهجرة الهلالية.[6]

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 184.

[2]– سالم حميش ، عن صورة المغرب في بعض الدراسات الاستشراقية (المغرب في الدراسات الاستشراقية ، مطبوعات المملكة المغربية ، سلسلة الندوات ، مراكش ، 1993 ، ص ص 76–77.

[3]– وحسب هذه المراجع المهتمة بالدراسة فإن ما دفعهم لتأويل النصوص التاريخية بعلم منهم أو بدون علم ، ما هو إلا لخدمة أغراضهم الذي غذته النزعة الاستعمارية الأوروبية في محاولة إلصاق التهم بالعرب و الهجرة الهلالية بوجه الخصوص و إظهار التاريخ الوسيط بأنه عصر الانحطاط ومن هؤلاء غوتيه و روجي إدريس و جورج مارسي و جوليان و غيرهم . أنظر عن هذا : علاوة عمارة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص ص 07 –38. والذي أظهر من خلالها أن هناك من بعض الكتاب العرب من اتبع أسلوب المستشرقين في وصف الهجرة بالكارثة و إسهامها في تدهور الأوضاع الاقتصادية من خلال تحويل النشاط الزراعي إلى رعوي ... و ذكر أيضا أنه ظهرت الكثير من الدراسات العربية التي تجاوزت تلك الفكرة مما جعلها في وضع مدافع عن بطون بني هلال ، بل و امتد الأمر إلى بعض الدراسات الاستشراقية نفسها خاصة بعض الكتاب الألمان و الإيطاليين. أنظر أيضا عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ،ص 97–106. سالم حميش ، المرجع السابق ، ص ص 75–84.

[4]– ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 288. ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 20.

[5]– النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص ص 122–124. ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 299.

[6]– يذكر أنه في عهد المعز بن باديس مرت البلاد بأوضاع مختلفة فبعض الأحيان يعم الرخاء ، و أخرى تمر بسنوات عجاف ، ففي سنة 422هـ تميزت بكونها سنة خصب و رخاء و كذا الأمر سنة 430هـ ، أما سنة 425هـ كانت هناك مجاعة شديدة حلت بالمنطقة ، وفي سنة 437هـ اشتدت بالمنطقة رياح عاصفة دمرت كل ما مرت به من أشجار لشدتها و قوتها . أنظر : ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص ص 275–276.

وهي في حد ذاتها وجدت نفسها بين نارين ، وفي صراع سياسي غذته النزعة الدينية بين الفاطميين و تلك الدول و هي نفسها كانت متصارعة فيما بينها. "فنزلوا على المعز لا حبا في نصرة الفاطميين و لا بغضا في صنهاجة ، ولكن طلبا للرزق للتقلب في باديته بين الصحراء و التل".[1] و لربما كان المعز خلص المنطقة من دخولهم و عددهم لم يكن يتجاوز ثلاثة آلاف و من جهتهم تراوحت أعداهم بين 30 إلى 80 ألف[2]. إلا أنهم تخاذلوا أمامهم وأكسبهم صيتا ملأ قلوبهم رعبا و كان بمثابة الدافع في هزيمتهم في الحرب.[3]

ولا ننسى أيضا ما حل بالمنطقة من ثورات وتمردات من البربر وزناتة ومحاولة استقلالهم كما حدث في عهد الدولة الزيرية في حد ذاتها ، قبل تلك الهجرة أو بعدها.

و هذا ا جعل المؤرخين يتحدثون على أن قدوم بطون بني هلال ، قد سرع في صيرورة انهيار إفريقية الزيرية باعتبارها على " شفة هوية " ، و أن نظرية الحدث الحاسم (الكارثة الهلالية) غير قادرة على تفسير الأحداث الكبرى التي شهدتها بلاد المغرب ابتداء من القرن 5هـ و استمرارها لأكثر من قرنين من الزمن ، ومنه فتلك الهجرة لا تشكل الموضوع الرئيسي لابن خلدون في مقدمته و تاريخه العبر و التي أشار إليها ضمن عدد كبير من أسباب الاضطراب الأخرى.[4] والمؤرخ ابن خلدون نجده يذكر على أن العرب – بطون بني هلال – بعد تمكنها من هزيمة الناصر بن علناس سنة 457هـ ، ولاحقته رياح بعد نجاته إلى قسنطينة ، فلحقوا بالقلعة وخربوها ، وبقية المناطق المجاورة لها المسيلة وطبنة التي خربوها أيضا و أعجزوا ساكنيها ، وجازوا على القرى و الضياع والمنازل و المدن ، فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن و أوحش من جوف العير.[5] الذي يجد فيه الميلي مبالغة لأن الإدريسي حسبه تتبع الحملة الهلالية أحسن تتبع و وصف المسيلة وطبنة وغيرها

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 184.

[2]– النويري ، نهاية الإرب...، ج24 ، ص ص 119–120. ابن غلبون ، التذار ، ص 26. ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 290 . ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ،ص 21. ولهذا لماذا يتم إهمال هذه الحادثة التاريخية من قبل المؤرخين ، خاصة المستشرقين لأن بطون بني هلال تعرضت لمواجهة شرسة من قبل صنهاجة وجيوش المعز.

[3]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 184–185.

[4]– محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 92.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 27.

بالعمران.[1] وحتى بملاحظة هذه المدن و غيرها فإنها ليست بحجم العمران و الاقتصاد الذي و صلت إليه مدن أخرى – كتونس و المهدية و قابس و بجاية و الجزائر – التي ظلت بعيدة عن الأحداث لأنها مدن ساحلية ، حتى أنه وقع الاتفاق بينهم وبين الحماديين على احتفاظهم بالمدن و ترك الأرياف لهم (لبطون بني هلال خاصة الأثبج).[2]

وهذا ما يتضح أيضا بدراستنا لمناطق استقرار بطون بني هلال ، الذي يمكن أن يقودنا لاستنتاج ضمني بأنها استقرت بمناطق لا يمكن أن تخرب فيها ، إلا أنها ظلت ناجعة بين صحاريها و تلها ، فماذا يمكن أن تخرب في الصحراء أو المناطق التي تسمى اليوم جغرافيا السهوب أو الهضاب؟ التي تبقى دائما بحاجة ماسة إلى المياه ، وهي موطن السكان المختصين بالنشاط الرعوي وتصبح هنا في تكامل الأنشطة البدوية بالأنشطة الزراعية فقطعان الماشية و التي ترعى في المناطق غير المستغلة زراعيا تساهم في إخصابها و زيادة قيمتها الزراعية من ناحية أخرى[3] ، فبطون بني هلال وجدت ضالتها بتلك المناطق الشبيهة بصحراء نجد و الحجاز .

وبتتبع الأبعاد السياسية لذلك الاستقرار يظهر أن ابن الأثير و التجاني و ابن خلدون أوردوا آثار إيجابية لتلك البطون عند الحديث عن إمارة بني جامع ، و حدث و أن تناسى ابن خلدون ما ذكره في البداية على أن التخريب ساد المنطقة وهو يذكر محاسن إمارة بني مزني ببسكرة و بلاد الزاب المنطقة الصحراوية ، ما دفعه إلى الاستقرار بها والتقرب من أمرائها لمدة من الزمن (حتى و إن كانت بعض الأحداث لا ترتبط بالمدة البحثية).

و لا يمكن أن ننسى أن المرابطين – الذين قدم لهم الهلاليون مساعدات كبيرة في جهادهم بالأندلس – تركوا بعض الخلفاء المستقرين بالأندلس و بعض جزره ، وقام منهم بنو غانية بمجموعة من الثورات حتى و إن كان منهم بطون بني هلال – فبطن منهم (زغبة) ظل يذود عن دولة الموحدين ويتحالف معها–.

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 185.

[2]– وهو ما ساعد على التقارب بين العرب و البربر ، وأصبحوا طائفة مستقرة من المجتمع المغربي لتبدأ مرحلة التعايش . أنظر : عزي بوخالفة ، تغريبة بني هلال بين التاريخ و الرواية الشفهية الهلالية ، ص 89.

[3]– محمود أحمد أبو صوة ، المرجع السابق ، ص 24.

كما أن المنطقة إضافة إلى هذه الثورات تعرضت لمجموعة من الحملات الصليبية وغزوات النورمان المتكررة التي أسهمت في سقوط الدولة الزيرية ، لتظهر دولة الموحدين والتي وحدت كامل بلاد المغرب تحت رايتها ، و أخضعت تلك البطون و أدخلتهم في خدمتها و إن كان من أسهم في سقوطها بطون ألحقت ببني هلال و عدت ضمنها.

وانطلاقا من هذه المؤشرات و الدلائل التاريخية لا يمكن أن نغير التاريخ فما حدث فقد حدث ، و لكن " ليس كل ما قيل كما قيل" خاصة إذا تعلق الأمر بالأخبار و الروايات التاريخية ، لذلك لا بد من تجاوز النظرة الاستشراقية التي لا ننتقدها على ما نقلته من المصادر ، لكن بحكم أنها تمادت في تأويل النصوص التاريخية بدافع تحقيق جملة من الأهداف و ترسيخ مجموعة من الأفكار التي تحمل في طياتها وجهات نظر ينبغي إعادة النظر فيها ، و الابتعاد عن تفسيراتها المؤولة.

ونحن لا ننكر أنه كان لبطون بني هلال آثار و نتائج سلبية لا يمكن إغفالها ، غير أن الملاحظ أن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بفترة الدخول لبلاد المغرب ، بالإضافة إلى أنها جزء من كامل الأحداث التي عاشتها بلاد المغرب في تلك الفترة. ولكن عقب تلك الفترة أثرت إيجابا و خلفت الكثير من الآثار و التي لا يمكن إغفالها أيضا ، سواء من الجانب السياسي حينما أسست الإمارات و ردت الاعتداءات الخارجية (كأنها قبائل مخزنية تم توظيفها من قبل الدول) ، وحتى من الجانب الاقتصادي بجباية الضرائب و اهتمام بعض البطون بالتجارة. والأثر الإيجابي و الأكثر أهمية كان في الجانب الاجتماعي عندما صبغت المنطقة بالصبغة العربية – التعريب– و أتمت ما قام به الفاتحون ، الذين اعتنوا بنشر الدين الإسلامي.كما أنه انتشرت التقاليد الاجتماعية العربية ، و حدث التعايش بين العرب و البربر – في إطار فكرة قبول التعايش مع الآخر– وتنوعت التركيبة الاجتماعية .

و أيضا قد تمكنت من تجاوز مرحلة البداوة ، وكان لها أثر في بعض الجوانب الحضارية والثقافية ، ومن أبرزها دورها التارخي في الحروب الصليبية و الجهاد بالأندلس على عهد المرابطين أولا و الموحدين ثانيا. كما اهتمت بالجانب الثقافي و أسهمت في ظهور الشعر الشعبي ، و ظهر الاهتمام لدى البعض من أفرادها بالعلوم الدينية .

وهذا كله سنتطرق إليه في هذا الجزء الخاص بالآثار الإيجابية لبطون بني هلال

1/– سياسيا :

رغم الاتهامات التي ألحقت بهجرة بطون بني هلال في أنها ساهمت في تدهور الأوضاع السياسية بمنطقة المغرب الإسلامي ، اعتمادا على مجموعة من الدراسات التاريخية التي أعطت صورة غير واضحة (بحكم أنها ذكرت السلبيات و الإيجابيات) لبعض المؤرخين في زيادة حجم الاتهامات و العمل على ذكر المساوئ فقط.[1]

لأنه بالتمعن في بعض الدراسات المرتبطة بالحدث في حد ذاته ، فإن حجم تأثيرها منذ دخولها لبلاد المغرب الإسلامي الذي كان في القرن 5هـ/ 11م اختلف خلال القرنين اللاحقين (6هـ/7هـ–12م/13م).[2]

ولا ينبغي تحميل بني هلال ما حل بالمنطقة ، بل وجب ربط الأمور ببعضها البعض ومن ثمة إطلاق الأحكام ، خاصة خلال القرن 5هـ فإنه ظهر الصراع حول مناطق النفوذ بحوض البحر المتوسط ، مع ظهور القوة المسيحية [3] ، و أن التراجع الذي مس إفريقية أو حتى الأندلس الأكثر تمدينا في تلك الفترة منوط بتراجع الخلافتين العباسية و الفاطمية بنجاح أول حملة صليبية و احتلال الإفرنج لبيت المقدس.[4]

ففي المجال السياسي كان لها بعض الآثار الإيجابية لأنه باستقراء الأحداث فالكثير من بطونها دخل في خدمة الدول من الدولة الزيرية إلى غاية سقوط الموحدين و ظهور الدول الثلاث ، التي أدخلتها في خدمتها أيضا . وهذا الارتباط لم يسمح لها بأن تستقل عن تلك الكيانات السياسية القائمة آنذاك ، أي أنها ظلت على ذلك الولاء و نجحت في إقامة بعض الإمارات ككيانات سياسية قلما يقال عنها أنها مستقلة لافتقادها لشرط السيادة ، حتى و إن وجدت بعض الإشارات على أن بعض الإمارات منها كان بحجم دولة[5] لتمكنها من تجاوز مرحلة البداوة و الاهتمام بالأنشطة المختلفة الاقتصادية و الثقافية.

---

[1]– محمد الشريف ، تاريخ تونس ، ص 51. أنظر أيضا : محمد حسن ، المدينة و البادية ... ، ج1 ،ص ص 8–9.

[2]– حين بدأت تظهر آثارها الإيجابية سياسيا بالمنطقة . أنظر : حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 262.

[3]– محمد الشريف ، المرجع السابق .

[4]– عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، ص 98.

[3]– سميرة السقا ، دولة بني مزني ببسكرة من خلال كتاب العبر لابن خلدون ، ص ص 14–24. و في المجلة في حد ذاتها موسومة ب " دولة بني مزني ببسكرة 1279–1402م .

أ/– تأسيس الإمارات:

لقد تمكنت بطون بني هلال في وقت وجيز من أن تظهر نفسها على الساحة السياسية ، بعد دخولها لبلاد المغرب الإسلامي ، و تلك الإمارات التي انتشرت بشكل كبير في الجزء الشرقي منه ، أي المغرب الأدنى (إفريقية).

وكانت بلاد المغرب قد شهدت جملة من التطورات ، خاصة أثناء سيطرة العرب على القيروان ثم القلعة ، فانقسمت على نفسها إلى دول للطوائف – حتى و إن كان بعض منها قد ظلت إمارات – فاستولت بطون بني هلال على المناطق الممتدة داخليا بشكل عرضي من قابس إلى الغرب ، واحتفظ بنو زيري على المهدية و ما جاورها ، و استقر بنو حماد ببجاية ، كما استقل حمو بن مليل البرغواطي بسفاقس بعد مساندة بعض بطون بني هلال[1] ، كما استقل بنو خراسان بتونس سنة 458هـ [2] ، وحاكم قفصة[3] الزيري الذي خرج عن سيده و استعان بالعرب في توسيع نفوذه.[4]

فكانت بطون بني هلال و بحكم ذلك التوسع العرضي من قابس إلى الغرب سمح لها بإقامة مجموعة من الإمارات . و فتح المجال أمامها لتدخل المعترك السياسي.

بحيث اعتبرت قبائل رياح[5] أول من أقامت كيانا سياسيا تمثل في إمارة بني جامع (من أولاد مكي بن دهمان) بقابس[6] ونجحوا في جعلها من أهم الحواضر و يشهد على ذلك الشعراء الذين امتدحوا أمراءها.[7] و أصبحت بمثابة دويلة محلية تمكن من إدارتها أربعة أمراء الذين اهتموا بالجانب السياسي الإداري (مثل توظيف الحجاب لمساعدة الأمراء وإقامة البريد) والعمراني و حتى الثقافي حين عملت على ترقية الشعراء إلى مناصب عليا في الإمارة . واستمرت من القرن 5 هـ إلى النصف الأول من القرن 6هـ ، و أقامت علاقات

---

[1]– ابن عذارى ، البيان ، ج1 ،ص 299.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 217–219 .

[3]– وهم بني الرند الذي ملكوا قفصة سنة 545هـ . أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 220.

[4]– السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 587.

[5]– الذين كان فيهم ملك العرب القديم ببلاد المغرب ، وتمكنت من إقامة ملك لها ببلاد المغرب الأدنى . أنظر : القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 267.

[6]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 221.

[7]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص 287–288.

متعددة مع الدول القائمة آنذاك على رأسها الدولة الزيرية إلى أن تمكن الموحدون من القضاء عليها وضمها إلى المناطق التي سيطرت عليها بالمغرب الأدنى.[1]

وليست هذه الإمارة الوحيدة التي أقامتها إحدى بطون بني هلال وهي "رياح"، فقد ظهرت مجموعة من الإمارات و على فترات متلاحقة انتسبت لهذه البطون أو كانت تحت حمايتها ، فكان البعض منها قد ظهر مباشرة عقب دخولها لبلاد المغرب كالإمارة السابقة الذكر ، وإمارات ظهرت معها في نفس الفترة أما الأخرى فقد ظهرت خصيصا في عهد الدولة الحفصية . ما يعطينا صورة على أنها اختصت بالمغرب الأدنى (إفريقية).

بحيث ظهرت إمارة تحت حماية قبائل مقدم من الأثبج ، وهي إمارة بني الورد من لخم ببنزرت.[2]

ولا يمكن إغفال الدور السياسي الذي ظهرت عليه رياح ، عند تمكن أشهر بطونها بنو فادغ من علي بن هلال من الاستيلاء على سوسة ، و أقاموا بها إمارة مستقلة و من أبرز أمرائها جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العينيين الفادغي العلوي الهلالي.[3]
والذي لقي هو الآخر مدحا كبيرا من طرف الشعراء ، حين اهتمت القبائل العربية في امتداح جبارة و كان لسنوات عديدة عقب حكمه.[4]
و هذا يدل على تأثير بني فادغ في حاضرة سوسة بإقامة هذا الكيان السياسي ، وعلو مكانتهم الذي أظهره اهتمام العرب بالشعر و امتداحهم وولعهم به طوال تلك السنوات– وهو ما سنورده في الآثار الحضارية و الثقافية –
ورغم توجيه بعض المؤرخين لاتهامات خطيرة ضد رياح ، إلا أنها تمكنت في ظرف قصير من إظهار نفسها على الساحة السياسية ، رغم صعوبة تحديد الإطار الزمني – إمارة بني جامع و بني فادغ–.

---

[1]– أنظر الفصل الثاني من الدراسة (أهم الإمارات التي أسستها ببلاد المغرب) . أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 221–223. التجاني ، رحلة التجاني ، ص ص 94–101. النويري ، نهاية الأرب ... ، ج24 ، ص 134.
[2]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 287.
[3]– التجاني ، المصدر السابق ، ص 43.
[4]– والقصيدة تتكون من ثلاثة وسبعين بيت . أنظر : التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 44–52.

ولم تتوقف بطون بني هلال عند هذا بولوجها لعالم السياسة بل أنه في عهد الحفصيين تمكنت من إقامة إمارة اختلف حولها المؤرخون ، هل هي دولة أم مجرد إمارة ، وفي نفس الفترة تقريبا ظهرت إمارات عربية أخرى.

و الإمارة المختلف فيها هي إمارة بني مزني[1]، رغم الارتباط بمدة البحث (القرن5-7هـ/11-13م) ، إلا أنها استمرت ردحا من الزمن ، فظهر ذلك الاختلاف هنا وحسب أحد المؤرخين " فإمارة بسكرة لم يستحدثها بنو مزني ، و إنما تعد عريقة وقديمة حين كانت إمارة لزناتة و بقايا الأفارقة منهم فيما بعد كبني رمان ، أو أنها ترجع إلى عهد الخلافة الفاطمية وربما أبعد من ذلك حين كانت تسيطر عليها زناتة."[2]

ولكن الميلي له رأي آخر فإن الزاب لم يعرف عصرًا مثل عصرها بحسن تدبير أمرائهم وإدارتهم وما تمخض عنه من رخاء و رغد ، في الفترة الممتدة من 378-804هـ/1279-1402م خاصة في القرن 7هـ حين تمكن الفضل بن علي ومن ثمة ابنه المنصور من توطيد دعائم الإمارة.[3]

و ما يؤكد ذلك اختصاصها بمجال و امتداد جغرافي معلوم من المسيلة ونقاوس شمالا إلى ورقلة جنوبا ، ومن الدوسن غربا إلى بادس شرقا ، كما دخلت مواطن لعياض في نطاقها الجغرافي على عهد المنصور[4] الذي وطد دعائم الحكم للإمارة سنة 396هـ(نهاية القرن 7هـ) [5]، وهي بهذا نجحت في تأسيس كيان سياسي ذا حدود جغرافية معلومة و برزت بفعل الإطار الزمني الذي استمر قرن ونصف قرن من الحضارة و النضارة.[6]

وما سمح لها بأن تظهر بهذا الشكل و استقلالها ذاتيا هو الفراغ السياسي للدولة الحفصية بسبب النزاعات بين أسرها الحاكمة و تمردات العرب الذواودة من جانب آخر فقامت حينها باستغلال الأمر [7] ، ونظرا لهذا الارتباط بالحفصيين لا يمكن أن تعرف بالدولة (افتقاد شرط

---

[1]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 585.

[2]- بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم ... ، ص 32.

[3]- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص ص 369-370.

[4]- رضوان شافو ، وادي ريغ أيام إمارة بني مزني ، ص 175.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 586-588.

[6]- حفناوي بعلي ، عبد الرحمن بن خلدون في ضيافة إمارة بني مزني ... ، ص 34. الميلي ، المرجع السابق ، ص 369.

[7]- رضوان شافو ، المرجع السابق ، ص 175.

السيادة) ، والذين جمعتهم بهم علاقة خاصة تمكنوا بفضلها من توسيع مناطق نفوذهم ، ففتح لهم المجال للاهتمام بالجانب الاقتصادي حين تولوا جباية السلطان فاغتنت خزانة الإمارة والدولة بالأموال. وهو ما أثار حفيظة سعادة الرياحي حين دعا أميرها لإعفاء السكان من المغرم و الضرائب ، فظهر من الناحية العلمية كشخصية دينية مؤثرة.

واهتم أمراؤها خاصة المنصور بن الفضل بالعمران حين شيد أحد الحصون و القصور من أجل عسكرة الجند.[1]

وقد تأسست على عهد الحفصيين مجموعة من الإمارات العربية ببلاد الجريد ، كإمارة بني يملول بتوزر و بني الخلف بنفطة و بني أبي المنيع بالحامة[2] ، وبني مكي بقابس [3]، ثم بني ثابت أمراء مدينة طرابلس و أعمالها[4] ، للتأكيد على أن العرب بيما فيهم بنو هلال حتى وإن ساهموا في تدهور الأوضاع السياسية ، فقد اهتموا من جانب آخر بالبعد السياسي في المنطقة بتأسيس تلك الإمارات ، والتي ظهرت كلها بالمغرب الأدنى إفريقية و أعمالها قابس و الزاب و سوسة و بلاد الجريد بصفة عامة.

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 587-588. أنظر : الفصل الثاني (أهم الإمارات التي أسستها " إمارة بني مزني") ، ص ص 138-144.

[2]- المصدر نفسه ، ص 595.

[3]- المصدر نفسه ، ص 606.

[4]- المصدر نفسه ، ص 613.

ب/– الدخول في خدمة الدول ورد الاعتداءات الداخلية و الخارجية :

سعت دول المغرب الإسلامي منذ وطأت أقدام بطون بني هلال أراضيها إلى استغلالها وتوجيه قوتها الحربية العسكرية و شجاعتها لخدمتها ، ويظهر هذا واضحا من خلال التتبع الزمني للأحداث سواء في حروبها مع بعضها البعض ، أو مواجهة القبائل المتمردة سواء من أبناء جلدتها أو القاطنة ببلاد المغرب الإسلامي ، و الأهم من هذا في رد الاعتداءات الخارجية.

و إذا تطرقنا لمرحلة الدخول ، فكانت رياح من أبرز البطون التي لقيت عناية خاصة من قبل الدولة الزيريرية ودخلت في خدمتها – حين حاول المعز إدخال أمير رياح في خدمته– [1] ، حتى و إن ظلت في بداية الأمر تهدف لتحقيق مصالحها و أغراضها الموكلة إليها من قبل الفاطميين ، ويظهر ذلك عند قيامها بالإيقاع بالناصر بن علناس في موقعة سبيبة.

أما البطن الآخر الأثبج فقد دخل في خدمة الدولة الحمادية ، حتى أنها أعطتها أهمية دون البطون الأخرى لأنها كانت من أقوى القبائل التي دخلت بلاد المغرب بحكم أنها ضمت تحت لوائها الكثير من البطون و صارت في عدادها[2] فظاهروهم على رياح وزغبة واختصوهم على غيرهم من الأحياء بالرئاسة سائر أيامهم. [3] وبتغلب الموحدين عليهم انتقل أميرين منهم إلى عبد المؤمن بن علي فأكرم وفادتهما و أدخلهما في خدمته.[4]

وفي عهد الموحدين ، خاصة المنصور الموحدي الذي قام بنقل جمهور منهم إلى المغرب الأقصى ، خاصة جشم و العاصم ومقدم من الأثبج و بطون قوية من رياح ، و أشهرهم جشم الذين كانت رئاستهم في سفيان لما دخلوا في خدمتهم.

و ما أثبت دورهم التاريخي في رد الاعتداءات حين اقتحم بنو مرين المغرب و ملكوا فاس ، لم يكن فيه حامية أشد بأسا من جشم ورياح حين حاربوهم – وقعت بينهم حروب ومعارك كثيرة– ، والذين بدورهم ما لبثوا أن دخلوا في خدمة المرينيين فانتقلت الرئاسة من سفيان إلى

[1]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 170.

[2]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص23.

[3]– المصدر نفسه ، ص 27–28.

[4]– المصدر نفسه ، ص28.

الخلط على طول عهد الدولة المرينية .[1] كما دخل بطن بني عامر بن رياح في خدمتها سنة 668هـ/1269م و حالفوهم منذ تأسيس دولتهم.[2]

ولا يمكن أن نغفل دور زغبة قبل كل هذه البطون ، عند امتداد مجال الموحدين ناحية إفريقية فكانت سندا لهم ضد ثورة ابن غانية ، و قاموا بحماية المغرب الأوسط رفقة بني بادين من زناتة.[3]

واعتبر بطن بني يزيد من أشهرهم حين أقطعهم الموحدون أرض حمزة و هذا من أجل مجابهة زناتة في المنطقة ، إلى حين تملكهم بجاية [4] – أي أنهم قاموا بحماية المغرب الأوسط– .

وعلى عهد الحفصيين ظهرت الأثبج من أبرز البطون التي دخلت في خدمتها و قامت بالدفاع عنها ، ذلك عند اصطناع كرفة منهم و غالبا ما يطالبهم السلطان بالعسكرة معه ويتم تعيين الجنود منهم[5]، ليتم اعتمادهم من الجبهة الغربية لدحر القبائل الرياحية.[6]

وعياض إخوانهم أيضا تغلبت عليهم الدولة و استغلتهم لمجابهة و مظاهرة رياح للدفاع عن الرعايا و جباية السلطان.[7]

وحتى رياح في حد ذاتها دخلت في خدمتها خاصة أولاد عساكر من الذواودة لرد اعتداء ابن شبل من بني عمهم على السلطان الحفصي.[8]

وفي عهد الدولة الزيانية دخلت في خدمتها زغبة لأنه ما يجمعهم بزناتة حسب ابن خلدون البداوة و عصبية الحلف[9]، و بحكم اختصاصها بالمغرب الأوسط منذ عهد الموحدين.

وبدأ ذلك عند تملك بني عبد الواد لتلمسان ، فعملوا مباشرة على دحر المعقل بردها ودفعها عن التل – و قام بذلك يغمراسن بن زيان لما نقل بني عامر من جوار بني يزيد إلى

---

[1]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 37.

[2]– عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1 ، ص 421.

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 54.

[4]– المصدر نفسه ، ص 55.

[5]– المصدر نفسه ، ص ص 31–33.

[6]– محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ص ص 98–99.

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 34.

[8]– المصدر نفسه ، ص 45.

[9]– المصدر نفسه ، ص 54.

صحراء تلمسان و معهم حميان لمواجهتهم – فاستقروا بالتل[1] ، و دخلوا في خدمة الدولة لرد الاعتداءات الداخلية.

و يغمراسن بن زيان أثناء خروجه في بعض حروبه يستخلف مكانه عمر بن مهدي من بطن سويد بن مالك بن زغبة على تلمسان و ما يجاورها من الشرق[2] (ما يوحي بالمكانة الكبيرة التي وصلت إليها في عهد الدولة و أصبح لديهم اهتمام بالنواحي الإدارية و السياسية ، وتوظيفهم من أجل رد الاعتداءات الداخلية على الحدود الشرقية).

وذوي عبيد الله من المعقل حالفو الدولة أيضا ضد بني عمهم كذوي حسان و ذوي منصور بحكم مجاورتهم لهم – لأن مواطنهم بين تلمسان و وجدة –

كما عمدت إلى جر البعض من تلك البطون لخدمتها ، بعد أن أدخلت عرب المنبات من الأحلاف من ذوي منصور من المعقل في خدمتها.[3]

و بالتالي ساهمت بطون بني هلال على تعدد فروعها سواء الرئيسية منها أو الملحقة في رد الاعتداءات الداخلية بعد محالفتها لتلك الدول التي ظهرت بالمغرب الإسلامي سواء ضد القبائل المتمردة كزناتة من البربر أو أثناء تمردهم ضد الدول ، ما جعلهم يهتمون بالنواحي الإدارية و السياسية . وينفي تلك الصورة السوداء التي قد رسمتها بعض الدراسات التاريخية عنهم بإسهامهم في تدهور الأوضاع السياسية ، حتى أنها لم تكن إلا جزء من ذلك الصراع الذي ظهر بين دول المغرب الإسلامي من القرن 5هـ إلى القرن 7هـ.

و هذا فيما يتعلق برد الاعتداءات الداخلية ، فهي أثناء دخولها في خدمتها لتلك الدول جعلها تظهر غيرتها على الإسلام خاصة برد الاعتداءات الخارجية التي يقودها النصارى والمسيحيون مما ينفي تلك التهم الباطلة المنسوبة من قبل بعض الباحثين لتلك البطون من ضعف في وازعها الديني وقيامها بالتخريب ، فقد كان لها دور كبير في التصدي للنورمان و غيرهم من المدن الإيطالية ، كما حدث عندما تعرضت المهدية و ضاحيتها زويلة لاعتداء بيزي جنوي سنة 480هـ/ 1057م ، وبشهادة أحد المعاصرين للحدث الذي نظم قصيدة

1– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 61.

2– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 154.

3– السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج3 ، ص 36.

تعرف بنصر البيزيين ، والتي تشيد بالدور الكبير الذي قامت به القبائل الهلالية في تصديها لغارة الصليبيين على المهدية والتي منها :

بَيْنَمَا كَانَ الرُّوم يَنْظُرُونَ إِلَى وَفْرَةِ الغَنَائِمِ .

إِذْ بِالقَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ تَدْخُلُ زَوِيلَة .

وَ كَانُوا مَهَرَةً مُحَنَّكِينَ فِي النَّظَرِ إِلَى الوَرَاءِ أَثْنَاءَ فَرِّهِمْ.

اِحْتَلَّ مَائَةُ أَلْفٍ مِنْ هَؤُلاَءِ البَوَاسِلِ زَوِيلَةَ.

وَ تَدَفَّقَ هَؤُلاَءِ العَرَبَ نَحْوَ السَّاحِلِ وَ مَلَأُوا الشَّاطِئَ.

وَ أَوْقَعُوا هَزِيمَةً بِبَقِيَّةِ البِيزِيِّينَ الّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَ المَرْسَى .[1]

وفي عهد الحسن بن علي آخر أمراء الزيريين ، قام باستقدام القبائل العربية و غيرهم من أجل الجهاد ، فلما كانت سنة 517هـ/1122م ظهر الدور البارز لبطون بني هلال وغيرهم في إلحاق الهزيمة بالنورمان في جزيرة الأحاسي (التي تبعد بعشرة أميال عن المهدية) في حصن الديماس ، حين أنهى التجاني قوله " فتخطفتهم سيوف الأعراب فقتلوا عن آخرهم."[2] وهو ما يتحدث عنه الحسن بن علي نفسه : " ... فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب المطيفة بنا فأقبلوا أفواجا أفواجا ، وجاءوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا و يتدفق أمواجا ، وكلهم على نيات في الجهاد خالصة ، وعزمات غير مترددة في مواقف الموت و لا ناكصة ... و من إنضاف إليها من العرب المنجدة لنا ، طائفة أوسعت أعداء الله طعنا و ضربا و ملأت قلوبهم خوفا و رعبا ..."[3]

كما أنها قامت بمواجهتهم في طرابلس الغرب سنة 538هـ/1142م، بعدما كادوا يستولون على المدينة لولا نجدتهم السريعة و الحاسمة الواصلة إلى المنطقة المحاصرة من القبائل العربية الهلالية (خاصة زغبة المستقرة بالمدينة و أنحائها).[4]

---

[1]– أمين توفيق طيبي ، بنو هلال و دورهم في الجهاد في إفريقية و الأندلس ، ص ص 73–75. ويصف التجاني ما حل بالمهدية من أضرار عند نزول أهل بيش و جنوة من النصارى على المهدية حين استولوا عليها و على زويلة ، وسبوا أهلها و قتلوا ما شاءوا منهم و أحرقوه بالنار. التجاني ، رحلة التجاني ، ص 331.

[2]– التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 335–336. حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 263.

[3]– المصدر نفسه ، ص ص 337–338.

[4]– أمين توفيق طيبي ، المرجع السابق ، ص 77. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ،ص 06.

كما أن دورها في الذود عن الإسلام و رد الاعتداءات المسيحية لم يتوقف على عهد الزيريين ، و إنما برز أيضا على عهد الحفصيين بحكم استقرارها بإفريقية ، فقامت بالتصدي لحملة لويس التاسع الموجهة بهدف الانتقام من هزيمة الفرنسيس في المنصورة سنة 648هـ/1250م ، والتي تحولت إلى تونس بعدما كانت في طريقها إلى مصر ، والتي دخلها النصارى بسبعة من الملوك وكثرة العدد و الجيش سنة 668هـ/1270م[1]، فاشتركوا بها مع غيرهم من العرب و أرسلوا جنودهم كرماة لأنهم اشتهروا باستخدام ذلك السلاح فبغلت قوات المستنصر 40 ألف من الرماة فقط.[2] و تمكنوا من هزيمتهم هزيمة منكرة و أجبروهم على عقد الصلح سنة 699هـ.[3]

[1]- ابن القنفد ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص 131-132.

[2]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 124.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 428-429. أنظر الفصل الثاني (علاقتها مع الحفصيين) ، ص ص 161-162.

ج/– دورها في الجهاد بالأندلس:

كما تمت الإشارة في الأثر الإيجابي الأول سياسيا أنها شاركت مع بعض الدول في رد الاعتداءات الخارجية ، الذي لم يتوقف عند هذا القدر بل استمر إلى وقت آخر فقد أظهرت دورها الحضاري إثر مشاركتها في الجهاد بالأندلس بداية مع المرابطين ثم الموحدين[1].

وإن كان هذا يعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس هجري ، خاصة لما ازداد خطر صاحب قشتالة على ممالك الطوائف في الأندلس بعد تمكنه من السيطرة على طليطلة ، وحدث أن اجتمع مشائخ قرطبة سنة 479هـ/1086م بالقاضي عبد الله بن أدهم مطالبين إياه بالكتابة إلى عرب إفريقية مستغيثين بهم ، رغم تخوفه من أن يلحق بالبلاد ما حدث للقيروان و القلعة . و مجرد التفكير في استدعاء بطون بني هلال و غيرها لخير دليل على إطلاعهم على أحوال إفريقية و مدى الدراية بقوتهم القتالية ورغبتهم في الجهاد والتي ذاعت بالأندلس.[2]

ويظهر الدور التاريخي الحضاري لبطون بني هلال و مشاركتهم في الجهاد بالأندلس وتلك الحروب منذ موقعة إقليش سنة 501هـ/1107م (بداية القرن السادس هجري) والتي تكشف على أنه مر نصف قرن على قدومهم لبلاد المغرب الإسلامي ، و تلك الموقعة انتهت بانتصار المرابطين على النصارى بفعل مساعدة العرب لهم انطلاقا من رواية ابن القطان " و استشهد في هذه الوقيعة الإمام الجزولي ، وكان رجل صدق ، وجماعة من الأعيان و العربان رحمهم الله تعالى."[3]

و توضح الرواية بشكل كبير مشاركة عرب بني هلال في الموقعة كمتطوعين من إفريقية توجهوا للأندلس من أجل الجهاد في الأندلس.[4]

وهذا ابن أبي زرع يؤكد على مشاركة العرب في عملية جهادية أخرى ، ففي سنة 513هـ/1119م تغلب ألفونسو الأول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس و استولى عليها ، فوردت الأخبار إلى علي بن يوسف (ت 537هـ/1141م) مما دفعه للتوجه إلى الأندلس

---

[1]– أنظر الفصل الثاني (علاقتها مع دولة المرابطين و الموحدين).

[2]– أمين توفيق طيبي ، بنو هلال ودورهم في الجهاد في إفريقية و الأندلس ، ص 79.

[3]– ابن القطان المراكشي ، نظم الجمان لتتيب ما سلف من أخبار الزمان ، ص ص 63–66.

[4]– أنظر الفصل الثاني (علاقتهم مع المرابطين) ، ص 152.

برسم الجهاد ، ويعتبر هذا الخروج الثاني له و كان معه عدد كبير من المرابطين والمتطوعة من العرب – منهم بنو هلال – و زناتة وسائر البربر[1]. فوقوع العرب في التصنيف الثاني بعد المرابطين أكبر دليل على رغبتهم في الجهاد و اعتراف المؤرخين بذلك ، رغم أنهم متطوعين من إفريقية بسبب عدم انتقالهم إلى المغرب الأقصى على عهد المرابطين.

و الدور الأكبر لها يظهر على عهد دولة الموحدين ، خاصة لما أصبحت من أبرز العناصر الاجتماعية المكونة لسكان المغرب الأقصى ، و بالتالي لم يعودوا متطوعة و إنما من الجيش الرسمي المشكل لعساكر الموحدين.

فالسياسة العامة للدولة الموحدية مبنية على ذلك للتخلص من ثوراتهم بالمغرب الأدنى (إفريقية) كهدف أول ، ونقلهم من تلك المنطقة إلى المغرب الأقصى لاستخدامهم للجهاد في الأندلس كوصية من عبد المؤمن بني علي[2] (خاصة بعد السيطرة على الأندلس منذ سنة 541هـ / 1146م)[3] ، و التي ظلت متوارثة من قبل أبنائه كهدف ثاني. [4] وهو ما حدث فعلا عندما تمكن رفقة بنيه من إبعادهم عن إفريقية و استغلال حبهم للقتال و شجاعتهم للجهاد في الأندلس.[5]حتى أصبحت بطون بني هلال من أكبر و أهم العناصر المشكلة للجيش الموحدي في جهادهم ضد النصارى بالأندلس.[6]

وكان أن جعلهم عبد المؤمن بنواحي قرطبة ، فزاد فيهم بنيه من بعده أبو يعقوب و أبو يوسف حتى كانت سنة 621هـ ، فتكاثرت أشهر بطون بني هلال كزغبة و رياح و جشم مشكلين خمسة آلاف فارس – الأخذ بنصيحة عبد المؤمن والعمل بها–.[7]

---

[1]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ... ، ص ص 163–164.

[2]– خاصة بعد تخليصه للمهدية العاصمة السابقة للزيريين سنة 555هـ/1160م ، " قام بجمع أمراء العرب خاصة من رياح المتواجدين بإفريقية وقال لهم: قد وجب علينا نصرة الإسلام ، فإن المشركين قد استفحل أمرهم بالأندلس ، واستولوا على كثير من البلاد التي كانت بأيدي المسلمين ، وما يقاتلهم أحد مثلكم ، فبكم فتحت البلاد أول الإسلام و بكم يدفع العدو منها الآن ، ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة و الشجاعة ، يجاهدون في سبيل الله ، فأجابوا على السمع و الطاعة." أنظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص 65.

[3]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص 87.

[4]– حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، ص 310.

[5]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص 324. مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 74.

[6]– عز الدين عمر أحمد موسى ، تنظيمات الموحدين و نظمهم في المغرب ، ص ص 256–259.

[7]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب ... ، ص 295. أنظر أيضا : حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج2 ، ص 105.

واعتبرت رياح من أشهر البطون رغبة في الجهاد و تأكيدا لنص عبد الواحد المراكشي ، ففي عهد أبي يعقوب (558-580هـ/1163-1184م) وفد عليه زعيم الذواودة أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحي سنة 577هـ في جيش عظيم برسم عملية الجهاد.[1]

وفي عهد أبي يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) حضر عدد كبير منهم للانضمام إلى جيشه كجنود.[2]

وهو ما تثبته أحد الرسائل الموحدية المؤرخة سنة 576هـ: " ... في أن أشياخ العرب وأعيانهم من جميع قبائل رياح تجمعوا و حرضوا على أن يكون لهم نصر لهذا الدين ... وعرفوا أن الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس ..."[3]

و إذا تحدثنا على مشاركتهم الفعلية في عملية الجهاد – و باعتبارها عملية حضارية تبين مدى الغيرة على الدين الإسلامي ورد أعدائه الصليبيين – فإن هذا يبدأ منذ سنة 560هـ/1165م بسبب إلحاح ابن مردنيش على قرطبة ، فخرج عليه أبو يعقوب و أخوه أبو حفص في عسكر الموحدين و معه من بطون بني هلال (زغبة و رياح و الأثبج – الفروع الرئيسية–) ، فالتقيا بحصن مرسية فانهزم أمامهم ابن مردنيش[4] ، و تعرف بموقعة الجلاب والتي مات فيها سبعة شيوخ من العرب [5]– دليل على التضحيات الجسام التي تقوم بها بطون بني هلال في سبيل رد أعداء الدين الإسلامي النصارى –

ونظرا لمجموعة من الانتصارات المحققة جعلت الشعراء يشيدون بذلك الدور فالشاعر أبو العباس الجراوي يتغنى بهم :

بِعِرَابِ خَيْلٍ فَوْقَهُنَّ أَعَارِبٌ   مِنْ كُلِّ مُقْتَحِمٍ عَلَى الأَقْطَارِ

أَكْرِمْ بهِنَّ قَبَائِلَ أَقْلَالــــــهَا   فِي الحَرْبِ يُغْنِيهَا عَنِ الإِكْثَارِ.[6]

و قصيدة أخرى توحي بدرجة رغبة مشاركة بطون بني هلال في جهادهم معه بالأندلس:

---

[1]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب ... ، ص295.

[2]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 313.

[3]– مجموع رسائل موحدية ، الرسالة السادسة و العشرون ، ص ص 149–157.

[4]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 318.

[5]– البيذق ، أخبار المهدي ابن تومرت ، ص 88.

[6]– ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 172.

أَقِيمُوا إِلَى العَلْيَا هَوْجَ الرَّوَاحِلِ وَ قُودُوا إِلَى الهَيْجَاءِ بَرْدَ الصَّوَاهِلِ
بَنِي العَمِّ مِنْ عَلْيَا هِلَالِ بْنِ عَامِرِ وَ مَا جَمَعْتْ مِنْ بَاسِلٍ وَ ابْنِ بَاسِلٍ
فَطِيرُوا إِلَيْهَا بِهِلَالِ بْنِ عَامِرِ ثِقَالًا خِفَافًا بَيْنَ حَافٍ وَ نَاعِـــــلٍ
تَعَالُوا فَقَدْ شُدَّتْ إِلَى الغَزوِ نِيَّةٌ عَوَاقِبُهَا مَنْصُورَةٌ بِالأَوَائِـــــــــلِ.[1]

ولما كانت سنة 566هـ/1170م عزم السلطان يوسف بن عبد المؤمن على الغزو بالأندلس ، فقام باستدعائهم و حرضهم على الجهاد من خلال قصيدة واصفا إياهم بالشهامة وأنهم السيف الماضي في نصرة الدين الإسلامي ، فاستجابت له مجموعة من القبائل العربية في إفريقية و القيروان و الزاب الوافدة رفقة أبي زكريا صاحب بجاية ، فكان جملة الخيل الواصلة منها أربعة آلاف فارس ، ومن تلمسان و نظرها ألف فارس بحيث كان قدومهم على الخليفة مشهودا بمراكش.[2]

ولم يتوقف الدور و الأثر الحضاري لبطون بني هلال ، بل ساهمت بالمشاركة مع أبي يعقوب يوسف سنة 580هـ/1184م بالجهاد معه حسب ما يرويه ابن أبي زرع : " فجاز العرب أولا ثم زناتة."[3] وفي سنة 586هـ/1190م في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور ، بعد سقوط مدينة شلب (غرب الأندلس) على يد صاحب البرتغال بمعاونة الصليبيين ، قام بتجهيز حملة لاستردادها و سير جيش من الموحدين رفقة جمع كبير من العرب ، ففتح بفضلهم أربع مدن كان استولى عليها الإفرنج (شلب ، باجة ، بايرة ، و قصر أبي دانس).[4]

ولم تمض خمس سنوات حتى جاءت الغزوة الثانية للخليفة المنصور في موقعة الأراك سنة 591هـ /1190م ، وكان في تلك الغزوة الكبرى أول من جاز البحر قبائل العرب ثم زناتة ... ثم الجيوش المتطوعة من العرب – شاركت بالقبائل المستقرة و حتى المتطوعة– ضد ألفونسو الثامن ، ويظهر أن بطون رياح اتسمت بالذود عن الدين الإسلامي عندما خرج أميرهم جرمون بن رياح يمشي بين الصفوف و يقوي قلوب المجاهدين ، ويتلو بعض الآيات

---

[1]– عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ص 294–295.
[2]– أمين توفيق طيبي ، المرجع السابق ، ص 84. أنظر أيضا : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص 322.
[3]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص ص 213–215. السلاوي ، الاستقصا ، ج2 ، ص 138.
[4]– ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 219. أنظر أيضا : أمين توفيق طيبي ، المرجع السابق ، ص 85.

:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا اِصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا ، وَ اَتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونْ."[1] و تلا أيضا : " يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرُكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ."[2]

وهي الموقعة التي هزم فيها النصارى شر هزيمة على يد العرب و الأغزاز و أظهروا قوة كبيرة في مواجهة أعداء الدين الإسلامي.[3]

[1]- سورة آل عمران / الآية 07.

[2]- سورة محمد / الآية 07.

[3]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص ص 220-227.

2/– اقتصاديا :

إن تدهور الأوضاع الاقتصادية بداية من القرن 5هـ/11م بإفريقية أمر واقع لا مفر منه ، إلا أنه لا ينبغي أن يتم إلقاء المسؤولية على عاتق بطون بني هلال لوحدها ، كما فعل الكثير من المؤرخين على مدى سنوات طويلة بموقف قد لا يخلو من المبالغة[1] ، فذلك التقهقر الاقتصادي لم يصب المنطقة دفعة واحدة بل كان على مراحل تدريجية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م ، ممتدا بشكل طولي وعرضي كاد يشمل العالم العربي الإسلامي بأكمله ، ومن المؤكد أن الهلاليين ساهموا في سير إفريقية نحو التدهور غير أنهم لم يكونوا و حدهم المسبب الرئيسي.[2]

و تلك الكتابات التي بالغت في تصوير تراجع النشاط الاقتصادي ببلاد المغرب إثر دخول بطون بني هلال خاصة الاستشراقية منها ، فقد تحدث كاتب من بني جلدتهم مؤكدا على تكامل وترابط النشاط البدوي بالزراعي ، فقطعان الماشية التي ترعى في المناطق غير مستغلة زراعيا تساهم في إخصابها من ناحية و زيادة قيمتها الزراعية من ناحية أخرى.[3]

ويضيف محمد الشريف بأنها اهتمت بالتجارة الداخلية ، بعد أن انقطعت استثمارات المدن و أعيانها لهم مما أسهم في تحسن مستوى العيش لدى سكان البوادي و الأرياف.[4]

وفي استقراء بعض النصوص الخلدونية يظهر أن بطون بني هلال قد اهتمت بجباية الضرائب " فعياض يتولون الجباية ... بمظاهرة رياح وللمدافعة عن تلك الرعايا و جبايتهم للسلطان."[5] ، كما اهتموا بالزراعة " فكانوا يكتالون الحبوب لأقواتهم من زروع أهل الجبل."[6] و اعتنوا و أولو عناية بالغة بتربية الحيوانات والماشية " تركوا الإبل و اتخذوا الشاء و البقر و صاروا في عداد القبائل الغارمة."[7] التي ارتبطت بالعهد الحفصي حتى اصطلح عليها

---

[1]– أنظر المبحث السابق الآثار الاقتصادية (تدهور الأنشطة الاقتصادية)

[2]– محمد الشريف ، تاريخ تونس ، ص 51.

[3]– محمود أحمد ابو صوة ، المرجع السابق ، ص 24.

[4]– محمد الشريف ، المرجع السابق .

[5]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 34.

[6]– المصدر نفسه ، ص 32.

[7]– المصدر نفسه ، ص 33.

أحمد حسن " القبائل المخزنية"[1] –وهو على سبيل المثال لا الحصر– لأنه باستقراء الآثار السياسية يظهر بأنها تقريبا ظهرت على ذلك الشكل في علاقتها مع الدول (رد الاعتداءات والعسكرة مع الحكام و جباية الضرائب).[2]

أ/– جباية الضرائب :

إن تلك العلاقة التي جمعت بطون بني هلال ببعض الدول القائمة آنذاك ببلاد المغرب الإسلامي سمح لها أن تكون من ضمن القبائل المخزنية و دخلت في خدمة السلطان لجباية الضرائب وغيرها من الأعمال الموكلة إليها ، و الظاهر أن تلك الإرادات المالية أغنت الخزينة المالية لتلك الدول. وهو ما وجد في كتاب ابن خلدون و بعض المراجع الحديثة التي أعطتنا صورة في جبايتها للضرائب.

فالأثبج و بطونها كما تمت الإشارة تولت الجباية في العهد الحفصي ، ويضاف إليها إمارة بني مزني التي ترجع لنفس القبيل، أما زغبة ببطونها المختلفة فعنيت بالجباية بالمغرب الأوسط خاصة على عهد الدولة الزيانية ، يضاف إليها القبائل الملحقة جشم و المعقل التي اختصت بنفس الوظيفة سواء على عهد الموحدين أو المرينيين.

فزغبة الذين كانوا بالصحراء تم نقلهم من قبل الزيانيين إلى التل بعد تمكنهم من المغرب الأوسط أين فرضوا على أهله الضرائب هناك.[3] حتى تمكن بطن بني يزيد منهم بتحصيل الجباية لأنفسهم[4] ، وكذلك إخوانهم حصين – مواطنهم بين التيطري و نواحي المدية– التي فرضوها على الثعالبة[5] ونظرا للمكانة التي لقيتها سويد من قبل الزيانيين أصبحوا من الرعايا أهل الجباية.[6]

والمعقل المستقرون بالمغرب الأقصى فرضوا على الزناتيين أهل القصور ذات النخيل والأنهار الإتاوات و الضرائب ، و الأحلاف (العمارنة و المنبات) من بطونها قاموا بنفس

---

[1]– أحمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ص 98.

[2]– أنظر المبحث السابق من الدراسة (دخولها في خدمة الدول ورد الاعتداءات الداخلية والخارجية).

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 55.

[4]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص 225.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 58–59.

[6]– المصدر نفسه ، ص 61.

الدور بتافيلالت و صحاريها.[1] و الرقيطات و الشبانات منهم أيضا فرضوها على المدن والقرى بالسوس و برية شنقيط.[2]
وجشم في العهد المريني عدت من القبائل الغارمة للجباية.[3]

و ما يهم هو تلك الإمارة التي ظهرت بالزاب بسكرة و نواحيها – إمارة بني مزني– ، ففي عهد الأمير فضل بن منصور بن علي عقد له السلطان الحفصي أبو زكريا على مزاحمة العرب في الجباية و انتهاش لحومها ، فوفر أموال الدولة و أنهى الخراج ، فأثرى و احتجز الأموال ، فاغتنت إمارة بسكرة و امتلأت خزائنها بالأموال وهو ما استمر إلى غاية فترة السلطان أبو البقاء خالد رأس السنة السابعة 699هـ/1299م ، و منحه بعض الإقطاعات فأضافها إلى إمارته في الجباية.[4]

ب/– تربية الحيوانات و المواشي :

أولت بطون بني هلال عناية خاصة بتربية الحيوانات و الأنعام و المواشي بحكم أنها تعودت على ذلك و طبيعتها تقتضي القيام بذلك النشاط ، و طبقوا على حيواناتهم ما ألفوه من مجتمعهم الأصلي و استفادتهم من القواعد البيولوجية للحفاظ على سلامة أنسابه خاصة الإبل و الخيل من أجل تكاثرها و المحافظة على النوعية الأصيلة.[5]

أي أنها ساهمت في المحافظة على الخيل العربي فازدهرت تربية الخيل بمنطقة برقة بإفريقية و انتشرت بها الخيل المسابقة لخيل برقة[6]. أي أنها ظهرت تلك الأهمية البالغة منذ وطأت أقدامها أرض المغرب .

و بعد انتقال مجموعة من القبائل كرياح وجشم و مقدم والعاصم و كذا عرب المعقل إلى المغرب الأقصى و الانتشار بأريافها و أوديتها ، فنقلوا معهم خبرتهم العربية في تربية الخيل ، فتأثر بهم الزناتيون في تربيتها و تحسين أنسابها حتى اشتهرت الخيول الفازازية.[7]

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 77.

[2]– المصدر نفسه ، ص 89.

[3]– عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1 ، ص ص 424–427.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 37.

[5]– عبد الحميد يونس ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي ، ص ص 88–89.

[6]– القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3 ، ص 113.

[7]– لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 168.

وهذه الخيول استغلت لركوبهم و الأنعام لحمل أثقالهم و التغذي بألبانها و اتخاذ الملابس و الأثاث من أوبارها و أصوافها و أشعارها.[1]

وهذه هي طبيعة المغرب و مجتمعه بصفة عامة ، و الشرقي بوجه خاص – المغرب الأدنى– ، والتي غلبت عليه سمة البداوة وهيمنة النشاط الرعوي على غيره من الأنشطة الزراعية الفلاحية ، فاعتبر ذلك النشاط كمركز للضعف بتخصيص مساحات واسعة وأراضي خصبة لمزاولته وما قد تلحقه الماشية بالزروع ، و للقوة فتربية الماشية شكل بضاعة للتسويق الأساسية ، و حتى أن ظاهرة البداوة لم يساهم فيها الأعراب – بطون بني هلال و غيرهم – لوحدهم ، و إنما ظاهرة حضرية ساعد على نشوئها السلطان و المجتمع الحضري بجنيه لفوائد جمة كوسيط و عجز أهل الصنائع عند توفير الجزء الأوفر من إنتاج الماشية ، والحاجة الماسة لحرفيي إيطاليا من صوف و جلود ساعدت على انتشار الرعي و البداوة.[2]

و هذا عن الجزء الشرقي أما بالمغرب الأقصى فصاحب كتاب الاستبصار عند وصفه لوجدة يذكر بأن مراعيها أحسن المراعي و أصلحها للماشية ، وتعدد استعمالاتها و ما تدره من شحوم و أكسية .[3] وبحكم أن تلك الفترة تتزامن مع استقرار بطن ذوي عبيد الله من المعقل بذلك المجال و دل على اهتمامهم الكبير بتربية الماشية .

ج/– الاهتمام بالتجارة و الزراعة :

يعتبر مبارك الميلي أن بطون بني هلال سيطروا على طرق القوافل التجارية فلا يتجاوزها غيرهم إلا بخفارة أحدهم فوقفت حركة البربر التجارية من هذه الناحية ، ولكن تلك البطون قامت بها أحسن قيام و وسعوا نطاق التجارة بين الصحراء و التل .[4]

لأنهم استغلوا اقتصاد البلاد استغلالا منتظما فأرغموا من تبقى من المزارعين على دفع قسطهم من إنتاج الحبوب و الزيت و التمر ، و وظف لمصلحتهم ما بقي منه لتجارتهم إما بصفتهم مشاركين أو خفارة.[5]

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص 187.

[2]– أحمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، ج 1 ، ص ص 454–455.

[3]– مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 177.

[4]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص 188.

[5]– عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، ص 96.

فها هم بنو قرة و حسب ابن خلدون أنهم جندوا في عسكر بني مزني و خضعوا لسلطة إمارة بسكرة و كانوا يقومون بخفارة القوافل.[1]

و بالعودة إلى إمارة بني جامع فقد اهتم الأمراء بالتجارة الداخلية و الخارجية [2] ، و ما سمح بذلك هو موقع المدينة التي أقيمت بها الإمارة (قابس) مدينة بحرية صحراوية[3] ، فاهتمت بتموين الصحراء و المدن الإفريقية المرتبطة بها .

و ما أثبت ذلك الاهتمام بالنشاط التجاري انتقالهم إلى بناء السفن كما فعل رافع بساحل المدينة من خلال إنشائه لأحد السفن البحرية لرد الاعتداءات و استغلالها بالتجارة.[4]

وفي بدايات العهد المريني المرتبطة بالقرن السابع الهجري تمكنت المعقل من التحكم في الطريق بين سجلماسة و بلاد السودان التي تعتبر ممر القوافل التجارية الرابطة بين الصحراء و التل[5]. و إن كان هذا بداية الدولة المرينية فقد اهتمت بالتجارة بوجهيها الداخلي والخارجي على عهد الموحدين.[6]

إن اهتمام بطون بني هلال بتربية الحيوانات و المواشي و الأنعام جعل الكثير من المؤرخين و الدارسين يتهمونها بتحويل النشاط الزراعي إلى رعوي ، إلا أن هذا لم يستمر طويلا فهناك من البطون الضعيفة ، من تخلى عن الظعن و الترحال فنزلوا بالمدن والقرى البربرية ، فاشتغلوا في المجال الزراعي و الفلاحي[7] و خير دليل على ذلك بطون زغبة على عهد الزيانيين عندما فتح المجال أمامهم للسيطرة على التل.[8]

وحتى أن امتدادها الجغرافي شمل كافة بلاد المغرب الإسلامي من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا سمح لها حسب أبو ضيف أن تزاول النشاط الزراعي .[9]

---

[1]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 35.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 587.

[3]– إلهام حسن دحروج ، مدينة قابس ... ، ص 60.

[4]– التجاني ، رحلة التجاني ، ص ص 97–98.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص 77–78.

[6]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ... ، ص ص 322–329.

[7]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ،ج2 ، ص 188.

[8]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 54–55.

[9]– أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 316–322.

3/– اجتماعيا :

أ/– التعريب :

اعتمادا على القول المنسوب للجغرافي الإدريسي و الذي يحمل في طياته دلائل تاريخية ذات أبعاد اجتماعية على بلاد المغرب ، من " أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر فنقلوهم إلى ألسنتهم بطول المجاورة لهم حتى صاروا جنسا واحدا ".[1] بحيث كان لهم دور كبير في تعريب البلاد و تخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية ، التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية.[2] وبالتالي بطون بني هلال و غيرها ساهمت في الإسراع بتعريب البوادي و الأرياف[3]، وبهذا أحدثت أثرًا عميقًا في كافة بلاد المغرب بتجديدها لظروف الحياة اليومية في المجتمع المغربي كانقلاب طرأ على البلاد ، بحيث ساعدت هجرة بطون بني هلال على انتشار اللغة العربية في الريف البربري ، واتساعه عما كان عليه منذ الفتح الإسلامي.[4] فأصبح المغرب من أكبر بلاد العروبة و أعمقها إسلاما .[5] فأكملت ما قام به الفاتحون.و عملية التعريب في حد ذاتها كانت على مراحل متعددة بداية من الفتوحات الإسلامية – التي عنيت بنشر الدين الإسلامي– إلى أن جاءت بطون بني هلال و من ألحق بها من العرب فساهمت في نشر اللغة العربية و الإسلام في جميع أنحاء المغرب ، والذي نتج وتمخض عن تشابه أسلوب الحياة و توافقها مع البربر ، فكلاهما شعوب رعوية أو شبه رعوية ، سهل في امتزاج العنصرين و استعرب البربر و توغلت اللغة العربية بالمنطقة بعد أن كانت قليلة الانتشار.[6]

وهو ما أكده الميلي على أن نفوذ الهلاليين في البربر اجتماعيا لغويا جنسيا ، كما كان نفوذ الفاتحين سياسيا دينيا[7]. أي أنها أثرت في الناحية الاجتماعية بتعريب المنطقة.

---

[1]– الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 58.

[2]– السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 587.

[3]– محمد الشريف ، تاريخ تونس ، ص 51.

[4]– حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 264.

[5]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 176.

[6]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 277.

[7]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ص 187.

ولهذا فإنهم أدوا خدمة جليلة لعروبة المغرب ، بحكم أنهم تمكنوا من دحر جموح القبائل الزناتية [1] التي كانت – كما تم التعرف عليه خاصة في عهد الأمراء الزيريين كباديس و ابنه المعز – تحاول فرض سيادتها و استقلالها ببلاد المغرب سواء بالتخريب أو طريقة أخرى، فكان لذلك الانتشار الهلالي و امتداده الواسع حتى أطراف المغرب الأقصى و لإقامتهم بتلك المناطق بسهولها و جبالها وصحاريها عملوا على إكمال تعريب المغرب ، حين تحولت بلاد الجريد و المغرب الأوسط إلى بلاد عربية إسلامية خالصة .

وهو ما يؤكده حسين مؤنس في كتابه موسوعة تاريخ الأندلس على أن هجرة بطون بني هلال كانت بمثابة حجر الأساس في تعريب إفريقية و المغرب الأوسط ، وهي مرت بمراحل تدريجية من الفتح إلى غاية الأغالبة بفضل علمائهم و فقائهم ، وعند استقرارهم بإفريقية أتموا تلك العملية لاختلاطهم بعامة الناس بكافة النواحي و عربوهم تعريبا شاملا ، وبالرغم من أثرها الضار إلا أنها لم تخلو من نفع و فائدة (ورب ضارة نافعة).[2]

ولولاهم – أي بطون بني هلال وغيرهم – لما صار المغرب عربيا على الصورة التي نراها الآن ، فهي لم تكن شرا خالصا بل شر تأتى منه خير كثير ، و إذا كان الجميع يفخر بالمغرب العربي فالفضل يرجع إلى أولئك البدو الذين عاشوا و انتهوا مخربين.[3]

و إذا ربطنا الأحداث ببعضها البعض ، فإن بطون بني قرة من هلال – التي اندرجت ضمن الأثبج– كانوا من أول الداخلين لبلاد المغرب قبل الهجرة ، في رواية القلقشندي على أنهم عرب برقة و منازلهم فيما بين مصر و إفريقية.[4] فها هو العبدري – وهو من أهل القرن السابع – و نقلا عن الميلي يذكر بأن عرب برقة لم يزالو يعربون أكثر أقوالهم و يتحدثون مما يعد عند العلماء غريبا ، وذكر ما سمعه من أقوالهم المعربة و ألفاظهم الغريبة و علل ذلك بعدم اختلاطهم بالناس و عدوا حسبه أفصح من عرب الحجاز وغيرها.[5]

---

[1]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،ص 25.

[2]– حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج2 ، ص 106–107.

[3]– حسين مؤنس ، المعالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 177.

[4]– القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص 397.

[5]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 189.

ومن المؤكد أنه لا سبيل لإنكار التعريب الواسع الانتشار ، الذي حدث ببلاد المغرب كلها ، فإذا كان الفتح الإسلامي قد نشر الدين الإسلامي ، فإن تلك الهجرة لبطون بني هلال طبعت بلاد المغرب بالطابع العربي لأول مرة ، لأن التغلغل في المجتمعات المغربية ساعد على الانصهار و الامتزاج و الاندماج بين الوافدين من المشرق و القاطنين في بلاد المغرب – وهذا ما اندرج ضمن مرحلة التعايش بين العرب و البربر –[1] ، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة العربية متداولة في معظم البلاد ، وبين معظم السكان .[2]

وهو ما تم وفق مراحل متباينة ارتبطت ارتباطا وثيقا بسير تلك الهجرة من الشرق إلى الغرب ، وهي بهذ أيضا ارتبطت بعامل التوطن ، فكان أن حدث بالمغرب الأدنى و الأوسط ، ولم يتوقف التعريب عند هذا الحد بل ساد المغرب الأقصى و حتى أرض السودان وفي هذه الأخيرة يعود الفضل لأحدى البطون الملحقة ببني هلال وهي المعقل.

بحكم أنها استقرت بصحاري المغرب الأقصى توات و تامنطيت و واركلان و تابسيبت وتيكورارين ، حتى أنها تمكنت من فرض الإتاوة على الزناتيين ، إلى أن تحكمت في الطرق الرابطة بين سجلماسة و بلاد السودان.[3]

وساهموا أيضا في تعريب المناطق المتواجدة أسفل منها وذوي حسان من بطونها سكان السوس الأقصى ، كانوا يتنقلون بالرمال كلهم إلى مواطن الملثمين من كدالة و مسوفة ولمتونة في صحراء شنقيط.[4]

وبهذا فإن استعمال اللغة العربية ساد بالمنطقة بعد أن أثرت هجرة بطون بني هلال وغيرها على اللسان البربري – و هذا التأثير الاجتماعي الثقافي – استمر قرونا من الزمن حتى أضحت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي ، و انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب .

و إن تم تصنيف هذا الأثر ضمن النتائج الاجتماعية غير أنه أيضا اعتبر من أبرز الآثار الحضارية التي تركتها بطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي.

---

[1]– أنظر المبحث الموالي .

[2]– بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ و الهجرة و الاستقرار)، ص 33.

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 77–78.

[4]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص 237.

ب/- التعايش مع البربر و انتشار التقاليد العربية

إن ملامح بداية تعايش بطون بني هلال مع البربر ، ظهرت منذ أن وضعت تلك البطون أقدامها على أرض المغرب ، و سجلها الخ حينما قام المعز بن باديس أمير الزيريين بمصاهرة زعيم رياح موسى بن يحي الصنبري " فاستماله المعز واستدعاه و استخلصه لنفسه و أصهر إليه ..."[1] كما أن التجاني يذكر أنه أيضا قد أصهر إلى الفضل بن علي وهو مرداسي ، و الآخر يعرف بفارس بن أبي الغيث[2] ، دلالة على بداية التعايش مع البربر في الفترة الأولى لدخولهم و ظهور إرهاصات الانصهار في المجتمع البربري و الامتزاج ، حتى نقولهم إلى ألسنتهم بطول المجاورة حتى صاروا جنسا واحدا.[3]

إن كان هذا في البدايات الأولى فإنه استمر بعد ضمان تواجدهم بالمغرب الأوسط ، وكان لذلك التوطن بالغ الأثر خاصة بعد موقعة سبيبة و الانتشار بجنوب الأوراس و قرى الزاب بأن يقوم الحماديون (صنهاجة) بعقد ذلك الاتفاق معهم و السماح لهم بالاستقرار بالأرياف و تبقى المدن في أيديهم ، مما ساعد على ظهور التقارب بين العرب والبربر على المستوى الشعبي ، و أضحى هؤلاء الأعراب طائفة مستقرة من طوائف المجتمع المغربي.[4]

وعند تحليل النص الخلدوني القصير، الكبير في معانيه التاريخية في أن ما جمع أحد بطون بني هلال مع زناتة (البربر) هو البداوة و عصبية الحلف[5] ، في إشارة ضمنية على أن ما ساعد على الامتزاج و التجانس و تبادل التأثير بين العرب و البربر هو التشابه في خاصية البداوة التي جمعتهما ، مما يؤكد أيضا أن يكون العرب – بطون بني هلال- قد تأثروا بالبربر.

فغيرت بطون بني هلال ذلك التركيب البشري لإفريقية و المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى ، و أصبحت العروبة أغلب عليها من البربرية ، فلما حلت بطون بني هلال بتلك

---

[1]- ابن خلدون ، العبر ،ج6 ، ص20.

[2]- التجاني ، رحلة التجاني ، ص 329. و يضيف ابن خلدون عائذ أخ فارس بن أبي الغيث . أنظر: ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج6،ص22.

[3]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 58.

[4]- عزي بوخالفة ، تغريبة بني هلال ... ، ص 89.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 54.

المناطق وتكاثرت مع مرور الزمن ثاب إليها أهلها من البربر أو من بقي منهم ، فاختلط الجنسان اختلاطا تاما.[1]

وذلك حسب الميلي ناتج على علم البربر المسبق في أن ما نتج عن هجوم بطون بني هلال ، لم ينشئ من عداوة جنسية و قسوة حربية فاختلطوا بهم و أخذوا عنهم عادات اجتماعية و أخلاق فاضلة أضافوها إلى عاداتهم و أخلاقهم و استعرب الكثير منهم.[2]

ويضيف نفس المرجع أن حياة بطون بني هلال تقوم على الظعن ، والتي لم تحافظ عليها إلا القبائل القوية منهم ، فأجبر من ضعف منهم أن ينزلوا المدن والقرى البربرية ، و كانت حياة زناتة و بعض البربر على مثل تلك الحياة البدوية الناشئة عن طبيعة الوطن و قبل هجرة بني هلال بقرون ، و بفعل ذلك التشابه تكون قد تأثرت تلك البطون بزناتة في بعض عاداتها الاجتماعية. وربما أدى إلى فساد لسانهم لاختلاطهم بالبربر ، إلا أنهم أثروا فيهم من حيث اللغة أكثر مما تأثروا بهم.[3]

و كل هذا يدل على ظهور التعايش بينهما بحكم ما جمعهم في تلك المناطق من تشابه في بعض خصائص الحياة ، و التي أرجعها أبو ضيف بدرجة كبيرة إلى عامل الجوار.[4]

وفي ظل ذلك الامتزاج و التجانس و تبادل التأثيرات الاجتماعية من الجنسين ، ساهم ذلك الأمر بدرجة كبيرة في انتشار مجموعة من التقاليد العربية بالمنطقة. فقد أسهمت بشكل كبير في تغيير بعض العادات الاجتماعية البربرية أو أضافت إليها بعض التقاليد ، وانتشرت بشكل كبير في بلاد المغرب الإسلامي. و تأثرت هي أيضا ببعض عاداتها.

فالخيمة مثلا كانت غير منتشرة بشكل كبير في البلاد ، لأن مساكنهم الكهوف و الجبال والمداشر.[5] واستمر ذلك إلى أواسط المائة الخامسة فدخلت العرب أرض إفريقية واستوطنوها بحللهم و خيامهم.[6]

---

[1]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 177.

[2]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ص 187.

[3]– مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص ص 188–189.

[4]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل المغربية ... ، ص ص 250–251.

[5]– حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين ... ، ص 266.

[6]– السلاوي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 162.

حتى أن البكري كشاهد عيان يورد أن خيام الواصلية و الزناتية الخوارج في تاهرت تشبه إلى حد كبير خيام بني هلال[1]، مما يدل على التأثر الكبير ببطون بني هلال و ما ميز تلك الخيام أنها تخلف عن نظيرتها لدى البربر.[2]

وحدث ذلك التأثير حتى في اللباس لأن شعار بطون بني هلال لبس المخيط و العمائم في الغالب التي توضع كتيجان فوق رؤوسهم، يرسلون من أطرافها ما يتلثمون به متأثرين في ذلك بزناتة.[3] فكانوا سواسية في لبس المخيط و ربما ألقوا على ظهورهم رداء و التفوا بإزار.[4]

في حين كان لباس المغربي يتكون من قميص و سروال وجبة من الصوف يتحزم عليها بإزار ملون ، ويغطي الرأس بعمامة و تعرف باللفافة يوضع فوقها الدوخلة التي تنزل على القفا.وهي بذلك قد حافظت على ارتداء الزي العربي بالرغم من تأثرها بالبربر في لبس البرانس، وحتى المرأة العربية الهلالية اهتمت بلباس معين تأثرت به المرأة البربرية كأن تضع على وجهها المعجر عند خروجها من منزلها. و تأثر المجتمع المغربي (البربر) بعادة بطون بني هلال عند خروجهم إلى الحروب ينطلقون إليها بصحبة نسائهم كي يستمدوا من تواجدهن الشجاعة ، وهي لا زالت متواجدة في بعض المجتمعات البربرية إلى الآن.

وحتى التأثير في الطعام حين اشتهرت القبائل الهلالية بالثريد والعصيد و البسيس ، فاقتبسوا من سكان البلاد المنتصبين بإفريقية (الكسكسي) الذي هو الأساس في الأكل عند البربر.[5]

وبهذا فإن التقاليد العربية لبطون بني هلال انتشرت في المنطقة بشكل واسع ، وهناك عادات أخرى كتربية الخيول ، ورحلتهم و انتقالهم في الشتاء و الصيف التي لم تكن معروفة عند البربر فتأثروا بهم في ذلك.[6]

---

[1]– أبو عبد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 67.

[2]– جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ص237.

[3]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص 188.

[4]– عبد الحميد يونس ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي ، ص 97.

[5]– حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 266–270.

[6]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 255–256. الميلي ، المرجع السابق ، ص 188–191.

4/– حضاريا وثقافيا :

1/– ثقافيا:

أ– القصص الشعبي و الشعر :

إن تواجد بطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي ساهم في ظهور بعض الآثار الثقافية خاصة الأدبية منعا ، و التي لا تزال متواجدة إلى اليوم في بعض الأوساط الاجتماعية (فيما يعرف بالقصص الشعبي الهلالي)[1]، في شكل حكايات و أساطير بطولية انتشرت بين السكان و هي تعود إلى أصلها العربي.[2]

وكما تمت الإشارة مسبقا إلى أن هجرة بطون بني هلال تعرف أيضا بالتغريبة ، وهو ما ارتبط بالمعارك التي دارت بينهم و بين الزناتيين في طرابلس – بادئ الأمر– وكانت مليئة بالمغامرات و الوقائع ، و ظلت أخبار تلك الوقائع تصل إلى إخوانهم في مصر ، عن طريق ما ينظمه شعراؤهم على شكل قصص شعبي عربي عرف بقصة الهلالية ، وبطلها أبو زيد الهلالي [3] و خصمه خليفة الزناتي ، وتعتبر تلك الملحمة من أبرز آثار الأدب الشعبي ، لتميزها بطابع شعبي خالص يجعلها شيئا فريدا في الأدب العربي كله.[4]

و قد أسماها عبد الحميد يونس بالسيرة الهلالية مقسما إياها إلى ثلاثة أجيال ، فالجيل الأول و الذي تظهر فيه شخصية أبو ز يد الهلالي (يعرف بمسعود أو بركات)[5]، والجيل الثاني يضم الحسن بن سرحان و أبي زيد بن رزق و دياب بن غانم و معهم عنصر رابع

---

[1]– وهنا الحديث عن المغرب الأوسط و ما يعرف حاليا بالجزائر ، في مناطق متصلة جغرافيا و معلومة تتداول القصص الهلالي ، متصلة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي ، فالجنوب الغربي ، لتصعد صوب بني شقران و تلمسان شمالا ، و كأنها بهذا الامتداد الجغرافي كونت حركة أدبية هلالية على شكل هلال ، و هي ترتبط بالتوزيع الجغرافي لاستقرار بعض البطون الهلالية ، أو المناطق المجاورة لها كعامر و سويد من زغبة و الذواودة من رياح. أنظر : عزي بوخالفة ، المرجع السابق ، ص 240.

[2]– بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم ... ، ص 33. فالعرب تعودوا منذ القدم على أن يسجلوا أحداثهم شعرا ، لأن الحادثة لا تصدق عندهم إلا إذا وردت على لسان شاعر ، فهم لا يصدقون القصة و لا يستخرجون منها العبر و التجارب إلا إذا تناولها الشاعر الجوال. أنظر : عبد الحميد بوسماحة ، رحلة بني هلال إلى الغرب ، ج1 ، ص 129.

[3]– و قد عرضها على أعيان القبيلة شفاهيا و كانت تلك الانطباعات على شكل شعري قصصي . أنظر :عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ص 128.

[4]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 168.

[5]– عبد الحميد يونس ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي ، ص ص 81–84.

القاضي بدير أو الفوايد ، والتي يتزعمها فارس القبيلة أبو زيد و مثلت مرحلة دخولهم إلى تونس.[1] و الجيل الثالث يعرف بالأيتام نظرا لما فعله دياب الطاغية في آبائهم من قتل ، خاصة أبناء أبي زيد.[2]

وهذا النوع من الأدب الشعبي و ما يعرف بالقصص الذي يأتي على شكل حكاية منظومة في شعر يشير إليه ابن خلدون : " و لهؤلاء الهلاليين في الحكاية عند دخولهم إلى إفريقية طرق غريبة في الخبر ، يزعمون أن الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز و يسمونه بشكر بن أبي الفتوح ، و أنه أسهر إلى الحسن بن سرحان في أخته الجازية ، فأنكحها إياها ، وولدت منه ولدا اسمه محمد ، و أنه حدث بينهم و بين الشريف مغاضبة و فتنة ، وأجمعوا الرحلة عن نجد إلى إفريقية ، و تحيلوا عليه في استرجاع الجازية ... ، و أنها كلفت به مثل كلفه إلى أن ماتت على حبه. و يروون الكثير من أشعارها محكمة المباني متفقة الأطراف ، و فيها المطبوع و المنتحل و المصنوع ، لم يفقد فيها من البلاغة شيء ، و إنما أخلوا فيها بالإعراب فقط."[3] ، حتى و إن كان لم يفصل في التحدث عن هذا الشكل من الأدب الشعبي الذي ظل متداولا كثير في الفترة الممتدة من القرن 5هـ إلى القرن 8هـ العصر الذي ألف فيه كتابه العبر ، إلا أنه يستعمل المصطلحات الأدبية الدالة على تواجد هذا النوع من القصص و إشارة منه إلى أنها تروي أخبار غريبة .

و يؤكد قبل ذلك في نص تاريخي عن الشخصيات المذكورة سابقا : " ... وكان في هؤلاء العرب عند دخولهم إفريقية رجالات مذكورون من أشرفهم الحسن بن سرحان و أخوه بدر وفضل بن ناهض و ينسبون هؤلاء في دريد من الأثبج و ماضي بن مقرب... و سلامة بن رزق ... و دياب بن غانم ... ، وموسى بن يحي ... وهو من بني صنبر بطن من بطون مرداس بن رياح ... كل هؤلاء يذكرون في أشعارهم ، وكان زياد بن عامر رائدهم في دخول إفريقية و يسمونه بذلك أبا مخيبر (لأنه هو من عرض الأحداث و الوقائع على الأعيان)..."[4]

---

[1]- عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ، ص ص 84-88.

[2]- المرجع نفسه ، ص ص 88-90.

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 25.

[4]- المصدر نفسه ، ص 23.

و نرى بأن زياد قريبة من أبي زيد (صاحب الملحمة) ، كما أن ماضي بن مقرب هو الذي تروي السيرة أنه تزوج الجازية .[1]

وذلك القصص في الأدب يختلف عن وقائع التاريخ اختلافا كبيرا ، مثلها مثل الملاحم الشعبية ، و القصة تدور حول تلك الفتاة الجازية و حروبهم مع بعضهم البعض ، وكذا حروبهم في بلاد المغرب و كأنها أضغاث أحلام تحمل في طياتها الجمال الشعري والقصصي.[2]

ويمكن تفسير ذلك بتتبع خصال أبي زيد الهلالي و محاسنه كالشجاعة و البسالة والشهامة ، ليست انطباعات مطابقة للواقع إذ لجأ إلى المبالغة و الغلو في سرد أخبار الريادة.[3]

و ما يهم في الأمر أن ذلك الشكل من القصص أو الأدب الشعبي بلغ صدى كبير في محاولة التأريخ له من قبل المدرسة الغربية و الاستشراقية .[4]

كما أنها تكونت من عنصرين أساسيين يعتمد عليهما الراوي ، فجمعت القصص الشعبية بين الشعر و النثر .[5]

و يظهر الاختلاف الذي وقع بين المؤرخين و الأدباء في إذا ما كانت تلك السيرة – أي القصة الهلالية – حقيقة (واقع) أو خيال ، و بهذا فقد تركت صدى كبير لدى الكثير من الدارسين ، و شكلت نوعا من الآثار الثقافية الأدبية الإيجابية التي تحسب على بطون بني هلال ، لأنها استمرت ردحا من الزمن بداية من القرن 5هـ / 11م (فترة دخولهم) وصولا إلى الوقت الراهن بحيث أصبحت متداولة بين الكثير من المجتمعات كموروث ثقافي لا يمكن التخلي عنه ، و إنما ظل راسخا في الأوساط الاجتماعية.

[1]– عبد الحميد يونس ، المرجع السابق ، ص ص 101–102.

[2]– حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص 169.

[3]– عبد الحميد بوسماحة ، رحلة بني هلال إلى الغرب ، ص ص 130–131.

[4]– عبد الحميد يونس ، الهلالية ... ، ص ص 91–99.

[5]– عزي بوخالفة ، المرجع السابق ، ص 242.

أما بالحديث عن الشعر و الذي نرى بأنه يرتبط أيضا بالقصص الشعبي ، لأنه من العناصر الأساسية في ذلك الأدب الشعبي .

إلا أن الأمر المثير هو أن الشعر قد تطور و استهوى الكثيرين و ظهر بعض الشعراء ، لارتباطه بمجموعة من الأحداث التاريخية خاصة السياسية منها ، عند الإشادة ببعض الأمراء أو تلك الإمارات نفسها.[1]

وفي تطورات الشعر ، فإن الشعر البدوي الشفاهي اعتبر وسيلة مهمة للحديث عن ما جرى و ما كان يجري في الماضي ، كنمط خاص للذاكرة الاجتماعية ووسيلة هامة لتكوين ونشر المفاهيم و التصورات الاجتماعية و الثقافة العامة بين القبائل العربية [2] – ومن ضمنها بطون بني هلال – و التي كانت موروثة لديهم عن أعراب الحجاز منذ أحقاب و أجيال.[3] وهو ما يثبت أنها كانت محملة برصيد ثقافي منذ أن وطأت أقدامها بلاد المغرب الإسلامي.

و بذكر الشعر في القصص الشعبي ، فيعتبر بوخالفة عزي أن الشعر يشكل الحلقة الكبرى في أي رواية هلالية خاصة التغريبة فهو يظهر حالات التلاسن (الحرب النفسية) قبل بداية المنازلة بين بطلين ، و لا تظهر إلا من خلال الشعر ، أو علاقة النسب و قرابة الدم ، هذا إضافة إلى كون إلغاء الشعر من التغريبة يلغي جانبا كبيرا من صفات البطولة ، لأن معظم أبطال التغريبة شعراء و عددهم يفوق الأربعين و قد يتضاعف إلى ثلاث مرات في تغريبة بني هلال الشامية الأصلية ، و يبقى الشاعر داخل التغريبة يمثل دور البطل الفارس ، وكل هذا يثبت و يؤكد مكانة الشعر ودوره لدى القابائل العربية منذ القدم[4] ، وهو ما كان حاضرا عند دخول تلك البطون فأثرت بلسانها العربي و ساهمت في إدخال نوع جديد من الشعر في بلاد المغرب .

---

[1]– أنظر المبحث الثاني من هذا الفصل (تأسيس الإمارات) .

[2]– عبد الحميد بوسماحة ، رحلة بني هلال إلى الغرب ، ج1 ، ص129.

[3]– السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص ص 166– 167.

[4]– عزي بوخالفة ، الهلالية ... ، ص 242.

و ما جعل الشعر عندهم يتميز إنما هو ذلك اللسان المضري ، فظهر لديهم ذلك الشاعر المغلق على أساليب لغتهم ، و الذوق الصحيح و الطبع السليم شاهدان بذلك ، ولم يفقدوا من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب[1] في أواخر الكلم.[2]

وكان الشعر ذلك في كثير من المرات يتحول إلى شكل غناء[3] ، وكثيرا ما تتحول تلك الوقائع المادية بين القبائل العربية و غيرهم من الجماعات المعادية لهم إلى ما يسمى في العرف الحديث " الحرب الباردة" ، و يتولاها غالبا القادرون على التفنن في القول.[4]

وفي خضم تعريف ابن خلدون بدريد من الأثبج دل على وجود الكثير من الشعراء ، الذين يعتنون بالأنساب و تتبع مسارهم التاريخي منذ دخولهم لبلاد المغرب الإسلامي ، فدريد من الأثبج الذين كانت لهم الرئاسة تم مدهم من قبل شعرائهم و يقول واحد منهم :

دَرِيدُ ذَاتُ صَرَاةِ البَدْوِ اللّجُودِ مُنقعِ   كَمَا كُلِّ أَرْضٍ مُنقعِ المَاءِ خِيَارُهَا.

نَحْنُ إِلَى أَوْطَانِ مُرّةِ نَاقَتِي لَكِنَّ مَعَهَا   جُمْلَةُ دَرِيدٍ كَانَ مَـــــــــوَارُهَا.

هُمْ عَرَّبُوا الأَعَرَابَ حَتَّى تَعَرَّبَــتْ   بِنَوْفِ المَعَالِي مَا يَنْفِي قِصَــارُهَا.[5]

و الملاحظ على هذا البيت الشعري التمتع بأسلوب فريد ، مع استعمال بعض المصطلحات الرمزية ذات الصبغة الشعرية التي ترجع إلى أصولها العربية.

و عند حديثنا عن إمارة سوسة ، فقد لقي جبارة بن كامل بن سرحان وهو من فادغ بن علي بن رياح يلقى امتداحا كبيرا من قبل الشعراء لعهده و عقب فترة حكمه. لأنه قد تم وضع قصيدة أولع الأعراب في إنشادها و كثرة تردادها في مدح جبارة و التي عددها ثلاثة وسبعون بيت شعري .[6]

---

[1]– و الذي لم يفقد من البلاغة شيء و إنما أخلوا فيه بالإعراب فقط . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 25.

[2]– مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، ص 189.

[3]– أنظر المطلب الموالي (الغناء و الموسيقى).

[4]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ... ، ص 252. عبد الحميد يونس ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي ، ص 90–91.

[5]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 32.

[6]– التجاني ، رحلة التجاني ، ص ص 43–52.

كما يضيف نفس المصدر من خلال رحلته أن مدافع وهو آخر أمراء بني جامع ، كان شاعرا حافظا للسيرة و الأخبار عالما بالأنساب ، وله وزير يعرف بسلام بن فرحان وهو شاعر.[1]

و ظهر شعراء أصلهم من عرب بني هلال بدويين مثل أبي ساكن عامر بن محمد بن مكي الهلالي ، و ابنه عمران ساكن بن عامر الهلالي.[2]

فأبو ساكن بن عامر بن محمد بن مكي بن كامل بن جامع لما اتصل به المقام بدمشق بعد الفرار ، ذكر في شعره أيامهم بقابس :

إِنِّي مِنَ الشُّم الأُلَى	شَادُوا العُلَى أَبْنَاءُ جَامِـــعَ.
أَهْلُ المَرَاتِبَ وَالكَتَا	ئَبَ وَ المَوَاهِبَ وَ الصَّنَائِعَ.
يَتَسَابَقُوَن إِلَى المَعَا	لِي كُلُّهُمُ فِيهَا سَـــَـــــارَعَ.
تِسْعِينَ عَامًا لَمْ يَكُنْ	فِيهَا أَحَدٌ لَنَا مُنـــَـــــازَعَ.

و هو بهذا الأسلوب الأدبي في كلمات شعرية ، ذكر تاريخ بني جامع و أهم أخبارها وأحوالها.

و لديه ابنه ساكن بن عامر ورد أيضا إلى دمشق و كان موجودا أواخر القرن السادس الهجري في سنة 591هـ ، و له أيضا مجموعة من الأبيات الشعرية التي ذكر فيها الأيام التي قضاها في الإمارة.[3] وهذا ما يوحي بأن الشعر الهلالي قد تنوعت و تعددت أغراضه.[4]

و هذا ما يظهر أن بطون بني هلال قد أثروا من الناحية الإيجابية في الحياة الثقافية ، من خلال أشعارهم و كتاباتهم التاريخية ذات الصبغة الروائية القصصية ، و التي تركت أثرا بارزا في بلاد المغرب ، و تمكنت من خلال كل هذا على المحافظة على لسانها العربي ، وقدمت بدورها خدمة جليلة لبلاد المغرب من خلال هذه الإسهامات الثقافية التي لا تزال الكثير من المناطق تحافظ عليها ، وتورثها لأبنائها جيلا عن جيل .

[1]- التجاني ، رحلة التجاني ، ص 101.

[2]- مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ... ، ص 265.

[3]- التجاني ، المصدر السابق ، ص 102.

[4]- حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 265.

ب- الغناء و الموسيقى :

الغناء و الموسيقى ترتبط ارتباطا وثيقا بما عرفته بطون بني هلال من الشعر ، فالوافدون الأوائل منهم كانوا لا يعتنون بالغناء باعتبارهم جنودا أو موظفين و تجارا ، و لا يملكون أي خبرة بالموسيقى ، فكانوا يتغنون بأشعارهم على طريقة ما يعرف بالحداء[1] ، وهو ما ذاع بين الناس في شكل غنائي بدوي عرف بذلك الاسم- الحداء-[2]، و قد كانت معروفة عند قبائل جزيرة العرب و منتشرة بكافة أنحائها ومواطنها ، على شكل ألحان كانوا يتسلون بها في أشعارهم و في مسايرة إبلهم و التنقل بالبراري ، و أصبحوا يرجعون الأصوات بأبيات من شعر الجاهليين و المخضرمين وهو ما يذكره أحد المؤلفين أحمد بن يوسف في كتابه " متعة الأسماع في علم السماع " وذلك خلال القرن 7هـ من أبيات كان يترنم بها العرب.[3]

فأخذ بربر إفريقية من بطون بني هلال و اقتبسوا منهم طرق الغناء و الإنشاد ، لأنهم كانوا إذا وضعوا قصيدة يتحاشون الانتساب إلى قول الشعر و الإنشاد بأنفسهم ، و ينشدهم لهم عبيدهم ذوو الحناجر الشجية في الأعراس و مواكب الأفراح رفقة عازفي الشبابات ودقاقي الطبول ، وهو من التقاليد العربية في الجاهلية و العصر المخضرم في الإسلام.

سادت الأغناي البسيطة في شكلها البدوي و التي تمخض عنها نشأة الشعر الملحون[4] إضافة إلى جانب انتشار الرقصات مثل الزقارة باستخدام الطبول الكبيرة التي أحضروها معهم.[5]

و إلى جانب كل هذا كانت بطون بني هلال تسمر بنوع غريب من العزف الرمزي ، عند الصيد و يشبهه البعض بالسمفونيات في العصر الحديث ، و شاع استخدامهم له عند صيدهم للأسود.[6]

---

[1]- مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص ص 251-252.

[2]- بوزياني الدراجي ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ و الهجرة و الاستقرار) ، ص 33.

[3]- مصطفى أبو ضيف المرجع السابق ، ص 252.

[4]- وهذا النوع لا يزال ينتشر بشكل كبير في الكثير من المناطق المتواجدة بالجنوب الغربي و الشرقي في الجزائر حاليا ، كموروث ثقافي لم يزل قائما إلى حد الساعة.

[5]- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص 265.

[6]- مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 252.

2/- الاهتمام بالعلوم و ظهور بعض العلماء :

رغم عدم اهتمام بطون بني هلال بهذا الجانب ، إلا أنها تخلت عن طابعها البدوي وأثرت في الجانب العلمي خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية و ظهور بعض الإعلام المهتمين بالجانب الديني ، فيما اصطلح عليه البعض حركة المرابطين[1] ، أو نزعات التصوف [2].

كما أن فترة الدراسة لم تسمح بالإشارة إلى هذا الجانب خاصة إذا علمنا أن بطون بني هلال ستؤثر بشكل كبير في الجانب العلمي – التي من ضمنها الديني – على طول القرون اللاحقة خاصة القرن الثامن هجري.[3] أو الاهتمام بالعلماء في حد ذاتهم مثل المؤرخ ابن خلدون[4] في إشارة إلى عنايتهم في التقرب من الأعلام و اهتمامهم بالتاريخ.

حتى أن هناك بعض الدراسات التاريخية أثبتت على أنهم اهتموا بمختلف العلوم ، فما ذكره التيجاني حول شخصية مدافع بن كامل أحد أمراء بني جامع من رياح الهلالية ، على أنه كان شاعرا حافظا للسيرة و الأخبار (ما يثبت اهتمامه و إطلاعه على التاريخ) ، ويضيف نفس المصدر على أنه كان عالما بالأنساب ، و ما يؤكد الاهتمام البالغ بالجوانب العلمية والثقافية هو اتخاذه للشاعر سلام بن فرحان وزيرا له.[5]

وقد اهتمت بطون بني هلال المستقرة بإفريقية و المغرب ، تعليم أولادهم القرآن الكريم لتأثرها بالطرق السائدة في دولها ، فبني علي من رياح أسندت لأحد الشيوخ – عبد الكريم بن إسماعيل الأرنبي القيرواني تعليم عشرة من أولادهم ليدرسهم القرآن ، نظرا لحاجتهم الماسة لمثل هؤلاء في مناصب الوزارة و الإفتاء أي مساعدين للرئيس أو الزعيم.[6]

وعن إرهاصات ذلك النشاط الإصلاحي المرتبط بالتصوف ، فقد ظهرت بواكره بأخذ بعض المريدين عن شيوخ التصوف ، وعلى رأسهم مسعود بن عريف من بطن سويد من

---

[1]– الطاهر بونابي ، حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف و الرباط ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، ص ص 56-73.

[2]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص 266.

[3]– بظهور شخصية سعادة الرياحي الذي سمى المرابطين معه بالسنة ، وكانت بداية حركته الدينية أواخر القرن السابع الهجري و انتهت بوفاته أوائل القرن الثامن الهجري 705هـ/ 1305م. أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 51-53.

[4]– فالشيخ ونزمار بن عريف من أولاد عريف من سويد إحدى بطون زغبة أتاح للمؤرخ ابن خلدون كتابة مقدمته و تاريخه ، بعد أن استضافه و أهله بقلعة ابن سلامة إحدى الإقطاعات التي منحتها لهم الدولة المرينية . أنظر : ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا و غربا ، ص 228.

[5]– التجاني ، رحلة التجاني ، ص 101.

[6]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 264.

زغبة الذي أخذ عن أبي مدين شعيب الأندلسي المتوفي سنة 594هـ /1198م في بجاية – أي أواخر القرن السادس الهجري – ، ثم عودته إلى الشلف و تأسيسه لزاوية وسط قبائل سويد و الديالم التي تحولت إلى مركز لنشر الطريقة خلال النصف الأول من القرن 7هـ/13م.[1]

و ما دونه التجاني من خلال رحلته على أنه ظهر من عرب العمور أبو عيسى و أنشأ زاوية أولاد سهيل لاشتهاره بالصلاح و إكرام الوافدين عليه ، و لم تمنع وفاته سنة 670هـ/1271م من مواصلة أبنائه الذين خلفوه في إقامة رسم الزاوية باعتبارهم أصحاب علم صالحين.[2]

ومن هذا القبيل و حسب ابن خلدون ، ظهر أيضا عامر بن أبي يحيا بن محيا شيخ أولاد يحي بن سعيد بن بسيط بن شكر ، الذي كان له فيهم ذكر و شهرة ، بانتحاله العبادة لأنه عند حجه لقي بمصر شيخ الصوفية لعصره يوسف الكوراني الذي أخذ عنه ، و لما رجع إلى قومه عاهدهم على طريقته و نحلته فاتبعه الكثير منهم.[3]

و يضيف نفس المصدر في خضم حديثه عن رياح ، ظهور شخصية دينية بارزة سعادة الرياحي العالم بالسنة[4] (601-705هـ/1204-1305م)[5]، وكانت بداية نشاطه بطولقة من بلاد الزاب حين عمد إلى تغيير المنكر في قومه ، حتى بلغت دهوته صداها و تلقاها الكثير من أهل الزاب و وادي ريغ و التزم الكثير منهم بطريقته ، من الزواودة و أولاد إدريس وهجرس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة و رجالات من العطاف من زغبة و استظهر بهم على شأنه في إقامة السنة ، حتى أسمى أولئك المرابطين بالسنة أو أهل السنة.

لتظهر بدايات النشاط الفعلي بعد الإصلاح الذي ظهر في البوادي إلى إمارة بني مزني ، حين دعا أميرها منصور بن فضل إلى إعفاء الرعية من الضرائب (المكوس) ما أدى به

---

[1]– الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 60.

[2]– التجاني ، رحلة التجاني ، ص ص 212–213.

[3]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 35.

[4]– وهو من مسلم إحدى شعوب رياح و بالضبط من رحمان (لذلك اشتهر بالرحماني) ، و أمه تدعى خضيبة (و لم يذكر مكان ميلاده) إلا أنه كان في أعلى منازل العبادة و الورع ، و سمحت له رحلته إلى المغرب أن يلتقي شيخ الصالحين و الفقهاء لذلك العهد بنواحي تازا إسحاق التسولي الذي لزمه و أخذ عنه ، فعاد إلى وطن رياح محملا بفقه صحيح و ورع وافر. أنظر : ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص 51.

[5]– الطاهر بونابي ، المرجع السابق ا، ص 66.

إلى محاولة قتله من قبله ، فحال دون ذلك مريدوه و بايعوه على إقامة السنة.[1] و بعد أن خشي على نفسه بطولقة قام ببناء زاوية بضواحيها انتقل إليها رفقة أتباعه ومريديه ، إلى أن توفي قرب مدينة مليلي سنة 705هـ.[2]

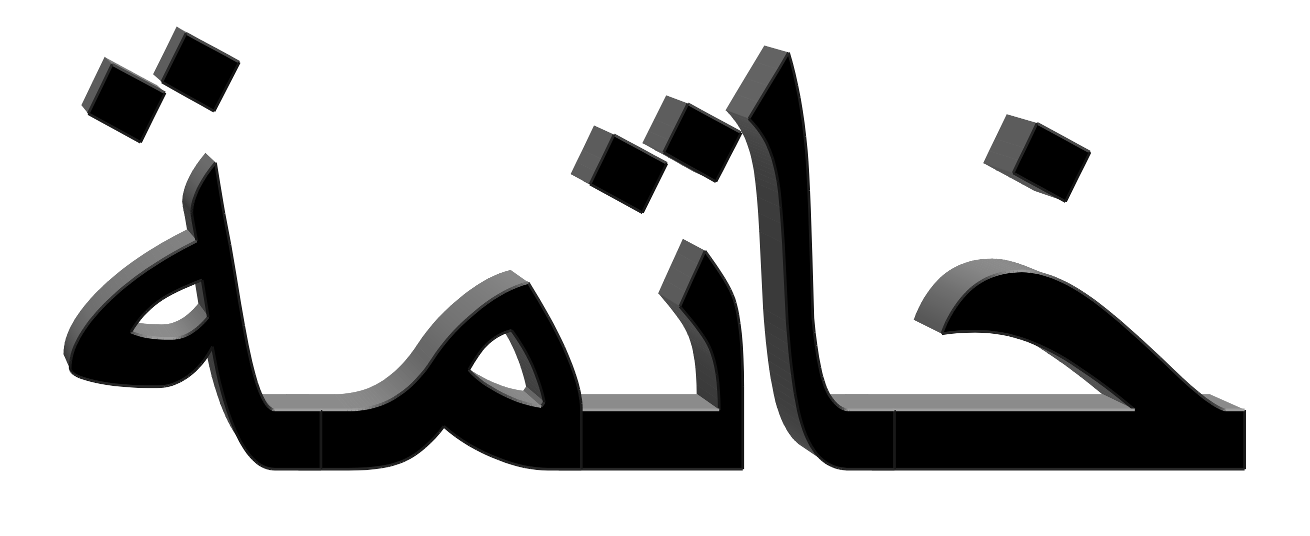
ومن خلال دراسة هذا الفصل يظهر أن بطون بني هلال أثرت في جميع الجوانب بوجهين سلبي و إيجابي ، و أعتبر بمثابة شر حين أسهمت هجرتهم في تراجع و انحطاط بعض دول المغرب الإسلامي و فتح المجال أمام الصليبيين لاكتساح مدنها الساحلية ، وتراجع الدور الاقتصادي بطغيان النشاط الرعوي على الزراعي و كساد التجارة ، مما أثر بدوره في الجانب الاجتماعي حين غلب الطابع البدوي على المنطقة وانتشار العصبية القبلية ، بالإضافة إلى المساهمة الكبيرة في اندثار بعض المعالم الحضارية و على رأسها عاصمة الدولتين الزيرية و الحمادية على التوالي القيروان و القلعة ، إلا أن ذلك الشر تأتى عنه خير كثير فقد ساهمت بدورها في الدخول في خدمة دول المغرب الإسلامي لرد اعتداءات القبائل المناوئة للسلطة سواء من صلبها أو الخارجة عن طاعة تلك الدول ، و دورها الجهادي في رد الاعتداءات الخارجية أو حتى بمشاركتها في الجهاد بالأندلس ما أظهر ذودها في حماية الدين الإسلامي ، و لعله يرتبط بما ذكرناه قبل قليل بظهور شخصيات دينية بارزة حاولت إصلاح ما ترتب عن الطابع العصبي البدوي .

و اكتشفنا أنها اهتمت بإقامة بعض الكيانات السياسية و لم تأب من خلاله إلا الخروج عن سلطة الدول ، كما اهتمت بالجانب الاقتصادي من خلال جباية الضرائب و الأنشطة الاقتصادية المختلفة كالزراعة و تربية المواشي و الحيوانات و التجارة ، حتى ظهرت كعنصر اجتماعي مؤثر في المنطقة بحكم التعايش مع الطرف الآخر كشريك ، و المساهمة بذلك في تعريب المنطقة كأثر حضاري لا تزال بوادره قائمة إلى اليوم ، و أثرت في الجانب الثقافي من خلال انتشار الشعر و القصص الشعبي و الموسيقى و الغناء البدوي ، و الأهم من كل هذا الاهتمام بالعلوم خاصة الدينية منها .

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 51–52.

[2]– المصدر نفسه ، ص 52. أنظر أيضا : كمال عجالي ، من علماء و أعلام دولة بني مزني ، ص ص 50–51. و الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص ص 66–67.


خاتمة

من خلال دراستنا للموضوع يمكن أن نخرج بجملة من الاستنتاجات :

يعود نسب بطون بني هلال و غيرها من القبائل التي ألحقت بها أثناء هجرتها التاريخية إلى عدنان ، المعروفة اصطلاحا بالعرب العدنانية أو المستعربة التي تضمنت مجموعة من الفروع عرفت بها هي أيضا كالمضرية و القيسية و الهوازنية و العامرية ، وبهذا كانت من أهم العناصر الاجتماعية التي شكلت سكان منطقة الجزيرة العربية خاصة بالحجاز ونجد ، و ارتبط ذلك التوطن بالعامل الزمني مع صعوبة التحديد الدقيق عند العلم أنها من أشهر القبائل المعروفة بالتنقل و الترحال حسبما تقتضيه الطبيعة و المناخ و الظروف المحددة للاستقرار، وكانت تقريبا مشابهة من حيث الخصائص الطبيعية والجغرافية للمناطق التي استقرت بها أثناء انتقالها للمغرب.

وقبل هجرتها الموسومة بعدة مصطلحات ذات دلالات تاريخية مختلفة فإنها تواجدت بعدة مناطق خاصة الصعيد المصري و قبله الشام والعراق ، وكان توطنها بتلك المنطقة بالذات – الصعيد– الفيصل لتتغرب عن أوطانها الأولى .

و أثناء تواجدها بتلك المنطقة كانت بلاد المغرب الإسلامي بدولتيها الزيرية والحمادية تحت ولاء من فتحوا لهم المجال للتواجد بالصعيد – أي الفاطميين– ، وبحكم تدهور العلاقة وظهور الصراعات السياسية و الدينية و تغير متطلبات الاستقرار بالنسبة لبطون بني هلال بتدهور الأوضاع الاقتصادية لمصر الفاطمية ، دفع خليفة هذه الأخيرة لإيجاد الوسيلة المناسبة لإخضاع دول المغرب الإسلامي – الزيرية– التي فضلت الارتباط بالخلافة العباسية لإحياء المنهج السني و التخلي عن مذهبهم الشيعي ، فلم تكن أمام خليفتها المستنصر إلا تلك القبائل للتخلص من عيثها و الوضع المزري الذي تعيشه دولته و إرسالها إلى الأمير الذي فعل بفعلته ما عجز عنه أجداده و آباؤه من قبل لتأديبه وانتقاما منه على فعلته حتى و إن كان عمه حماد قد فعلها قبله منذ سنة 405هـ. وبهذا فقد تداخلت الدوافع

والأسباب الكامنة وراء تلك الهجرة خلال القرن 5هـ/11م ، فاعتبرت منذ تلك الفترة حادثة تاريخية أثارت الكثير من الجدل التاريخي .

وابتداء من دخولها سنة 442هـ مثلت بداية توسعها الحربي على المغربين الأدنى والأوسط بحكم انتصارها على أمير الدولة الزيرية و السيطرة على عاصمة الدولة (القيروان) سنة 449هـ ، ثم الدولة الحمادية في موقعة سبيبة الشهيرة سنة 457هـ ، بالرغم من أن حجم الضرر الذي ألحق بالمجال الأول اختلف عن الثاني . إلى أن بدأت مرحلة التوسع السلمي بعد أن تمكنت دولة الموحدين من إخضاعها مع ظهور بعض التمردات ، و إسهام البعض من تلك البطون الملحقة بها في إسقاطها على آخر عهدها.

وباستقراء بطون بني هلال ببلاد المغرب تم التأكد من أنه توجد فروع رئيسية و كبرى لها وهي ثلاثة زغبة و رياح و الأثبج وكل منها ضم عدة بطون ، أما الأخرى فقد عدَّت من ضمن البطون الملحقة بها و هما المعقل و جشم . غير أن المثير للجدل أنه ذكرت بعض البطون لكن تم السكوت عنها ، وذكرت في مواضع كثيرة متعددة فيما بعد مرحلة الدخول دون الإشارة إلى بطونها خاصة (عدي). بعد أن أكدت بعض الدراسات التاريخية أن المقصود من ربيعة هم المعقل (متحججة فيما ذكر عن نسبهم).

وما تمكنا من استخلاصه خاصة بالحديث عن مناطق استقرار بطون بني هلال ، أنها كلها قد استقرت بالمغرب الأدنى أو مرت عليه حتى تنتشر فيما بعد بشكل عرضي من الشرق إلى الغرب ، و أهمها رياح التي استقرت بكافة المغرب الإسلامي بداية بالمغرب الأدنى عندما أزاحت زغبة ثم عدي من طريقها ، ثم الأوسط خاصة الزواودة من بطن مرداس منهم ، أما المغرب الأقصى فقد استقرت به على عهد المنصور الموحدي رغم تمرد أميرها. و الأثبج بصفة عامة و حسبما يظهر فإنها اختصت بالمغرب الأدنى كما أنها ضمنت تواجدها بالمغرب الأوسط خاصة على عهد الدولة الحمادية التي خصتها بالحلف

دون غيرها كما أن هناك بطون منها ألحقت بها كبني قرة (اعتبرت أول بطون بني هلال السباقة في دخول المغرب " إفريقية" قبل الهجرة الكبرى) ضمنت استقرارها على الحدود الجغرافية بين المغرب الأوسط و الأقصى . أما من اختص من بطونها بالاستقرار بالمغرب الأقصى فهي العاصم و مقدم بعد أن ألحقت بجشم وظلت كذلك إلى أن اندثرت و تلاشت وعدت من القبائل الغارمة.

أما الفرع الآخر الرئيسي زغبة فإنهم اختصوا دون غيرهم بالمغرب الأوسط ، بعد تمكن رياح من طردهم من نواحي إفريقية ، و اشتهرت بهذا و تمكنت من فرض نفسها خاصة على عهد الدولة الزيانية خاصة بطن سويد منها.

أما البطون التي ألحقت بها من جشم و المعقل ، فقد اختصت بالمغرب الأقصى باستثناء المعقل التي انقسمت على نفسها لأنها تتكون من أربعة بطون فذوي حسان و ذوي منصور هم الذين استقروا بالمغرب الأقصى أما البطنين الآخرين ذوي عبد الله و الثعالبة – الذين اندثروا و انقطعت أخبارهم – فاستقروا بالمغرب الأوسط. والملاحظ أن الكثير من الدراسات تتناسى أنها فعلا ملحقة و لا تذكر ذلك ، باعتبارها من بين العوامل التي ساهمت في سقوط دولة الموحدين ما يجعلها تطلق أحكام قاسية على عرب بني هلال ، وكل هذا نتيجة سياسة عبد المؤمن بن علي التي انعكست سلبا على دولته في آخر أيامها ، حتى و إن كانت جزء من الظروف المحيطة بالدولة في تلك الفترة و التي أسهمت في سقوطها.

كما أن ذلك التواجد لبطون بني هلال سمح لرياح أن تقيم كيان سياسي بالمنطقة على عهد الزيريين بعد تراع دورهم التاريخي ، و انقسام دولتهم إلى مجموعة من الإمارات وانتقالهم إلى المهدية ، فاعتبرت من أبرز الإمارات التي أسست و جمعتها علاقات متباينة مع الأمراء الزيريين و هي إمارة بني جامع بمدينة قابس.

و البطن الآخر الذي تمكن هو الآخر من إقامة كيان سياسي تضاربت حوله الدراسات التاريخية ، وهي إمارة بني مزني بالزاب على عهد الدولة الحفصية ، و كل هذا تم من خلاله التعرف على أن تلك البطون اهتمت بالنواحي السياسية و الإدارية ، و أن ذلك التوطن كان له بعد سياسي بالمنطقة ينفي بعض الصور السلبية التي ارتسمت حول بطون بني هلال.

و ذلك التوطن سمح لها بأن تقيم علاقات متعددة مع دول المغرب الإسلامي المرتبطة بفترة الدراسة من القرن 5هـ / 11م إلى القرن 7هـ/13م – كبعد سياسي آخر– ، الذي امتد من عهد الدولة الزيرية حتى البدايات الأولى للدول الثلاث التي ظهرت على أنقاض الموحدين ، مع تباين العلاقات التي جعتها بها حسبما تمليه الظروف و التأثيرات بالمنطقة.

وكل ما ذكرناه و تعرفنا عليه من خلال دراسة الموضوع أرشدنا للحديث عن الآثار المترتبة عند تواجدها ببلاد المغرب الإسلامي ، محاولين من خلاله الإجابة عن إشكالية البحث التي تضاربت حولها الدراسات التاريخية خاصة المصادر – التاريخية و الجغرافية– التي أكدت على دورها التخريبي بالمنطقة رغم تأخرها عن الحدث ، و ذكرها لبعض الآثار الإيجابية . و تأكدنا بأن تلك البطون على اختلافها سواء الرئيسية أو حتى الملحقة أثرت في المنطقة بالسلب و الإيجاب في مختلف المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الحضارية .

فإن كانت أسهمت في تخريب المنطقة و إيقاعها في هوة اقتصادية سحيقة ، و أسهمت بطابعها البدوي و عصبيتها القبلية في عدم التمكن من إقامة كيان سياسي مشابه للدول التي كانت قائمة آنذاك بتحطيم معالمها الحضارية .

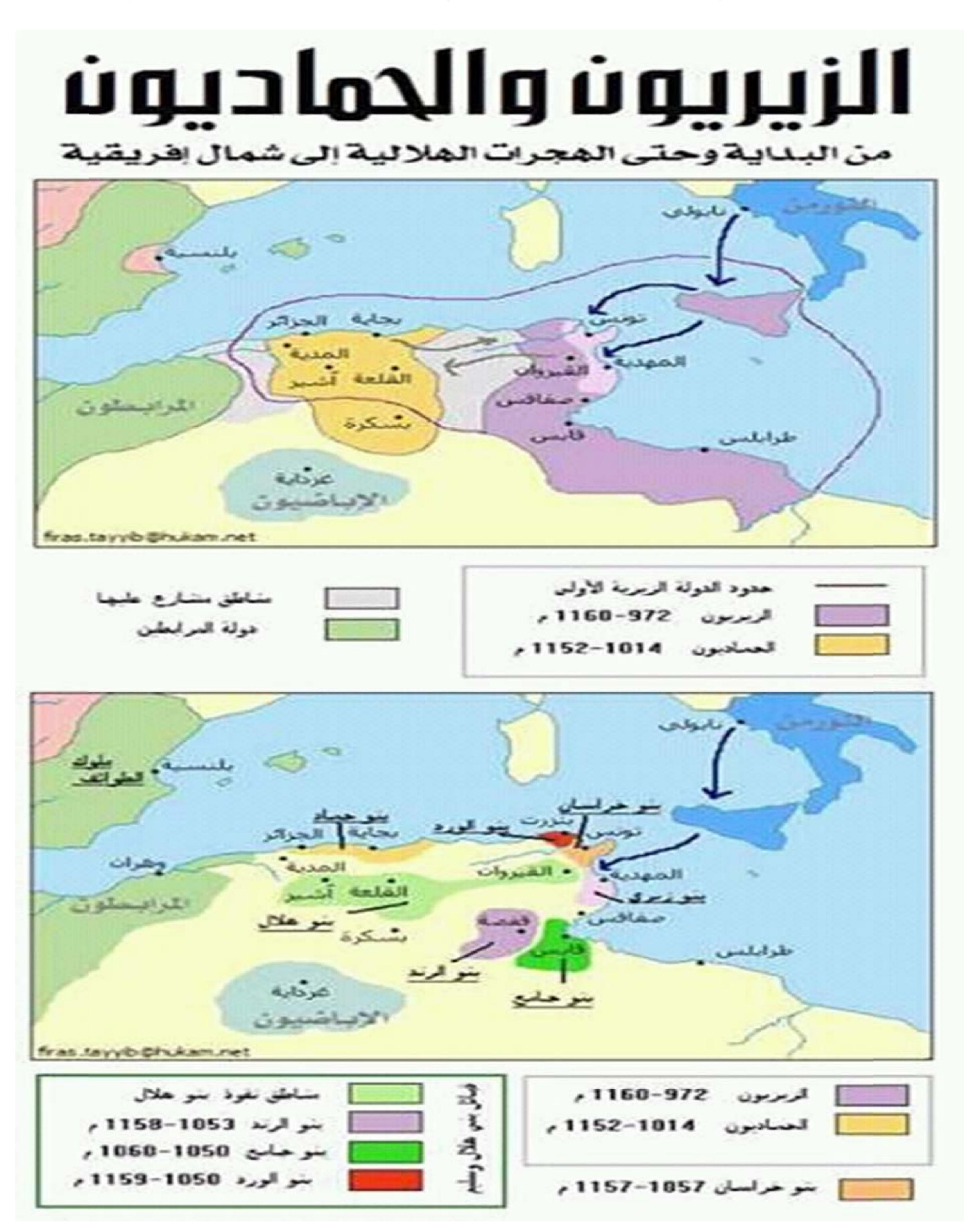
فهذا لم ينف دخولها في خدمة الدول و التمرس في السياسة بإقامة بعض الإمارات ككيانات سياسية ، و التي ظلت على ولائها في خدمة دول المغرب الإسلامي ، و هو ما سمح لها بتكوين علاقات مع السكان المحليين و التعايش معهم في إطار الاعتراف بالآخر كشريك ،

و دورها الاجتماعي الحضاري الذي لا تزال آثاره باقية إلى اليوم بأن صبغت المنطقة باللسان العربي و إسهامها في تعريب بلاد المغرب بإتمامها لما قام به الفاتحون منذ القرن الأول للهجرة. كما أنها تركت بعض الآثار الثقافية التي لا تزال معالمها متواجدة إلى اليوم .

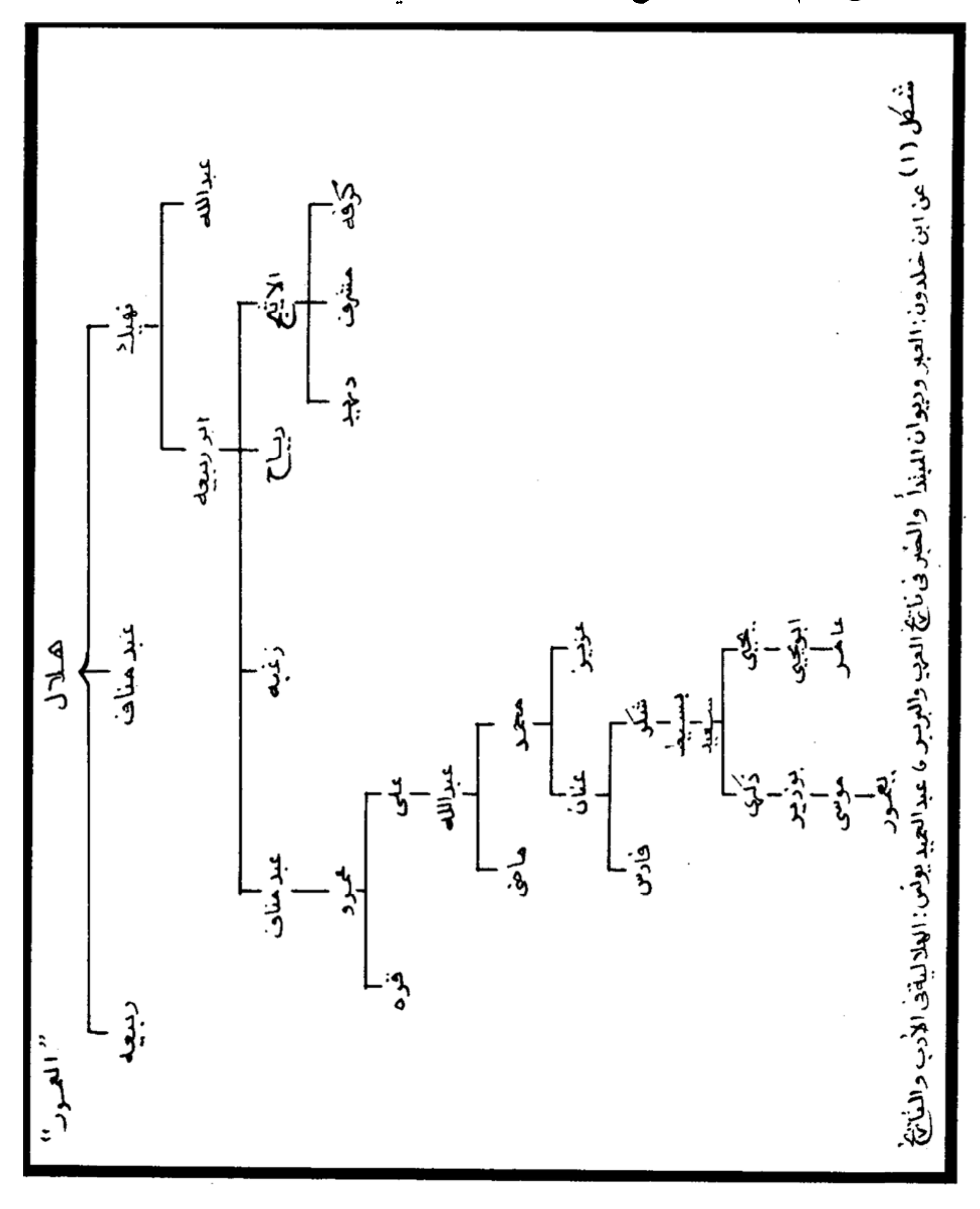
و بالتالي فبطون بني هلال أسهمت بشكل أو آخر في تخريب المنطقة و تعميرها من جهة أخرى ، خاصة إذا ارتبط ذلك بالفترة الزمنية للدراسة من القرن الخامس هجري إلى القرن السابع الهجري.

الملاحق

الملحق رقم 01 : هجرة بطون بني هلال خلال القرن 5ه/11م.



الملحق رقم 02 : الفروع الرئيسية لقبيلة بني هلال ونسب قبيلة العمور.

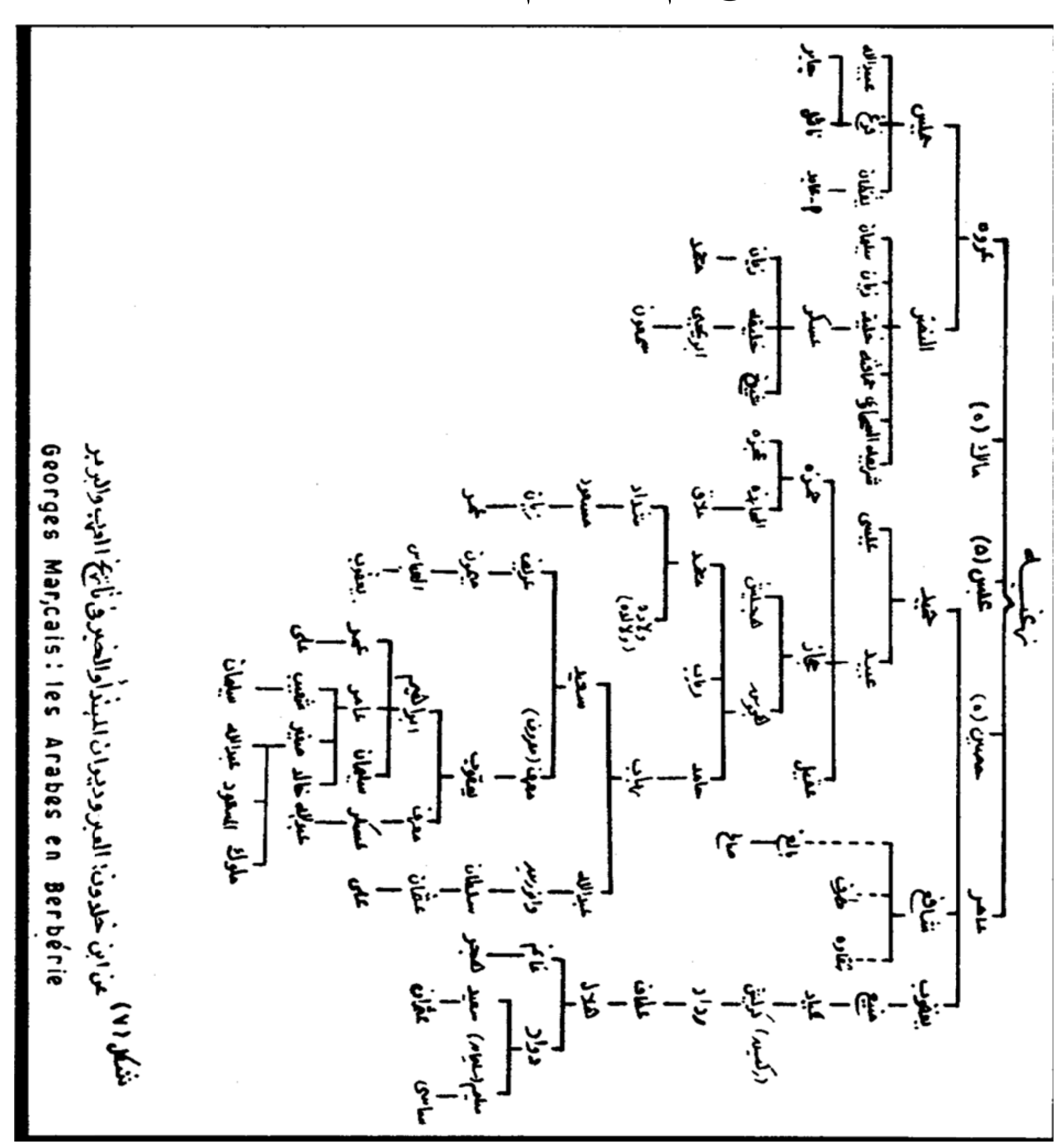


1

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص 351.

الملحق رقم 03 : أهم بطون زغبة الهلالية



1

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 356.

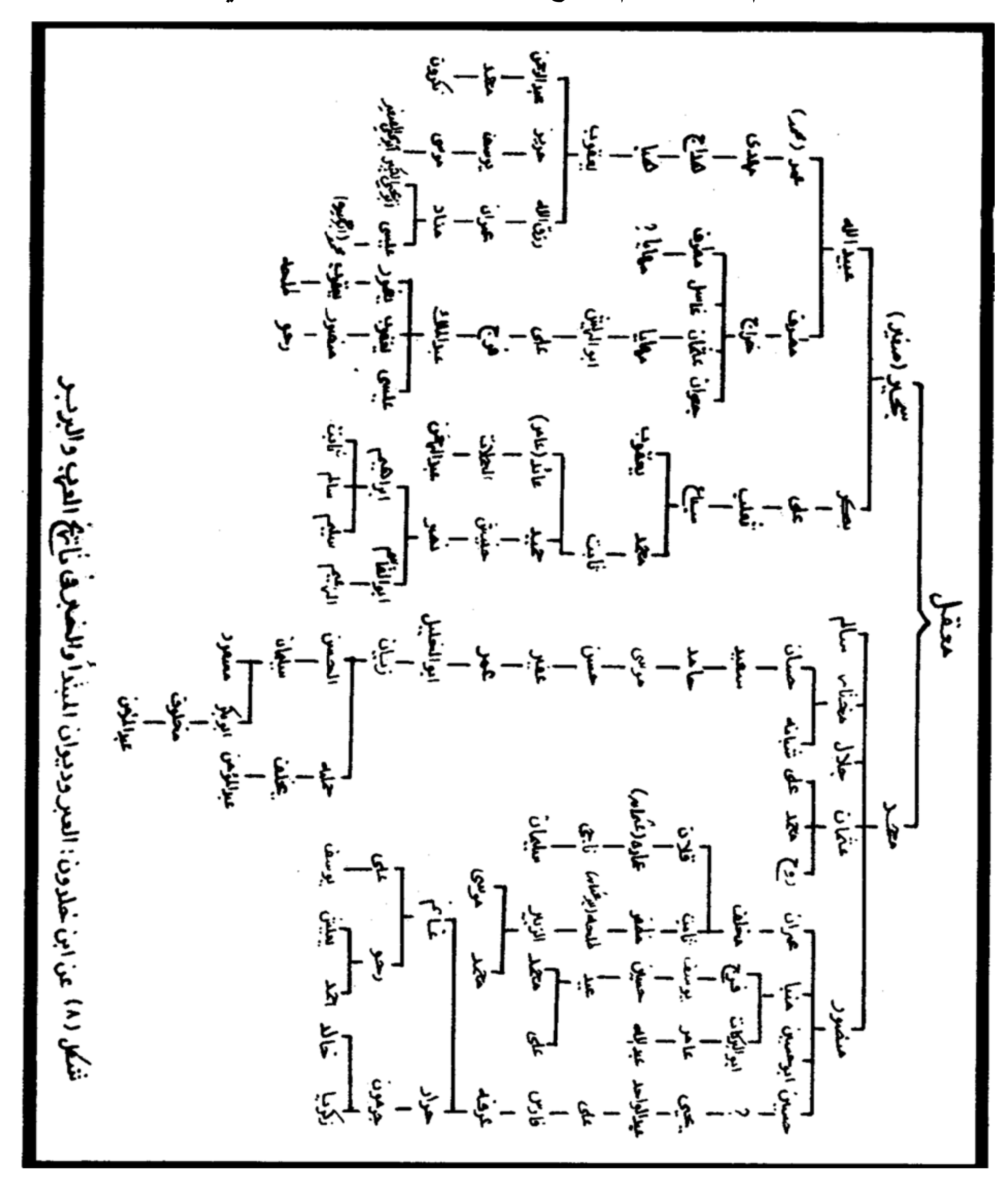
الملحق رقم 04 : أهم القبائل العربية بولايتي البيض و النعامة .



1

[1]– جل القبائل تظهر على أنها من بطون بني هلال خاصة من زغبة و الأثبج.

الملحق رقم 05 : أهم فروع قبيلة المعقل الملحقة ببني هلال .

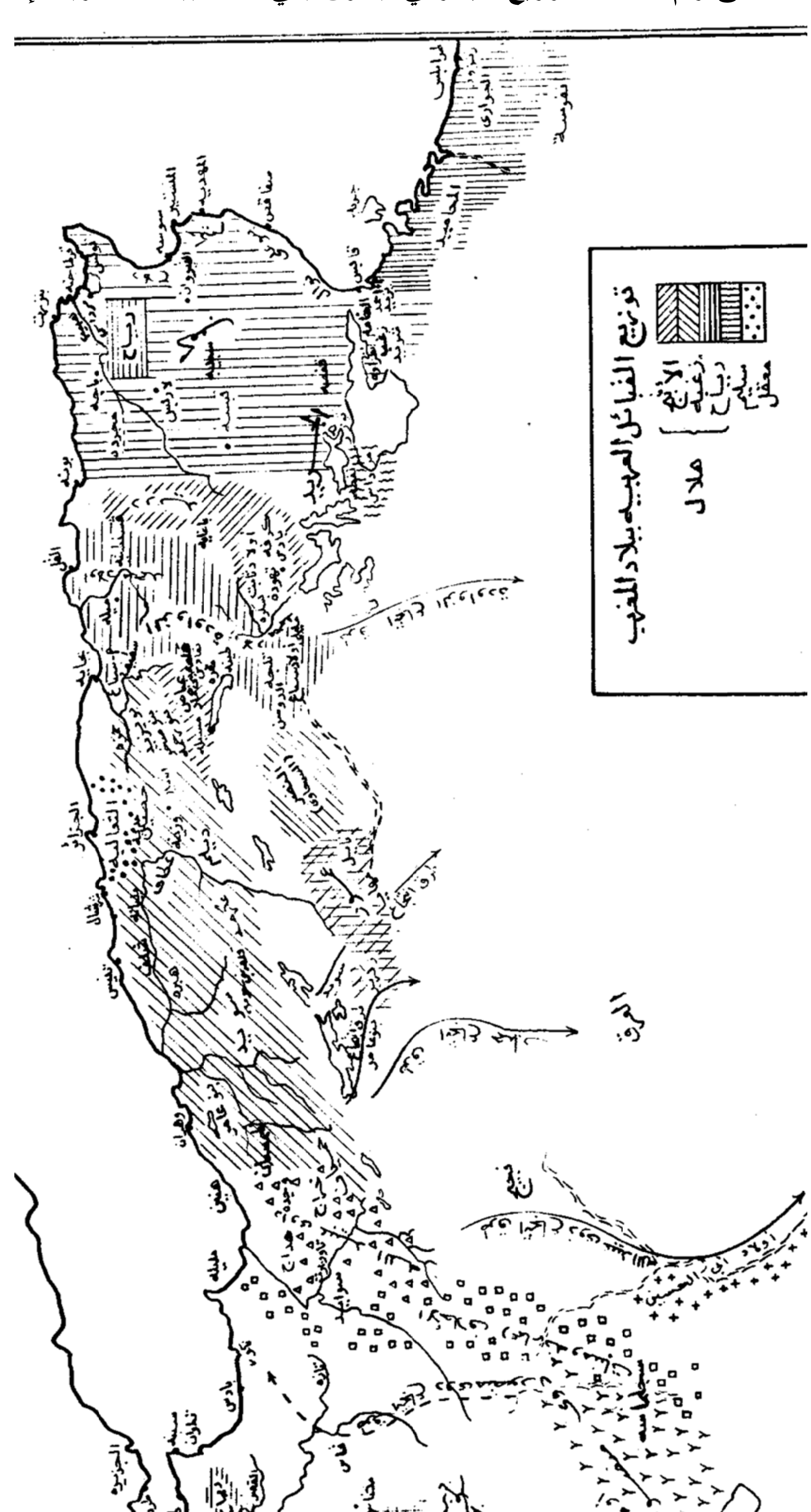


[1]

---

[1]– مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في بلاد المغرب ، ص 358.

الملحق رقم 06 : التوزيع الجغرافي لبطون بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي.



قائمة المصادر والمراجع (البيبليوغرافيا)

1/- المصادر :

- القرآن الكريم .

أولا - الكتب :

1- ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد هشام ، ط3 ، نشر مكتبة العتيقة ، تونس ، 1968.

2- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، 1972.

3- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،الرباط

4- ابن الأثير عز الدين ، الكامل في التاريخ ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، ج8 و ج9.

5- ابن الأثير عز الدين ، اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ج3.

6- ابن الخطيب لسان الدين ، أعمال الأعلام ، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964.

7- ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق و تقديم الطاهر بن محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، 1984 .

8- ابن القطان المراكشي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تقديم وتحقيق محمود علي مكي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1990.

9- ابن القنفد أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي ، دار الكتاب التونسية ، تونس ، 1968 .

10- ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، تحقيق و تصحيح محمود فردوس العظم و محمود فاخوري ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، د.ت ، ج2.

11- ابن تغر بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج5.

12- ابن حبيب أبو جعفر محمد ، مختلف القبائل و مؤتلفها ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة – بيروت .

13- ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 .

14- ابن خلدون عبد الرحمن ، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا ، دار الكتاب اللبناني ، 1979.

15- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 2000م ، ج2 و ج4 و ج6 و ج7.

16- ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق المستشرق أ. م . كاترمير ، المجلد الأول ، مكتبة لبنان ، طبعة باريس ، 1858.

17- ابن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1968 ،ج1 و ج3.

18- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن ، الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 .

19- ابن رسول عمر بن يوسف ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تحقيق ك – وسترسين ، دار صادر ، بيروت ، 1992.

20- ابن صاحب الصلاة عبد الملك ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987.

21- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س . كولان و إ . ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 1 و ج3.

22- ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي ، التذكار فيمن ملك طرابلس وكان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1349هـ.

23- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة.

24- الإدريسي الشريف ، المغرب و أرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1863.

25- الأندلسي ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983.

26- الأندلسي أحمد بن عبد الولي البتي البلنسي تذكرة الألباب بأصول الأنساب ،تحقيق محمد مهدي الموسوي ، ط 1 ، دار المواهب ، بيروت ، 2001 .

27- البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

28- البكري أبو عبيد ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ،1945، ج1.

29- البيذق أبي بكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي ابن تومرت ، دار المنصور ، الرباط ، 1971.

30- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ، رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1981.

31- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، 1984.

32- الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ،د.ت ، ج 8.

33- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماخور ، ط2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 .

34- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأندلسي ، كتاب الجغرافيا ، المجلد 11 ، تحقيق محمد حاج صادق ، نشرية الدراسات الشرقية ، دمشق ، 1968.

35- السرحاني سلطان طريخم المذهن ، جامع أنساب قبائل العرب.

36- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج1 و ج2 .

37- السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، الأنساب ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط 1 ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، 1981 ، ج10 ، ج11 ، ج 12.

38- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، لب الألباب في تحرير الأنساب ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز و أشرف أحمد عبد العزيز ،ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991.

39- الصيرفي ابن منجب ، الإشارة لمن نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله مخلص ، خزانة الكتب الخالدية ، بيت المقدس ، 1923.

40- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، ج2 .

41- العبدري أبو عبد محمد ، الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968

42- القرطبي أبو الحسن اليمني ، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب.

43- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة – بيروت ، 1982.

44- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980 .

45- القلقشندي أبي العباس أحمد ، صبح الأعشى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922 ، ج 1 .

46- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1963.

47- المقدسي أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي ، الأنساب المتفقة في الخط والمتماثلة في النقط.

48- المقريزي أبو العباس أحمد بن علي ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، دار النشر ، القاهرة ، 1961 .

49- المقريزي تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق كرم حلمي فرحات ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2007.

50- المقريزي تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج1.

51- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ، 1971 .

52- النميري ابن الحاج ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، إعداد محمد شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990.

53- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 2 و ج 24.

54- الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط1 ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء.

55- الهمذاني أبو بكر الحازمي ، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي ، تحقيق عبد الله كنون، ط2 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1973 .

56- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب ، البلدان ، مطبع بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، 1860.

57- مجموع رسائل موحدية ، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، اعتنى بإصدارها إ. لافي بروفانصال ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، 1941 ، الرسالة السادسة و العشرون.

58- مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الكويت.

59- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977، ج5.

2/- المراجع :

أولا – الكتب :

1- ابن عقيل الظاهري أبو عبد الرحمن و عويس عبد الحليم ، بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ و الأدب ، دار العلوم ، الرياض،1981 ،

2- أبو النصر عمر ، تغريبة بني هلال و رحيلهم إلى بلاد المغرب و حروبهم مع الزناتي خليفة ، ط1، دار عمر أبو النصر وشركاؤه للنشر والتوزيع ، بيروت، 1971.

3- أبو خليل شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، ط5 ، دار الفكر ، دمشق ، 2005.

4- أبو صوة محمود أحمد ، تاريخ العرب الاجتماعي و الاقتصادي في العصر الوسيط قراءة مغايرة ، دار الهدى للطبع و النشر ، الجزائر ، 2002.

5- أبو ضيف مصطفى أحمد عمر ، القبائل العربية ببلاد المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

6- أحمد حسن خضيري ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996.

7- أحمد موسى عز الدين عمر ، تنظيمات الموحدين و نظمهم في المغرب ، بيروت ، 1969.

8- البلادي عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز ، ط2 ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة ، 1982.

9- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، ط1 ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، 1956 ، ج 1.

10- الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين و المستشرقين ، ط5 ، جار العلم للملايين ، بيروت،2005.

11- الصلابي محمد علي محمد ، الدولة العبيدية الفاطمية ، ط1 ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، 2007.

12- الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس ، تعريب محمد الشاوش و محمد عجينة ، ط1 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993.

13- الطمار محمد ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 .

14- الطيب محمد سليمان ، موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية و تاريخية ، المجلد الأول ، دار الفكر العربي ، 1997، ج1.

15- العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000.

16- القوتلي محمد نبيل ، بحث مختصر في أنساب العرب ، ط1 ، دار البشائر ، دمشق ، 1998 ، ج2.

17- المباركافوري صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ط1 ، دار المستقبل ، مكة المكرمة ، 2005 .

18- المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

19- المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2001.

20- الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت ، ج2.

21- برنشفيك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، ج1 و ج2.

22- بن منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1968 ، ج1.

23- بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977.

24- بوسماحة عبد الحميد ، رحلة بني هلال إلى الغرب و خصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، وزارة الثقافة ، 2008 ، ج 1.

25- بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ،ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1985.
26- بويحي الشاذلي ، الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري ، مج 2 ، نقله إلى العربية محمد العربي عبد الرزاق ، د.ط ، د.ت .
27- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط3 ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، 1964.
28- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) ، ط1 ، مكتبة الخنانجي ، مصر ، 1980.
29- حسن محمد ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ، تونس ، 1999 ، ج1.
30- حماه الله ولد السالم ، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2012 ، ج2 .
31- حوالة يوسف بن أحمد ، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن 5ﻫ ، ط1 ،جامعة أم القرى ، 2000، ج1.
32- خالدي عبد الحميد ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ،2007.
33- روجي إدريس الهادي ،الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ج 1.
34- سالم السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999.
35- سيد أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، 1992.
36- صالح محمد فايزة و سجيني أمين ، غزو بني هلال وبني سليم ، مكتبة النهضة المصرية ، 2007 .

37- عبد الحميد سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990 ، ج 3.
38- علال خالد كبير ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة (دراسة نقدية تحليلية هادفة) ، ط1 ، دار الإمام مالك ، البليدة – الجزائر- ، 2005 .
39- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ط 2 ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1991.
40- كحالة عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط 8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1997 ، ج 2 و ج3 .
41- كرو أبو القاسم محمد و شريط عبد الله ، عصر القيروان ،ط 1 ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1973.
42- مارسيه جورج ، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة ومراجعة محمود عبد الصمد هيكل و مصطفى أبو ضيف ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999.
43- محمود حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1956.
44- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة ، تونس ، 2004 .
45- مؤنس حسين ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996 ، ج2.
46- نجم فرج عبد العزيز ، القبيلة و الإسلام والدولة في ليبيا، دار الدعوة ، القاهرة ، 2004 ، ج 2 .
47- يزن أحمد ، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ، د. ت .
48- يونس عبد الحميد ، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي.

ثانيا : المجلات و الدوريات :

1- الدراجي بوزياني ، بنو هلال و أحلافهم (المنشأ والهجرة والاستقرار) ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001.

2- السقا سميرة ، دولة بني مزني ببسكرة من خلال كتاب العبر لابن خلدون ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001.

3- الشريف محمد ، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة (المغرب و الأندلس دراسات في التاريخ و الأركيولوجية) ، ط1 ، كلية الآداب و العوم الإنسانية ، تطوان ، المغرب ، 2006.

4- الطيبي أمين توفيق ، بنو هلال و دورهم في الجهاد في إفريقيا و الأندلس إلى نهاية القرن 6هـ/12م (دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس) ، الدار العربية للكتاب ، 1997 ، ج2.

5- بعلي حفناوي ، عبد الرحمن بن خلدون في ضيافة إمارة بني مزني قرن ونصف قرن من الحضارة و النضارة ، المجلة الخلدونية ، العدد11 ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001.

6- بونابي الطاهر ، حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف و الرباط ، المجلة الخلدونية ، العدد 11، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001.

7- حميش سالم ، عن صورة المغرب الأوسط في بعض الدراسات الاستشراقية (المغرب في الدراسات الاستشراقية ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة الندوات ، مراكش ، 1993.

8- دغفوس الراضي ، العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال و بني سليم من مصر إلى إفريقية ، مجلة المؤرخ العربي، العدد 20 ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، 1981.

9- دغفوس الراضي ، مراحل تاريخ الهلالية في المشرق : مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب ، مجلة المؤرخ العربي ،العدد 11 ، بغداد ، 1981.

10- شافو رضوان ، وادي ريغ أيام إمارة بني مزني (1279-1402م) ، المجلة الخلدونية ، العدد 11 ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات ، بسكرة ، الجزائر ، 2001.

11- عمارة علاوة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الجزائر ، 2008.

ثالثا : الرسائل الجامعية :

1- الدراجي بوزياني ، العصبية القبلية و أثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (من القرن6هـ إلى القرن 9هـ) ، بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة الجزائر.

2- دحروج إلهام حسن ، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية ، رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 2000.

3- عزي بوخالفة ، تغريبة بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية ، أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر ، 2002-2003.

4- نقيبل عبد العزيز ، شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان قبل خرابها ، مذكرة ماجستير تخصص أدب مغربي قديم ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2008-2009.

فهرس الموضوعات